أخطر المناظرات

هل مات المسيح على الصليب؟

مناظرة بين

داعية العصر

الشيخ أحمد ديدات

والبروفيسور

فلويد كلارك





ترجمة

علي الجوهري

أخطر المناظرات

هل مات المسيح على الصليب؟

مناظرة بين

داعية العصر الشيخ
أحمد ديدات

والبروفيسور
فلويد كلارك

ترجمة
على الجوهرى

دار البشير
القاهرة

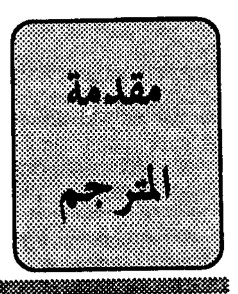
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾.

(الآية ٤١ من سورة إبراهيم)

﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

(الآية ٢٨ من سورة نوح)



الحمد لله وحده ، والصلاة على من لا نبى بعده ، وبعد ..

نقدّم فيما يلى بين يدى القارئ الكريم الترجمة العربية الدقيقة عن اللغة الإنجليزية لوقائع تلك المناظرة البالغة الأهمية التى جرت وقائعها بين الشيخ أحمد ديدات والبروفيسور المبشّر الأمريكى فلويد كلارك Floyde Clark فى قاعة (ألبرت) الملكية بالعاصمة البريطانية لندن ، وذلك كما وجدناها مسجلة على شريط فيديو بالصوت والصورة ، وهو من إنتاج شركة قرطبة للإنتاج الفنى بالرياض ـ الملز ـ شارع صلاح الدين . وهو يباع لمن يرغب فى شرائه فى كثير من البلدان العربية .

والعلاّمة الشيخ أحمد ديدات إنما هو رجل مسلم من أصْلٍ هندى ، كان أبوه قد هاجر إلى جمهورية جنوب إفريقيا طلباً للرزق . والتحق الصبى أحمد ديدات بالمدرسة الابتدائية فى بلدة ديربان بجنوب إفريقيا . وعندما تعلم مبادئ القراءة والكتابة ألحقه أبوه ليعمل فى مكتبة ملحقة بمعهد (آدمز) ، وهو معهد لتخريج المبشّرين بالدين المسيحى ، أنشأه على نفقته مليونير أمريكى ، وألحق به مطبعة لطباعة الكتاب المقدس لدى المسيحيين ، ومكتبة لبيع الكتب الدينية فى مشروع متكامل . هكذا يفعل أغنياء المسيحيين عموماً والأمريكيين خصوصاً ، فماذا يفعل أغنياء المسلمين بأموالهم ؟ إن أغنياء المسيحيين الذين يصنعون هذا الصنيع يعتقدون أنهم يولدون من جديد become newly born ، ولا يعتقد أغنياء المسلمين مثل هذا الاعتقاد بطبيعة الحال ، ويعلم الله ما يعتقدون ، ويعلم الله كيف ينفقون ما رزقهم الله من أموال .

كان الصبى المسلم أحمد ديدات يعمل بهمّة ونشاط وبراءة الأطفال فى مكتبة بيّع الكتب الدينية المسيحية ، وكان طَلَبَة معهد (آدمز) للمبشّرين يذهبون لشراء الكتب

الدينية من تلك المكتبة ، وكانوا ينادون الصبى : أحمد ، هات كتاب كذا يا أحمد . هل أنت مسلم يا أحمد ؟

ويقول أحمد بثقة واعتزاز كلمة واحدة هي : نعم .. Yes ، فيقول له دارس التبشير المسيحى : لقد كان رسول المسلمين محمد مزواجاً تزوج تسع نساء . ولقد نشر الإسلام بالسيف . وكانوا يقولون له أقوالاً أخرى بقصد الإساءة إلى نبى الإسلام محمد ﷺ .

إنهم بطبيعة الحال لا يعرفون ظروف كل زيجة من هذه الزيجات ، ولا يعرفون ما فُطر عليه خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ من عفة ونزاهة ، ولا يعرفون كم عدد زوجات وسرارى سيدنا سليمان عليه السلام ، ولا يعرفون لماذا ألّحت سارة على سيدنا إبراهيم أن يتزوج جاريتها هاجر ، لقد لُقِّنوا فحسب أن نبى الإسلام كان منحرفاً نَهِماً من الناحية الجنسية ، ولا يليق النَّهَم الجنسى بالإنسان العادى فكيف يليق بنبىّ ؟ إنه من وجهة نظرهم الخاطئة لا يصح ولا يجوز . وهُمْ أيضاً لا يعرفون أن الإسلام قد انتشر ما شاء الله له من انتشار على الرغم من السيف الذى كان مشهراً طوال عشرات السنين فى وجه الإسلام ، ولم ينتشر الإسلام فى حقيقة الأمر بالسيف ، ولكنهم يرددون ما سبق لهم أن لُقِّنوه دون تمحيص أو تدبر أو تفكير يميز الحق من الزيف .

ولماذا يتحرون الحقائق بشأن كيفية انتشار الإسلام فى العالم ؟ إنهم يكتفون بترديد ما لُقِّنوه من أباطيل عن الإسلام وعن رسول الإسلام ﷺ ، وعن عقيدة الإسلام ، وعن شريعة الإسلام ، ولا تهم الحقائق عندهم فى هذا المقام .

صبىٌّ مسلمٌ مِن أصْل هندى يعمل بائعاً لكتب الدين المسيحى ، لم يكد يتجاوز العاشرة من عمره يواجه يومياً بهذا السيل المنهمر من الهمز واللمز والقدح فى الإسلام وفى رسول الإسلام ﷺ . كان الصبى يبكى فى فراشه ليلاً وهو يستعرض هذا الهمز ، وذلك اللمز ، الذى ضبوه فى أذنيه صباً طوال النهار ، وكان يقول فى نفسه : كيف يتطاول غلمان المسيحية هذا التطاول الفج على الإسلام وهو أفضل دين ، وعلى رسول الإسلام وهو خاتم الأنبياء والمرسلين ؟ إن للإسلام فى قلوب المسلمين سلطاناً قوياً فطرياً إلهياً فى الغالب الأعم ، يحسه الإنسان المسلم إحساساً فطرياً لا اصطناع فيه ولا تكلُّف . ولكن ما حقيقة همزهم ولمزهم ؟ هل هم محقون ؟ هل هم ضالون مضللون ؟ لا بد إذن من البحث والدراسة لمعرفة الحقيقة . ذلك ما كان يشغل بال الصبى أحمد ديدات .

ذكاءٌ فطريٌ منقطع النظير وهبَه الله لهذا الصبى الصغير الفقير ، الذى كان يحاول أن يكسب عيشه من العمل فى محل لبيع الكتب كعامل أجير أرهقتْ روحَه المسلمةَ سخافاتُ ومفتريات طَلبة معهد آدمز بجنوب إفريقيا للتبشير .

وبدأ الصبى الصغير البحث والدراسة والتمحيص والتفكير فى موضوع واحد خطير وهو : أيهما صواب وحق وأَوْلى بالاتباع : المسيحية أم الإسلام ؟

والصبى الصغير أحمد ديدات يتكلم ويقرأ ويكتب اللغة الإنجليزية ، ويدرس الكتاب المقدس لدى النصارى بعهديه القديم والجديد وشروحه العديدة ، وهو يوزّع بالمجان لمن يشاء قراءته والاطلاع عليه . وتوجد ترجمات للقرآن الكريم وشروح لمبادئ الإسلام باللغة الإنجليزية ، اجتهد فى توفيرها بعض المهتمين بالدين الإسلامى فى بلد مثل جنوب إفريقيا . إنها قليلة كماً وكيفاً ولكنها كافية بما فيها من بساطة ووضوح حيث لا تلفيق ولا تعقيد ، وحيثما يوجد الكذب والتلفيق يوجد الغموض والتعقيد .

وفى غمار بحثه وتنقيبه وقراءته كل ما وصلت إليه يده من كُتُبٍ فى الدين المسيحى على رأسها الكتاب المقدس نفسه بعهديه القديم (أو التوراة كتاب اليهود المقدس لديهم) ، والعهد الجديد (وهو مجموعة الأناجيل المنسوبة إلى بعض أتباع المسيح عليه السلام) ، وكذلك الكتب الإسلامية القليلة ، صادف أحمد ديدات كتاباً أفاد منه إفادة كبيرة هو كتاب (إظهار الحق) لمؤلف هندى هو (رحمة الله الهندى) ، وهو كتاب فى مقارنة الأديان يحوى مناظرات جرت بين مؤلفه الهندى وبعض المبشرين المسيحيين الذين كانوا منتشرين بالهند بعد الاستعمار البريطانى للهند ، وكانوا يحاولون صرف مسلمى الهند عن الإسلام بمثل تلك المناظرات ، التى كانوا يتهافتون عليها حتى دحر أكاذيبهم وأفشل جهودهم عالم من علماء الدين الإسلامى بالهند وسجّل مناظراته معهم فى كتاب دوّنه باللغة الإنجليزية بعنوان (إظهار الحق) صادفه وقرأه الصبى أحمد ديدات بجنوب إفريقيا ، لتطمئن نفسه ويستريح ضميره إلى أن الإسلام هو دين الله الحق ، وأن سواه هو الباطل..

وكَرِهَ الصبىُّ أحمد ديدات العمل فى مكتبة بيع الكتب المسيحية ، ولم يعد يحتمل بذاءة وتطاول طلبة معهد آدمز للتبشير بالدين المسيحى ، فانتقل إلى العمل فى مجال تجارة الملح ، ثم عمل نجاراً فى محل لصناعة الأثاث ، مواصلاً البحث والدراسة فى مجال مقارنة الأديان .

وعندما تكاملت لديه المعلومات ، واتضحت له حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، شرع يدوّن معارفه وآراءه فى كتيّبات صغيرة كان يوزعها مجاناً أو بثمن التكلفة لاقت نجاحاً ورواجاً كبيراً . وبسبب نجاح كتيباته الصغيرة ورواجها بدأ يكتسب شهرة متزايدة باعتباره دارساً للكتاب المقدس لدى المسيحيين مستوعباً لأطراف المزاعم المسيحية بشأن المسيح عليه السلام ، وباعتباره مستوعباً لحقائق الإسلام أيضاً .

وحاول علماء النصرانية المتعصبين التصدى له فى مناظرات أمام جمهور يتم تسجيلها على أشرطة كاسيت وعلى أشرطة فيديو ، وكان نجاح أحمد ديدات فيها نجاحاً كبيراً منقطع النظير .

وانزعج لذلك كثير من علماء المسيحية المتعصبين لها فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى أوروبا فَسَعَوْا إليه ذهاباً إليه أو استدعاء له لعقد مناظرات معه أمام جمهور ، فكان يقبل الدعوة دون أى تردد . وظهرت إلى الوجود مناظرات فعلية فى مقارنة الأديان .

كان القس الأمريكى چيمى سويجارت يزعج المسلمين فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد كان شغله الشاغل زيارة الجامعات والكليات التى يوجد بها أعداد كبيرة من الطلبة المسلمين ، وكان يعلن عن عقد محاضرات ومناقشات لهم فى مكان محدد بهذه الكلية أو ذلك المعهد وفى زمان محدد . وكان يحضر ويحاضر ويصول ويجول ويقول أريد مسلماً يناقشنى فيما أقول . واستدعى الطلبة المسلمون بالولايات المتحدة الأمريكية الشيخ أحمد ديدات لمناقشة القس الأمريكى چيمى سويجارت فيما يقول . وظهر إلى الوجود تسجيل مناظرة (ديدات / سويجارت) على شريط فيديو ، وكان موضوعها هو : هل الكتاب المقدس كلام الله ؟

ولقد كان غريباً أن يتقهقر القس چيمى سويجارت ، ويتخلّى عن صلفه وغروره فى مناظرته أمام الشيخ أحمد ديدات . تكلم سويجارت فى بداية المناظرة ليقول ما معناه أن المسيحية ديانة صحيحة جميلة ، وأن الإسلام دين صحيح جميل ، وأن الإنجيل كلام الله ، وأن القرآن كلام الله . أى أنه كان يريد الالتفاف حول الموضوع على أساس أن الإسلام حق والمسيحية حق ، ولا داعى لكشف المستور ، ولنخدعْ أنا وأنت يا ديدات هذا الجمهور .

ولم يقبل ديدات هذه المحاولة الأمريكية لتسطيح الأمور ، وعندما حان دوره فى الكلام استهل كلامه قائلاً : « ليس ما تسمونه بالكتاب المقدس كلام الله . أىّ كتاب

مقدس تقصدون ؟ هل هو هذا الكتاب ، إنجيل الكاثوليك ؟ أم ذلك الكتاب ، إنجيل البروتستانت ؟ أم ذلك الكتاب : طبعة الملك چيمس ؟ أم ذلك الكتاب ، الطبعة المنقحة من الإنجيل R. S. V. ؟ ، هل ينقَّح كتاب مقدس ؟ هل ينقح كلام الله ؟ كلام البشر هو الذى ينقَّح لاحتمال ورود الخطأ به ، أما كلام الله فلا يجوز فيه خطأ ولا يليق فيه تنقيح . تقولون إنها متطابقة متماثلة ؟ كلا . أنتم تخدعون الناس وتخدعون أنفسكم . إنها مختلفة غير متطابقة المحتوى ، وها هى ذى أمثلة كبيرة وخطيرة لعدم التماثل وعدم التطابق . وكان يقدم الأمثلة مستشهداً بنصوص من الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى .

وبعد فشل استراتيجية المهادنة ، عبثاً حاول سويجارت أن يستعيد توازنه ؛ فترك موضوع المناظرة وحاول النيل من الإسلام والتطاول عليه . وعلى سبيل المثال وجدناه يقول : أنت هنا ياديدات فى أمريكا ، هل أستطيع أنا أن أذهب إلى مكة ؟ وكان رد ديدات على السؤال الماكر الخبيث مفحماً ، إذ قال : نعم ، تستطيع الذهاب إلى مكة لو نطقت بضع كلمات تتضمن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . هذا هو الشرط الوحيد . وهو تنظيم إدارى تتبعه المملكة العربية السعودية . إن دخول أى بلد أجنبى له نظم وقواعد وأصول . وحقيقة الأمر هى أن بعض الأماكن يكون لها نظم معينة فى الدخول . وعند دخول أجنبى إلى الولايات المتحدة الأمريكية تضع الولايات المتحدة الأمريكية لذلك شروطاً معينة . ولو أراد شخص أجنبى دخول البيت الأبيض فلا بد من إجراءات معينة .

وكان فشل القس الأمريكى چيمى سويجارت فشلاً ذريعاً واضحاً للعيان . لقد كان الشيخ أحمد ديدات ملتزماً بموضوع المناظرة ، يستشهد بالنصوص المقدسة لديهم ارتجالاً من الذاكرة ، ويشير إلى موضوع الاقتباس وإلى الأصحاح وإلى رقم الجملة أو الجمل إشارات دقيقة صحيحة مظهراً السياقَ الذى جاء فيه كل نص من النصوص ، وذلك على عكس القس الأمريكى چيمى سويجارت .

ويبدو أن الفشل الذى مُنِىَ به القس الأمريكى چيمى سويجارت قد أزعج غيره من علماء اللاهوت المسيحى . وجدنا القس السويدى الكبير ستانلى شوبيرج يستدعى الشيخ أحمد ديدات ليجرى معه مناظرتين فى ستوكهولم عاصمة السويد ، تم تسجيل كل منهما على شريط فيديو ، وقدمنا ترجمة عربية لكل منهما فى كتاب (مناظرتان فى

ستوكهولم) عنيت بطبعه ونشره دار الفضيلة بالقاهرة . ووجدنا المبشر الأمريكى وعالم اللاهوت المسيحى البروفيسور فلويد كلارك يتفق على مناظرة مع الشيخ أحمد ديدات فى قاعة ألبرت الملكية فى لندن ، نقدم ترجمة عربية لها فى هذا الكتاب بمشيئة الله .

وكان الدكتور أنيس شروش ، وهو مسيحى فلسطينى الأصل ، هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد حصوله على شهادة الثانوية العامة من غزة عام ١٩٤٨م ، والتحق بكلية اللاهوت بأمريكا ، وحصل على درجة الماجستير ثم الدكتوراه فى اللاهوت المسيحى ، وهو يجيد العربية والإنجليزية ، وقد كان الدكتور أنيس شروش يبحث عن فرصة لمواجهة الشيخ أحمد ديدات فى مناظرة علنية أمام الجمهور ، وكان موجوداً أثناء إجراء هذه المناظرة التى نقدم ترجمة عربية لوقائعها فى هذا الكتاب مع البروفيسور فلويد كلارك ، وقام بتوجيه سؤال إلى العلامة ديدات فى وقت المناقشة عقب هذه المناظرة . وبعد انتهاء هذه المناظرة تحدى الدكتور أنيس شروش الشيخ أحمد ديدات أن يواجهه فى مناظرة أمام جمهور ، وهو يظن أنه يستطيع أن ينتصر على الشيخ أحمد ديدات ، وقبل الشيخ ديدات التحدى ، وتمت مناظرة بين الشيخ أحمد ديدات والدكتور أنيس شروش بقاعة ألبرت فى مدينة لندن ، وكان موضوعها : هل عيسى إله ؟ وقمنا بترجمة وقائعها تحت عنوان : مناظرة العصر ، وتعنى بطبعه ونشره دار الفضيلة بالقاهرة .

وهكذا من جمهورية جنوب إفريقيا ، حيث اللغة السائدة هى اللغة الإنجليزية ، وحيث الديانة المسيحية هى ديانة الأغلبية ، ارتفع صوت العلامة الشيخ أحمد ديدات محاضراً ومؤلفاً ومناظراً ومدافعاً عن حقائق الإسلام ، مفنداً لأباطيل خصومه باللغة الإنجليزية ، مبدعاً لأسلوب جديد مقنع فى مقارنة الأديان ، مؤسساً لأسلوب الحوار الهادئ الرصين المؤدب بين الأديان . ولا ريب أن إجادة الشيخ أحمد ديدات للغة الإنجليزية كلغة أصلية ، واطلاعه العميق المدهش على نصوص الكتاب المقدس لدى اليهود والمسيحيين ، وذكاءه الفطرى ، كل هذا جعل لجهوده ـ فى مجال مقارنة الأديان بوجه عام وفى المناظرات مع خصوم الإسلام بوجه خاص ـ أهمية وقيمة كبيرة حاسمة الدلالة ، عظيمة الجدوى فى نظر كل من يريد الوقوف على حقائق الأديان لاختيار ما يؤمن به من دين .

وموضوع المناظرة ـ التى نعرض لترجمة وقائعها إلى العربية ـ فى غاية الدقة والأهمية ، وهو : هل مات المسيح على الصليب ؟

وعلى الرغم من أن مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه لا تكاد تشكل أهمية فيما يتعلق بعقيدة الإنسان المسلم نجد أنها عصب عقيدة الإنسان المسيحى . يكفى أن يشهد المسلم أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويصوم شهر رمضان ويحج إلى بيت الله الحرام إن استطاع إلى الحج سبيلاً ، و أن يؤمن باليوم الآخر ، وبالقضاء والقدر خيره وشره وبالغيب ، وبالملائكة وبرسل الله وأنبيائه لكى يكون مسلماً . المسلم لا يهتم كثيراً بما حدث لسيدنا إبراهيم عليه السلام بعد أن نجاه الله من النار التى كانت معدّة لإحراقه ، ولا يهتم المسلم كثيراً بما حدث لسيدنا نوح بعد الطوفان ، والقرآن الكريم يقص علينا ما حدث لرسل الله أثناء ممارستهم الدعوة إلى الله ، ولا يقص القرآن الكريم علينا شيئاً مما حدث لرسل الله بعد انقضاء دعوة أقوامهم إلى عبادة الله وتوحيده وتنزيهه . وحسب المسلم أن يؤمن بأن سيدنا عيسى عليه السلام كان رسولاً من رسل الله ، أدى أمانته وأبلغ قومه من بنى إسرائيل رسالة ربه مصححاً لهم ما حرّفوه من الديانة اليهودية التى كان قد جاءهم بها سيدنا موسى عليه السلام ، وتبعه قليل من الحواريين وآمنوا بدعوته ، ولكن أغلبية بنى إسرائيل رفضوا دعوته إلى تصحيح ما حرّفوه من ديانة وشريعة سيدنا موسى عليه السلام ، وآذوه واضطهدوه وعذبوه إلى حد استصدارهم أمراً بقتله صلباً من الحاكم الرومانى (بيلاطس) وحاولوا القبض عليه بواسطة الجنود الرومان لتنفيذ حكم قتله صلباً ، ولكن الله أنقذه من كيدهم ومكرهم ، فلم يتمكنوا من قتله صلباً . لم يمت المسيح على الصليب فيما يعتقد المسلمون .

والقرآن الكريم واضح وحاسم وصريح بهذا الصدد فى مواضع كثيرة ، منها قول الله سبحانه تعالى :

﴿ وَقَوْلِهِم إِنَّا قَتَلْنا المسيحَ عيسَى ابنَ مريمَ رسولَ اللهِ وما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ ولكن شُبِّهَ لهُم وإنَّ الَّذينَ اخْتَلَفُوا فيه لَفى شكٍّ منه ما لهُم به مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وما قَتَلُوهُ يَقيناً ﴾ . (سورة النساء : ١٥٧)

وهكذا ينفى القرآن الكريم أن أعداء المسيح عليه السلام كانوا قد « قتلوه صلباً » . ويقول المسلمون بطبيعة الحال : آمنا وصدّقنا .

ولكن صَلْبَ المسيح وموتَه على الصليب هو محور وأساس وعصب الديانة المسيحية فيما يعتقد المسيحيون ، وانتفاء الصلب وموت المسيح على الصليب وفداء البشرية من

الخطيئة الأصلية ، خطيئة سيدنا آدم عندما أكل من الشجرة المحرمة ، وفداء البشر من خطاياهم ، وهو الفداء الذى لا يتم إلا من خلال الإيمان بألوهية المسيح ، وبصلبه ، وبموته على الصليب ، وبقيامته من بين الأموات . وانتفاء الصلب بمعنى الموت على الصليب يهدم أساس كل هذه المعتقدات ، ولذلك يجمع المسيحيون على أن صلب المسيح وموته على الصليب ، وقيامته من بين الأموات إنما هى أسس المسيحية ، وتنهدم وتنهار المسيحية لو انتفى موت المسيح على الصليب .

ومن هنا على وجه التحديد تبرز أهمية مسألة صلب المسيح ، وتبرز أهمية العثور على إجابة سؤال : هل مات المسيح على الصليب كما يزعم ذلك المسيحيون ؟ أم أنه لم يمت على الصليب كما يؤمن بذلك المسلمون ؟

ومن هنا على وجه التحديد تبرز أهمية هذه المناظرة حيث إنها تتعلق بهذه المسألة الهامة ، مسألة صلب المسيح ، وهل مات المسيح على الصليب أم أن المسيح لم يمت على الصليب ؟ وهى المناظرة التى نبذل قصارى جهدنا لنقل وقائعها بدقة وأمانة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية عسى أن يستطيع القارئ الكريم أن يجد إجابة عن هذا السؤال الهام الذى أشرنا إليه من قبل .

ويمثل وجهة النظر الإسلامية ، القائلة بأن المسيح عليه السلام لم يمت على الصليب ، الشيخ أحمد ديدات . ويمثل وجهة النظر المسيحية فى أن المسيح كان قد مات على الصليب ودفن ثلاثة أيام وثلاث ليال ثم قام من بين الأموات ، وبقى على الأرض أربعين يوماً ثم رفع إلى السماء وجلس على يمين العظمة ، يمثل وجهة النظر المسيحية هذه ، البروفيسور فلويد كلارك ، وهو عالم دين مسيحى ومبشّر يحترف التبشير بالمسيحية ، كان قد قضى تسعة أشهر كمحاضر فى الديانة المسيحية فى كلية آدمز للمبشرين المسيحيين بجمهورية جنوب إفريقيا ، حيث تعرف على الشيخ أحمد ديدات ، واتفقا على إجراء هذه المناظرة فى العاصمة البريطانية لندن .

ولما كان المسيحيون لا يعترفون بأن القرآن الكريم هو كلام الله فلا سبيل إلى الحوار مع المسيحيين إلا من خلال نصوص كتابهم المقدس عندهم بشأن هذه المسألة أو غيرها. وإذا كانت نصوص كتابهم المقدس كما هى بين أيديهم اليوم فى التوراة والأناجيل التى يعترفون بها ـ وليس بالأناجيل الأبوكريفا التى يعتبرونها مزيفة ـ لا تؤيد دعواهم فى موت المسيح على الصليب وتؤكد أنه لم يمت على الصليب ، ولم يدفن ميتاً ثلاثة

أيام وثلاث ليال ، ولم يقم من بين الموتى كما يزعمون ، نجد أن ذلك لا يخلو من جدوى ولا يخلو من دلالة حاسمة لو تحقق .

ولقد قبل الشيخ أحمد ديدات التحدى ، وهو تحد طريف ومثير ومُهِمٌ كُلٌ الطرافة والإثارة والأهمية . إنه لا يعتمد فى جدله بالتى هى أحسن وحواره ومناظراته مع أكبر علماء المسيحية على نصوص من القرآن الكريم فى شىء ، اللهم إلا تقرير بعض المعتقدات الإسلامية كما يؤمن بها المسلمون دون أن يطلب من المسيحيين الإيمان بها ، إنه يطالبهم فقط بالتسليم بما يقوله كتابهم المقدس كما هو موجود بحالته الراهنة بين أيديهم ، ويكشف لهم أن معتقداتهم « كما صاغوها صياغة بشرية » تتناقض ولا تتطابق مع ما يقوله كتابهم المقدس فى مسائل أساسية جوهرية من مسائل العقيدة المسيحية .

هل نجح الشيخ أحمد ديدات فى ذلك ؟ ندع ذلك لتقدير القارئ الكريم بشأن موضوع هذه المناظرة وغيرها من مناظراته .

نود فحسب أن نلفت نظر القارئ الكريم أن يلاحظ ما إذا كان الطرف المسيحى ، وهو البروفيسور فلويد كلارك ، فى هذه المناظرة التى بين أيدينا قد التزم بموضوع المناظرة وهو : « هل مات المسيح على الصليب ؟ » أم أنه لم يلتزم بالموضوع ؟

ونود أن نلفت نظر القارئ الكريم أن يلاحظ : هل استخدم نصوص كتابه المقدس بدقة ؟ وهل أشار إلى مواضعها والتزم بألفاظها ؟ أم أنه لم يشر ولم يلتزم بذلك ؟

ونود أن نلفت نظر القارئ الكريم أن يلاحظ ما إذا كان البروفيسور فلويد كلارك يقول كلاماً مفهوماً أم أنه يقول كلاماً غير مفهوم كما هو دأب المتحدثين من علماء المسيحية عندما يقولون كلاماً غير مفهوم مرددين بعض معجزات المسيح عليه السلام الدالة على أنه رسول من رسل الله باعتبار أنها معجزات تثبت ألوهية المسيح ، وتثبت موته على الصليب ، وتثبت قيامته من بين الأموات ، إلى آخر كل مزاعمهم التى لا يحاولون إثباتها بأى شىء سوى سرد بعض معجزات المسيح عليه السلام .

والمسلمون دون ريب يعترفون عموماً بمعجزات المسيح عليه السلام ، بل إن القرآن الكريم يثبت للمسيح عليه السلام معجزات لم ينص عليها الكتاب المقدس لدى المسيحيين ، مثل كلام المسيح عليه السلام فى المهد عند ولادته ، وغير ذلك . ولكن

المسلمين يعتبرون أن معجزات المسيح عليه السلام تدل على نبوته ، وتدل على أنه رسول من رسل الله ، ولا تدل على ألوهيته ، ولا تدل على موته على الصليب ، ولا تدل على المزاعم التى يزعمها المسيحيون . ذلك فحسب هو ما نود من القارئ الكريم أن يلاحظه بنفسه فى وقائع هذه المناظرة أو غيرها من المناظرات .

لا نريد أن نستبق الأحداث ، ويهمنا أن يلاحظ القارئ الكريم بنفسه وقائع هذه المناظرة الهامة ، ويهمنا أن يستخلص القارئ بنفسه لنفسه ما يشاء من دلالات يمكن له استنتاجها، ونكتفى بملاحظاتنا فى تعقيب لنا بعد تقديم وقائع هذه المناظرة وموضوعها: هل مات المسيح على الصليب ؟

والله ولىُّ التوفيق .

المترجم

على الجوهرى

طنطا فى : ١٩ / ٧ / ١٩٩٥م

* * *

ظروف المناظرة

١ ـ موضوع المناظرة هو : هل مات المسيح على الصليب ؟

٢ ـ مكان المناظرة : قاعة ألبرت الملكية بالعاصمة البريطانية لندن .

٣ ـ تاريخ المناظرة : غير معروف من شريط الفيديو الذى اعتمدنا عليه فى الترجمة .

٤ ـ نظام المناظرة :

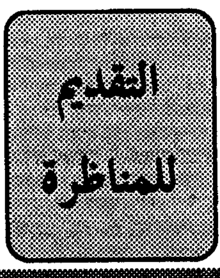
(أ) يمثل وجهة النظر المسيحية فى المناظرة عالم اللاهوت المسيحى البروفيسور فلويد كلارك . ولقد اختار لنفسه بنفسه كما يتضح من ذات المناظرة أن يتحدث أولاً لمدة خمسين دقيقة لإثبات أن المسيح قد مات على الصليب .

(ب) يمثل وجهة النظر الإسلامية الشيخ أحمد ديدات يتحدث لمدة ستين دقيقة لإثبات أن المسيح لم يمت على الصليب .

(جـ) بعد الوقت المحدد لطرفى المناظرة تبدأ المناقشة بتوجيه أسئلة من جانب من يرغب من الحاضرين لأىٍّ من المحاضرين .

وعندما يبدأ شريط الفيديو الذى سُجِّلت عليه وقائع هذه المناظرة فى الدوران يظهر على الشاشة أمام مكبر الصوت شخص نحيف طويل القامة يرتدى البنطلون وقميصاً أبيض اللون ، وعلى رأسه طاقية وهو ذو لحية مدببة هو الدكتور جمال بدوى . ويجلس إلى منضدة أخرى عليها غطاء أحمر اللون الشيخ أحمد ديدات ، وبجواره شخص على رأسه عمامة وبجواره البروفيسور فلويد كلارك ، وبجواره شخص يرتدى ملابس إفرنجية ويضع على عينيه نظارة .

* * *



التقديم للمناظرة

يقف الدكتور جمال بدوى أمام مكبر الصوت ويقول : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله والفضل لله خالق ورب هذا الكون . والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى سائر أنبياء الله ورسله جميعاً .

أحييكم جميعاً بتحية الإسلام : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، راجياً أن تعم جميع الحاضرين مسلمين ومسيحيين .

ويسرنا أن نلتقى هنا فى هذه الأمسية لنتدارس وجهة النظر المسيحية ووجهة النظر الإسلامية في موضوع هو : « هل صُلِبَ المسيح ؟ » [١] .

وربما كان كثير من الأصدقاء المسيحيين هنا لا يعرفون الكثير عن الإسلام . إن كلمة الإسلام وثيقة الصلة من حيث الاشتقاق بكلمة السلام . إنه السلام مع الله ومع النفس ومع الناس جميعاً .

وكلمة الإسلام أيضاً تعنى استسلام الإنسان لمشيئة الله وإرادته وحكمته مع الخضوع

(١) جدير بنا أن ندقق فى معنى الفعل المبنى للمجهول « صُلب » . يقال عن شخص إنه « صُلب » إذا كان قد مات على الصليب . ويقال عن شخص إنه « أُغْرِقَ » إذا كان قد مات إغراقاً تحت الماء . أما إذا حاول بعض الناس إغراق شخص تحت سطح الماء بهدف قتله ولم يمت هذا الشخص تحت سطح الماء لأى سبب فإنهم لم يغرقوه . يجوز أن يكونوا قد شرعوا فى قتله بإغراقه ، ولكنهم فى حقيقة الأمر « ما قتلوه وما أغرقوه » حيث إنه لم يمت تحت سطح الماء من جرّاء إغراقهم له ، فى محاولتهم قتله تحت سطح الماء . وهكذا ، لو وُضِعَ شخص على الصليب ولم يمتْ منْ جرّاء الصلب لا يجوز أن نقول عنه إنه « صُلب » . ربما كان هذا شروعاً فى قتله صلباً ، ولكنهم « ما صلبوه » . ولهذا ولمزيد من الدقة آثرنا ترجمة عنوان المناظرة إلى (هل مات المسيح على الصليب ؟) . (المترجم) .

لأوامره ونواهيه ، ومنهجه الذى شرعه للناس ، عن طريق أنبياء الله مثل : موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

والخلافات التى نجدها أحياناً بين أتباع هؤلاء الأنبياء والمرسلين قد تنشب أحياناً نتيجة لعدم التزام بعض الناس بتعاليم كل من هؤلاء الأنبياء والمرسلين ، أو نتيجة سوء فهم بعض الناس للتعاليم الصحيحة التى نادى بها كل من هؤلاء الأنبياء والمرسلين

ولذلك نجد أنه من الضرورى ، ومن المناسب ، ومن المفيد جداً ، أن نهتم بدراسة هذا الدين أو ذاك . ومن الضرورى والمناسب والمفيد جداً أن يلتقى أصحاب هذه الأديان ، وأن يتناقشوا ويتحاوروا بطريقة ودية ليحاول كل منهم فَهْمَ الآخر .

إننا لا يمكن لنا أبداً أن نحكم على عقيدة أو شريعة دين من الأديان من خلال أعمال وتصرفات تَصْدُر عن أولئك الذين يدّعون الانتساب إلى هذا الدين أو ذاك .

ومن بين أولئك الأنبياء والمرسلين أودُّ أن أشير إلى خمسة من الأنبياء والمرسلين هم أعظم الأنبياء والمرسلين أثراً فى هداية الإنسانية إلى الله وإلى الصراط المستقيم وإلى الحياة الفاضلة وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام .

والمسلم بموجب نصوص القرآن الكريم يُكِنُّ كل تقدير واحترام لكل الأنبياء والمرسلين الذين كانوا جميعاً يدعون إلى عبادة الله وتوحيده وطاعته (١) .

وجدير بالذكر فى هذا اللقاء الأخوى الودى أن نقرر هنا أن القرآن الكريم قد تضمَّن مدح وتقدير المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم . والقرآن الكريم يؤكد أن المسيح هو عيسى ابن مريم عليه السلام (٢) . والقرآن الكريم يبرئ العذراء مريم من أى اتهام يحطُّ من قدرها . والقرآن الكريم يقول إنها قد ولدت المسيح عيسى ابن مريم دون أن ترتكب إثماً أو خطيئة ، بل كانت عذراء لم يمسسها بشر . ويوجد بالقرآن الكريم سورة كاملة معنونة بـ « سورة مريم » وهى السورة التاسعة عشر فى ترتيب سوَر القرآن الكريم .

---

(١) جميل حقاً ، ومن المفيد فعلاً ، أن تصل وجهة النظر الإسلامية بطريقة هادئة متحضرة باللغة الإنجليزية إلى العاصمة البريطانية وعلى هذا النحو الذى يتبدى فى تقديم مدير المناظرة لموضوع المناظرة ولكل من طرفيها . (المترجم) .

(٢) يدرك المسيحيون أن كل نبى لا يصدق أن المسيح هو عيسى ابن مريم ، ليس بنبىّ . وسيدنا محمد ﷺ يصدق والقرآن الكريم يصدق أن المسيح هو عيسى ابن مريم . (المترجم) .

ولذلك يجدر بنا كمسلمين ، ويجدر بالمسيحيين وقد أُتيحت لنا ولهم فرصة هذا اللقاء التاريخي ، أن نناقش وندرس نقاط الخلاف بيننا فيما يتعلق بألوهية عيسى عليه السلام بوجه عام . وفيما يتعلق بمسألة الصلب بوجه خاص : هل وقع الصلب ؟ وهل تم الصلب ؟ ما معنى الصلب ؟ وإذا كان الصلب لم يقع ، وإذا كان الصلب لم يتم [١] ، فما هو مصير سيدنا عيسى عليه السلام وماذا حدث له ؟

إن المسلمين والمسيحيين جميعاً يكنُّون محبة وتقديراً لشخص المسيح عليه السلام. ويصفه القرآن الكريم باعتبار أنه « المسيح » فى سورٍ متعددة من القرآن الكريم حيث يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ والسَّلامُ علَيَّ يومَ وُلِدتُ ويَومَ أموتُ ويَومَ أُبْعَثُ حيّاً ﴾ . (سورة مريم : ٣٣)

وجدير بنا ، مسلمين ومسيحيين ونحن نلتقى هنا الليلة فى هذا الجو الودى ، أن نحافظ على استمرار الهدوء والمودة والمحبة بيننا أثناء مناقشة مثل هذه الأمور الهامة بين أحد علماء الدين المسيحى ، وهو البروفيسور فلويد كلارك ، وبين الشيخ أحمد ديدات ، وهو أحد العلماء المسلمين المرموقين . وجدير بنا أن نتجنب الصخب والانفعال .

يتحدث إلينا أولاً البروفيسور فلويد كلارك . والبروفيسور كلارك مبشِّر بالمسيحية ، وهو يتجول كثيراً فى أنحاء العالم لدعوة الناس للانضمام إلى الكنيسة التى يتبعها ، وهو مقيم فى موطنه الأصلى بولاية تينسى بالولايات المتحدة الأمريكية . ولقد قضى البروفيسور كلارك الشهور التسعة الماضية محاضراً فى كلية آدمز للتبشير فى جمهورية جنوب إفريقيا . وسيتحدث إليكم البروفيسور فلويد كلارك لمدة خمسين دقيقة .. فليتفضل .

* * *

---

(١) أهم الأسئلة فيما يتعلق بمسألة صلب المسيح أو مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه كما أفضل أن أسميها هى : ما هو معنى الصلب ؟ متى نقول عن شخص أنه صلب ؟ هل الصلب هو مجرد وضع شخص على الصليب سواء مات من جراء الصلب أو لم يمت لأى سبب من الأسباب ؟ أم أن الصلب لا يتم إلا إذا مات الشخص المحكوم عليه بالصلب على الصليب ؟ إن تحديد معنى الصلب بالإجابة على هذه الأسئلة الهامة يجعلنا نعرف على وجه الدقة ما إذا كانوا قد قتلوه وصلبوه ، أو أنهم « ما قتلوه وما صلبوه » . إنه يمكننا أن نعرف صدقَ قول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم ﴿ وَما قَتَلُوه وَما صَلَبُوه ولَكِن شُبِّهَ لَهُم ﴾ شريطةَ أن ندقق فى معنى الصلب ونعيد النظر فى تفسير قول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَكِنْ شُبِّهَ لهم ﴾ . (المترجم) .

المتحدث الأول في المناظرة

البروفيسور « فُلويد كلارْك »

يتقدم البروفيسور فلويد كلارك إلى المنضدة الصغيرة التى وُضع عليها مكبر الصوت بعد أن تنحّى عنها مدير اللقاء . وصفق الحاضرون لتشجيعه وتحيته . وقال ما ترجمته إلى العربية كما يلى :

السيد رئيس الجلسة .. صديقى العزيز السيد / أحمد ديدات ..

حضرات السيدات والسادة :

أرغب فى أن أعبر لكم عن شكرى وسرورى بمناسبة حضورى هنا لأكون طرفاً مشاركاً فى هذا الحوار غير العادى . وأنا أستأذنكم أولاً وقبل كل شىء فى أن أقدم إليكم بعض أقاربى وأصدقائى وأولهم زوجتى ليزا (تصفيق) ، لم يمض على زواجنا فى حقيقة الأمر سوى تسعة أشهر ، ولقد أمضينا جزءاً من شهر العسل فى بلدة ديربان بجمهورية جنوب إفريقيا ، وهى بلدة صديقى أحمد ، وقضينا بطبيعة الحال بضعة أيام فى ضيافته وضيافة أخيه فى هذه المدينة الجميلة ؛ مدينة ديربان ، واستمتعت زوجتى بضيافة زوجة صديقى أحمد هناك .

ومعى هنا أيضاً صديقى (ريتشارد دول) الذى كان هو أيضاً مضيّفى فى جمهورية جنوب إفريقيا ، وها هو ذا معى فى مدينة لندن لمناقشة أحد الموضوعات المتعلقة بالمسيح . ولقد كان صديقى ريتشارد دول هو الذى نجح فى إقناع السيد أحمد ديدات لكى يوافق على المشاركة فى هذه المناظرة التى تشهدونها الليلة . وهنا أيضاً فى مكان ما من هذه القاعة يجلس أحد التلاميذ الذين يكرسون جهودهم للخدمة الكهنوتية وللتبشير بالمسيح فى جمهورية جنوب إفريقيا وفى الجابون وفى غينيا ، إنه ـ هو وزوجته ـ موجود هنا ، وهما يجلسان فى مكان ما من هذه القاعة . ومعى أيضاً فى هذه القاعة كثير من الأصدقاء والزملاء الذين كرسوا حياتهم لخدمة الكتاب المقدس هنا فى لندن .

وأنا أرجو أن نستفيد جميعاً من هذا اللقاء ، الذى يلتقى فيه هذا العدد الهائل من أبنـاء لندن للمناقشة ، ولتبادل الرأى ، وللتعرف على وجهات النظـر الأخرى . وأرجو ألا يخرج أحد من هذه القاعة الليلة دون استفادة من هذه المناقشة . كما أرجو أن يبارك الله جهودنا ، وأتضرع إليه أن يوفقنا . آمين .

ولقد أشرت إلى أنه كان قد سبق لى مناقشة موضوعنا فى جنوب إفريقيا منذ سنوات عديدة عندما كنت أنا والأخ أحمد ديدات فى بلدة جوهانسبرج فى مناقشة عامة فى هذا الموضوع فى مبنى البلدية هناك فى عام ١٩٦٣م .

وعندما عدت إلى زيارة جنوب إفريقيا منذ عامين لكى أعمل محاضراً فى كلية آدمز اللاهوتيـة دعـانى صـديقى ديدات لزيارته فى بلدة ديربان ، ودارت بيننا مناقشـات قـوية وطويلة وصاخبة استمرت لمدة ست عشرة ساعة . وكانت زوجتى فى ضيافة زوجة صـديقى أحـمـد . إننى لا أريد أن يفـهـم أحـد أننى قد أتيت هنا من أجل الدخـول فى صراع مع صديقى أحمد ديدات ، إننى أقدّر صداقته تقديراً كبيراً .

وقبل أن أبدأ أجد أننى متردد فى البدء . إننى لا أدرى كيف سيُفهم كلامى . ولا بد لى أن أشير إلى ما حدث لنا ، سواء ما حدث لى ، أو ما حدث لصديقى أحمد ليلة الأربعاء الماضى . لقد كنت هنا ، وكان صديقى أحمد يتحدث فى أمور أخرى ، وأثناء حديثه قال له شخص آخر ملاحظة لكى يعود إلى الموضـوع . لقـد كانوا قد أعطونى موعداً للحضور إلى هذا المكان ، وأنا أعتقد أنه من الفظاظة معاملة الضيف [١] على نحو غير لائق بهذه الطريقة .

ولقـد شعـرت بالقلق أيضاً إلى حد ما ؛ لأنكم طلبتم منى أن أحتل منصة الخطابة لكى أتحدث فى هذا الموضوع بالمشاركة مع صديقى أحمد . ولقد قضيت مدة ثمانية وأربعين عاماً وأنا أدرس هذا الموضوع [٢] . وعندما كنت أتحدث فى هذا الموضـوع مع

---

(١) لم يفصح البروفيسور فلويد كلارك عما حدث ليلة الأربعاء السابق . إنه على كل حال يريد ألا يتكرر خطأ كان قد حدث فى تلك الليلة ، إنه يريد أن يضمن الأمن والسلامة والهدوء أثناء إلقاء خطبته الرئيسية فى المناظرة . ولقد سبق أن أشار سيادته إلى وجود أصدقاء كثيرين له بالقاعة . ومن حقه دون ريب أن يلقى خطبته فى الوقت المحدد لها بكل أمن وسلامة وهدوء . (المترجم).

(٢) ربما يقصد أن الموضوع يحتـاج وقتاً طويلاً لإيضاح جـوانبه ، والوقت المحدد له فى المناظرة =

صديقى أحمد ، كان صديقى أحمد يطرق قليلاً [١] أثناء حديثى معه فى هذا الموضوع حتى أننى أسأت فهمه .

ولكننى عثرت فى الكتاب المقدس على أشياء كثيرة تتحدث عن الصلة بين الله والإنسان . ولقد أتحتم لى الآن الفرصة لأحدثكم عنها . وإننى لأرجو أن تسمحوا لى بالتحدث إليكم ، ولا تفعلوا مثلما فعلتم فى المرة السابقة ، وسأكون لكم من الشاكرين.

موضوع هذا اللقاء كما تعرفون هو : هل صُلبَ المسيح ؟ ولكى نجيب على هذا السؤالِ علينا أن نحدد أولاً : ما هوِ معنى الصَّلب ؟ وما هو معنى قولنا : إن عيسى قد صُلبَ ؟ وعلينا أن نحدد ثالثاً : مَنْ هو الشخص الذى يُسمَّى عيسى المسيح ، الذى حدث له الصلب الذى نناقشه هذا المساء ؟

إن تعريف الصلب كما نجده فى معجم أكسفورد الشهير هو تثبيت شخص على الصليب بمسامير ، أو ربطه إلى صليب ، ثم تركه على الصليب ليموت بفعل العوامل الجوية [٢] .

= وقت ضئيل بالنسبة لهذا الموضوع الهام . ولو كان الأمر كذلك لكان حرياً به أن يدخل فى الموضوع دون هذه المقدمات التى لا ضرورة لها . (المترجم) .

(١) المعنى غامض . ماذا يقصد ؟ الله أعلم . إنهم لا يهتمون بوجه عام أن يكون كلامهم مفهوماً ، لقد تعودوا على ذلك . (المترجم) .

(٢) نظراً لأهمية (الصلب) فى موضوع هذه المناظرة نجد أنه بحاجة إلى ما هو أكثر من التعريف المعجمى . كان حكم الإعدام صلباً عقوبة معروفة لدى الفراعنة ولدى الفينيقيين للتخلص من أعداء الدولة الخطرين الذين يهددون نظام الدولة السياسى أو نظامها الدينى ، للاتصال الوثيق بين الدين والسياسة منذ فجر التاريخ حتى الآن . وفى القرآن الكريم : ﴿ وأُلْقِىَ السَّحَرَةُ سَاجدينَ * قالُوا آمنَّا بربِّ العَالمينَ * ربِّ مُوسى وهَارُونَ * قال فرْعونُ آمنتُم به قَبلَ أنْ آذنَ لكُم إنَّ هَـذا لَمكرٌ مكرتمُـوهُ فِى المدينة لتُخرجُـوا منها أهْلَها فَسَوْفَ تعْلمُـونَ * لأقطِّعَـنَّ أيْديكُم وأرْجُلكُم مِّنْ خلافٍ ثُمَّ لأصلِّبنّكُم أجْمعِينَ ﴾ (سورة الأعراف : ١٢٠ ـ ١٢٤) . وكان الصلب يتم تنفيذه بطرق بدائية بسيطة على جذع شجرة أو نخلة . واقتبس الرومان عقوبة الصلب لما لها من أثر فى ردع رعاياهم وتخويفهم ، وطوروها وخصصوا لها مكاناً وصليباً وأدوات للصلب . وكانت لدى الرومان طريقتان للصلب : طريقة الصلب السريع عندما يقطعون ساقى الشخص المحكوم عليه بالصلب فيفضى نزْفُ الدم من ساقيْه المقطوعتين إلى سرعة موته إعياءً واختناقاً عندما يفقد القدرة على التنفس لشدة الضعف والهزال من جراء النزف ، والطريقة =

وبالنسبة للمسيح نجد أن بيان الكتاب المقدس واضح وهو أنهم قد ثبتوه على الصليب باستخدام مسامير في يديه ورجليه . وأنتم تعرفون أن الرومان كانوا يطبقون عقوبة الإعدام لإرهاب العبيد . وأنتم تعرفون أيضاً أنه بين كل عشرة أفراد من سكان الامبراطورية الرومانية كان تسعة منهم من العبيد . ويذكر المؤرخون أن روما كانت تعيش فى رعب مستمر من العبيد ، ومن ثورة العبيد بسبب هذا العدد الكبير من العبيد ضمن رعاياها الذى كان يبلغ تسعة أمثال السادة الرومان . وربما كان بعض هؤلاء العبيد أكثر ذكاء وعلماً وتحضُّراً من أسيادهم الرومان . ولكن كان الرومان هم السادة ، وكان رعايا الامبراطورية الرومانية هم العبيد . وكان الرومان بحاجة ماسة دائمة إلى تخويف أولئك العبيد أو الرعايا المستعبدين . كانوا يأخذون بعض العبيد دون ذنب ويصلبونهم لكى يجعلوا من المصلوبين عبرة لمن لم يصلبوا . وجعلوا للصلب أماكن مرتفعة تتسع لجمهور كبير لمشاهدة عملية الصلب . كانوا يضعون الشخص المراد صلبه على صليب ويثبتونه عليه بمسامير فى ذراعيه وكاحليه أسفل الساقين . وكانوا يمارسون تنفيذ حكم الصلب فى أى مكان . ويظل الشخص معلقاً على الصليب حتى يموت عندما تفضى عملية الصلب إلى نقص الدم فى جسم الإنسان المصلوب ، فيحدث الاختناق المفضى إلى

= الثانية من طرق الصلب هى طريقة الصلب البطىء عندما يثبتون المحكوم عليه بالصلب على الصليب ولا يقطعون ساقيه ، ويتركونه مثبتاً على الصليب دون طعام أو شراب ليهلك جوعاً وعطشاً وإعياءً وبسبب حرارة الشمس نهاراً وبرودة الجو ليلاً حتى يموت على الصليب . ولا ريب أن طريقة الصلب البطىء أفظع وأشنع نظراً لطول الوقت الذى تستغرقه وطول معاناة المحكوم عليه بالصلب البطىء . ومن الثابت فى جميع الروايات وجميع الصور والرسومات المتعلقة بمسألة صلب المسيح عليه السلام أنه حكم عليه بالموت صلباً بطريقة الصلب البطىء . ربما اختلفوا ما إذا كانت وسيلة تثبيته على الصليب هى المسامير أو هى السيور الجلدية . وربما اختلفوا ما إذا كان بالصليب مسند للرأس أو لم يكن هنالك مسند للرأس . ولكن الثابت هو أن ساقىْ المسيح عليه السلام لم تُقطعا عند وضعه على الصليب . وهذه مسألة هامة ، بل هى أهم الاعتبارات فى مسألة الصلب برمتها ، إذ لو كانت ساقاه قد قطعتا لما كان هنالك مجال للشك فى موته على الصليب . أما وأن ساقيه لم تُقطعا ، أما وأن مدة بقائه على الصليب لم تتجاوز ست ساعات فى رواية وعشر ساعات فى رواية أخرى فإن احتمال إنزاله حياً عن الصليب وهم يظنونه قد مات لدفنه قبل انتصاف ليل الجمعة وبداية ليلة السبت احتمال قوى تؤيده براهين قوية كثيرة سيرد ذكرها فى هذه المناظرة وفى غيرها . (المترجم) .

الموت لنقص الدم من جراء الجوع والعطش والتعـرض للعوامل الجوية . ويُصاب الإنسان المصلوب بالاختناق ، ولا يستطيع أن يخرج من صدره نفساً ولا أن يستنشق نسمة أخرى من الهواء فيموت .

وكـمـا في حـالة يسـوع المسيح كـان الرومـان يجلدون الضـحية قبل بدء الصلب . وكـانت السياط الرهيبة التي يستخدمونها تجرح الظهر وتفجر الدم من أوردة الجسم وتضعف الشخص وتعجل بموته . وكما تعلمون فقد تم جلد يسوع المسيح قبل صلبه . وأنتم تدركون أن الرومان عندما كانوا يحكمون بالموت على شخص كان مـن الضروري أن يقتل ، وفي حالة يسوع المسيح كان الواضح أنهم جلدوه ثم سمروه على الصليب ، ومات في غضون ست ساعات [(١)] .

والسؤال الآن هو : مَنْ هو يسوع المسيح الذى صُلب ؟ لقد سمعنا منذ قليل أنه أحد الأنبياء . وجديرٌ بالتسجيل أننا نتفق تماماً مع هذه الوجهة من النظر ، إذ يقول كتابنا المقدس أنه قد وُلد من عذراء ، وكـان قادراً على صنع المعجزات ، وكـان نبياً ، وكـان معلّماً عظيماً . وكما فهمت من مدير هذا اللقاء ومن صديقي أحمد ديدات عرفت أن

---

(١) جلدوه ، يجوز . سمروه على الصليب ، يجوز . مات ؟ كيف يقطع البروفيسور فلويد كلارك أن المسيح قد مات على الصليب ؟ هل شهد موته بالفعل ؟ إن اليهود الذين كان يهمهم أن يموت على الصليب وكانوا قد تعبوا في استصدار أمـر بقتل المسيح صلباً ، وهم الذين يطلقون عليهم شهود العيان (Eye Witnesses) كـانوا قد شكوا وارتابوا فيـمـا إذا كان المسيح قد مات على الصليب قبل إنزاله أم تم إنزاله على الصليب قبل أن تتم وفاته ، وذهبوا إلى الحـاكم الرومـانى بيلاطس وطلبوا منه أن يرسل الحراس ليراقبـوا قبر المسيح حتى لا يهـرب ، فقال لهم : « اذهبوا أنتم وراقبوا » إذ لم يكن يعنيه من شأن المسيح أى شيء ، وكان قد وقّع على الأمر بقتل المسيح صلباً لمجرد إرضائهم حتى لا يثيروا المتاعب له ويعملوا على الوشاية به لدى قيصـر الرومان فى روما . وأهم من كل شيء .. أليس شأن الموت والحياة بيد الله وليس بيد البشر ؟ من الذى يقرر وفاة الإنسان ؟ إنه الله . لقد مكر اليهود وأرادوا أن يقتلوا المسيح صلباً ونجحوا فى استصدار أمر الحاكم الرومانى بقتله صلباً ، ونجحوا فى أن يحركوا جند الرومان للقبض على المسيح ، ونجحوا فى وضعه على الصليب . ومكر الله والله خير الماكرين . ظن اليـهـود أن المسيح قـد مات على الصليب وكان بفضل الله لم يمت على الصليب . ما لهم بالموت من علم ﴿ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ كيف يقطع أحد أنه مات على الصليب ؟ إن هذا هـو الذى شُبّه لهم . ظنـوا أنه كان قـد مـات فأنزلوه ، وكان فى حقيقة الأمـر لم يمت . (المترجم) .

القرآن يأمر أن تحترموا وتتبعوا هذا الشخص المسمّى باسم يسوع المسيح [١] .

ولكن الكتاب المقدس يخبرنا أن هذا الشخص المسمى يسوع المسيح الذى صُلب كان أكثر من نبى وأكثر من رسول ، إن اسمه عندكم هو « عيسى المسيح » واسمه بالإنجليزية هو (چيزوس Jesus) وكلمة چيزوس فعل بمعنى يخلِّص ، وبهذا يكون چيزوس هو المخلِّص الذى يخلص البشر من ذنوبهم وخطاياهم . ونعلم من الكتاب المقدس أيضاً أن ملكاً من ملائكة السماء كان قد جاء إلى العذراء مريم وأمرها أن تسميه بهذا الاسم لأنه سيخلِّص [٢] البشر من خطاياهم .

وكلمة (چيزوس) ليست مأخوذة من اللغة العبرية ، بل هى مأخوذة من اللغة

---

(١) أما عن الاحترام فهذا صحيح . القرآن الكريم يأمر المسلمين باحترام المسيح عليه السلام واحترام كل أنبياء الله ورسله . أما فيما يتعلق بشأن الاتباع فإننا نجد أن القرآن الكريم يأمر الناس جميعاً باتباع تعاليم الإسلام باعتبار أن الإسلام هو خاتم الأديان السماوية ، وباعتبار أن رسول الإسلام ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، وباعتبار أن العقيدة الإسلامية بما تحفل به من دعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده توحيداً تاماً خالصاً دون إشراك به هى أصح العقائد الدينية وأتمها ، وباعتبار أن الشريعة الإسلامية هى أصح الشرائع الدينية وأكملها . ولقد نبَّه القرآن الكريم إلى أن أنبياء الله ورسله السابقين زمنياً على ظهور الإسلام كانوا يدعون (أقوامهم) إلى عبادة الله وتوحيده ، وكانت شرائعهم خاصة بأقوامهم . ومن الثابت أن سيدنا عيسى عليه السلام لم يأت بشريعة جديدة ، ومن الثابت بموجب نصوص التوراة ذاتها أن شريعة سيدنا موسى ذاتها ليست هى الشريعة الكاملة ، واليهود أنفسهم يعترفون بذلك . ومنه يتضح أن الدين عند الله هو الإسلام وأن علينا أن نتبع دين وعقيدة وشريعة رسول الإسلام محمد ﷺ ، ولا يأمر القرآن الكريم أن نتبع يسوع المسيح كما يغالط البروفيسور فلويد كلارك . (المترجم) .

(٢) يستخدمون فكرة خلاص الناس من خطاياهم Sins ومن الخطيئة الأصلية Original Sin حيث إن الفادى المسيح يسوع قد افتدى خطايا البشر بدمه بشرط أن يكون الإنسان مسيحياً . وما دام الشخص قد قبل أن يعمَّد كمسيحى ، وأن يتناول الخبز باعتبار أنه جسد المسيح ، والخمر باعتبار أنه دم المسيح (الأفخارستيا) فهو مستحق الاستفادة من فداء يسوع المسيح لخطايا البشر بدمه . ومن لم « يؤمن ولم يعمَّد ولم يتناول » يكون غير مستحق للاستفادة . فكرة مغرية للناس . تعالوا إلى المسيحية يتحقق لكم الخلاص من خطاياكم وإلا فلا خلاص لكم . دم المسيح يفدى من يؤمن به ويتبعه فحسب . هل اتخذوا عند الله عهداً بذلك ؟ ومن يضمن صحة زعمهم هذا الذى يزعمونه ؟ حقيقة الأمر هى أن كل إنسان يُحاسَب . (المترجم) .

اليونانية (١) لأن اللغة اليونانية كانت هى اللغة الشائعة الاستخدام فى جميع أرجاء الامبراطورية الرومانية فى كل البلدان التى كانت خاضعة لحكم الرومان ، ولذلك كتب العهد الجديد من الكتاب المقدس باللغة اليونانية . وكلمة المسيح تعنى الممسوح بالزيت . وعندما سأل عيسى حوارييه : منْ أكون ؟ أجابه بطرس قائلاً : « أنت المسيح » .

وتعني كلمة المسيح أيضاً الشخص الذى منح سلطة ، ولذلك كان من المألوف أن يتم مَسْح الأنبياء والكهنة والملوك عند تتويجهم . وعندما قال بطرس للمسيح : « أنت المسيح » كان لا بد أنه يعنى النبى والكاهن (٢) والملك .

ويحدثنا إنجيل يوحنا أن تلاميذ المسيح كانوا قد شهدوا أنه كان يحدثهم كما

---

(١) إن دخول كلمات يونانية مثل تسمية سيدنا عيسى عليه السلام باسم Jesus واستخدام كلمة كرايست Christ بدلاً من كلمة المسيح وتغيير اسم شاول الذى أدخل المسيحية إلى عالم الرومان واليونان إلى بولس Paul يدل هذا وذاك وغيره على تأثر المسيحية وتعاليمها بنفوذ الرومان واليونان ، وهو تأثير وصل إلى حد صياغة البشر لكلام الله وتعاليمه . ويراجع فى ذلك ما أحدثه بولس من تغيير فى العقائد والشرائع المسيحية لإرضاء واستهواء الرومان، مثل إباحة عدم الختان ، وإباحة شرب الخمر ، وإباحة أكل لحم الخنزير . وفى مجال العقيدة كان الأمر أخطر . (المترجم) .

(٢) ها هو ذا البروفيسور فلويد كلارك بطريقة دجماطيقية اعتسافية لا مجال فيها لنقاش أو تدليل أو برهان، وبعد أن كان قد « قرر » أن المسيح عليه السلام قد مات على الصليب نتيجة للصلب، ها هو ذا يريد أن يجعل للمسيح « سلطاناً » يفوق سلطان أى نبى من أنبياء الله أو رسول من رسل الله ، « سلطاناً هو سلطان الله » تمهيداً ليجعل « المصلوب إلهاً » .

وقول بطرس للمسيح : « أنت المسيح » يستحيل أن يعنى أن المسيح كان كاهناً وكان ملكاً بالإضافة إلى أنه كان نبياً . كان النبى يمسح بزيت باعتبار أنه نبى ، وكان ذلك يتم على يد نبى سابق ، متقدم فى السنّ يمسح نبياً شاباً فتياً من بنى إسرائيل عندما تتأكد دلائل نبوته جرياً على عادة بنى إسرائيل فى ذلك . وهكذا مسح يوحنا المعمدان المسيح عليه السلام. وكان الكاهن يمسح باعتبار أنه كاهن . وكان الملك يمسح بالزيت على يد كبير الكهنة عند تتويجه ملكاً مباركة له واعترافاً بشرعية ملكه ، وتأكيداً لولاء رجال الدين والشعب له . ولم يكن أحد يُمسح بأكثر من صفة واحدة . ولكن البروفيسور فلويد كلارك يريد أن يجمع الصفات الثلاث للمسيح عليه السلام . لم يكن المسيح ملكاً ، ولم يمارس سلطات الحكم على أى شعب كملك ، ولم تكن لديه سلطة إصدار الأحكام على رعيته كملك ، بل عكس ذلك حدث للمسيح عليه السلام ، إذ أصدر الحكم عليه بالقتل صلباً والٍ رومانى على فلسطين تابع لملك الرومان . وأنقذ الله نبيّه المسيح . (المترجم) .

لم يحدثهم أى إنسان [١] . واعترف أعداؤه أن يسوع كان نبياً حقاً وكان يتكلم بسلطان كبير وعظيم ، ويسوع نفسه قال شيئاً مثل هذا عن كلامه . قال : إن الكلام الذى أقوله لكم هو الروح وهو الحياة .

أما كونه كاهناً فقد قيل لنا فى الرسالة إلى العبرانيين : إن يسوع قد تم تنصيبه كاهناً ، بل كرئيس كهنة مثل ملك صادق .

وأما كونه ملكاً فقد كان هذا هو السبب فى صلبه [٢] لأنه عندما سأله بيلاطس : هل أنت ملك ؟ أجابه يسوع بقوله : « أجل أنا ملك » [٣] . وعندما مات يسوع كتب بيلاطس فوق رأسه بثلاث لغات عبارة : « ملك الملوك » [٤] .

---

(١) البروفيسور فلويد كلارك يمهد لكى يجعل المسيح إلهاً وليس إنساناً ، وهو لا يقدم دليلاً ، ولا يقدم نصاً من الإنجيل . ومع أن نصوص الإنجيل لا تلزم سوى المسيحى الذى يؤمن بالإنجيل ، فهو لا يستخدم أى نصوص محددة على الإطلاق . (المترجم) .

(٢) هكذا يلقى الكلام جزافاً على عواهنه . لم يُصلب المسيح لأنه كان ملكاً . وأقصى ما يمكن قوله بهذا الخصوص أن خصومه من رؤساء اليهود لخشيتهم على نفوذهم الدينى بين الناس أرادوا التخلص من المسيح عليه السلام . اتهموه تهماً كثيرة ، وكان أهمها هو أنه يريد أن يكون ملكاً على اليهود . وأبلغوا الحاكم الرومانى بيلاطس بهذا الاتهام واستجوب بيلاطس المسيح عليه السلام بشأن هذا الاتهام ، فقال للمسيح ، حسب رواية إنجيل يوحنا : « أنت ملك اليهود ؟ » (يو ١٨ : ٣٣ ـ ٣٦) فسأله المسيح ما إذا كان هو نفسه يعتقد ذلك أم أن اليهود هم الذين أبلغوه ذلك ، فقال له بيلاطس : هل أنا يهودى ؟ ومعناه الاستنكاف أن يكونَ يهودياً أو أن يعتقد مثل هذا الاعتقاد الغبى غير الصحيح فى أن عيسى ملك أو طامع فى مُلْك . فقال له المسيح : « ... مملكتى ليست من هذا العالم . ولو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى قدامى يجاهدون لكيلا أُسَلَّمَ إلى اليهود . والآن ليست مملكتى من هنا » . نفى المسيح وبرهن على أنه ليس ملكاً . كيف يقول البروفيسور فلويد أنه كان ملكاً وكان ذلك هو السبب فى صلبه ؟ (المترجم) .

(٣) من أين جاء البروفيسور فلويد كلارك بقوله إن يسوع أجابه قائلاً : « أجل أنا ملك » . الإنجيل موجود ، وليس فيه هذا الذى يقول بل يوجد فيه عكس ذلك تماماً ، إذ نفى المسيح تهمة أن يكون ملكاً . ولقد أوردنا النص على ذلك بالملاحظة الهامشية السابقة . إن لم يكن هذا هو التحريف بعينه فكيف يكون تحريف الكلام عن مواضعه ؟ هكذا يحرفونَ ، وبمنتهى البساطة والجرأة دون أن تطرف لهم عينٌ . (المترجم) .

(٤) كان ذلك على سبيل السخرية ، ولم يكن معبراً عن الحقيقة . (المترجم) .

وهكذا اعترف الحكام والملوك أن يسوع كان يدّعى شكلاً من أشكال الملوكية . وعندما نسأل من هو يسوع يجب علينا أن ننظر إليه باعتبار أنه نبى ورئيس كهنة وملك . وعندما تم تعميد يسوع على يد يوحنا المعمدان قال له الملك : ستذهب إلى البرية ليجربك الشيطان . وعندما عاد من البرية قال عنه يوحنا المعمدان الذى كان قد عمّده من قبل : « هو ذا حَمَل الله الوديع » .

إن هذا التعبير يجب أن يعنى شيئاً لديكم أنتم على وجه الخصوص أيها المسلمون لأنكم كمسلمين تعتقدون أنه من الضرورى لكم أن تذبحوا كبشاً بدلاً من ذبح شخص [١] . ولقد قال يوحنا عن المسيح : هو ذا حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم .

وعلينا أن نفهم رسالة يسوع التى جاء لكى يؤديها ، وعلينا أن نلقى نظرة على العالم الذى جاء إليه يسوع بهذه الرسالة . كان الناس فى بداية عهد المسيح يرتابون ويشككون فى وجود الله . وكانوا يقولون : لو كان هنالك إله لكان يعتنى بالإنسان وخاصة بالإنسان الفقير . وكان كل إنسان فى بداية عهد المسيح يعتمد على كده وعلى كسب يده ، ولا يستطيع الاعتماد فى حياته على أى شيء آخر أو أى شخص آخر . لقد كان المفكرون فى هذا العهد يبحثون عن معنى للحياة ، ولم يجدوا لها معنى أكثر من الأكل والشرب . وكانوا يقولون غداً سنموت . وكانوا يضطرون أحياناً إلى الانتحار . وكانوا يعتقدون أن أجسادهم بكل ما فيها من شرايين وأوردة ستفنى وتتلاشى .

وعلى الرغم من أن كل شيء فى هذا الكون يدل على وجود الله ، كان الناس فى بداية عهد المسيح لا يؤمنون بالله وكانوا يفتقدون الثقة بالله ، وبأن الله يحب الإنسان ولا يكرهه ، وجاء المسيح ليخلص المؤمنين به من الهلاك . وإذا كان هذا الخلاص من الهلاك والشقاء ممكناً فمن الضرورى أن يغير الناس أفكارهم ، لأنهم كانوا واقعين تحت تأثير فكرة عدم وجود إله ، ولم يكن أحد منهم قد آمن بيسوع المسيح آنذاك .

وجاء يسوع المسيح لكى يجعل الناس يؤمنون بالله ويثقون بالله . ولقد أثبت يسوع

(١) هذا فهم مشوش للأضحية التى يقدمها المسلمون . ليس أى شخص معرضاً للذبح فى الإسلام . إنه شخص واحد الذى تعرض لهذا الابتلاء وهو سيدنا إسماعيل عليه السلام إذ رأى سيدنا إبراهيم فى المنام أنه يذبحه . وصدق سيدنا إبراهيم الرؤيا ، وافتدى الله سيدنا إسماعيل بذبح عظيم . وتفاصيل القصة فى القرآن الكريم معروفة . ولم يخبرنا القرآن الكريم أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام سيفدى البشرية بدمه . (المترجم) .

المسيح للناس لا بالكلام فقط ولكن بالتضحية بحياته ذاتها أن الله لا يزال هو صاحب السيطرة والسلطان ، وأن الله يريد للإنسان أن تكون لديه القدرة على دحر الشيطان ، وأن يكون الإنسان هو المنتصر فى هذا العالم وهذه الحياة .

ولكى يتم للإنسان فى هذا العصر مثل هذا الانتصار فمن الضرورى أن يعترف الإنسان بهذه الحقيقة [١] . وإذا كان علينا أن نواجه هذه المشكلة فى عالم اليوم ، فعلينا أن نوحد جهودنا ونصنع عالمنا ، لأن العالم لم يوجد نفسه بنفسه بل إن الله هو خالق ورب هذا الكون . ولسوف يحاسب الإنسان ويحاكم.

ولقد قال يوحنا فى مقدمة إنجيله إن النعمة قد تمت ، وإن الحق قد اكتمل بمجىء يسوع . وهذه هى الحقيقة . قبل مجىء يسوع لم يكن الإنسان متصلاً بأخيه الإنسان . كان كل إنسان يعيش من أجل نفسه وكانت الغلبة للشيطان . وجاء يسوع المسيح ليبين للإنسان كيف أن نعمة الإيمان بيسوع المسيح المخلص الفادى [٢] تخلص الإنسان من الشقاء الذى وقع فيه .

ولكن الإنسان عليه قبل ذلك قبول الحقيقة . حقيقة الله فى كونه ، وحقيقة الإنسان فى احتياجه إلى الله فى كل شأن من شئون الإنسان . ولكى يتمكن يسوع المسيح من بلوغ هذه الغاية كان عليه أن يصطنع وأن يمتلك قدرة الله . وكما تعلمون وكما تؤمنون أيها المسلمون فلقد صنع يسوع معجزات [٣] كبرى كثيرة ، لا يزال

(١) أى حقيقة ؟ الحقيقة التى يقصدها كما سيفصح عنها هى أن المسيح عيسى ابن مريم إله وابن الله ، أرسله أبوه إلى الناس ليموت على الصليب ويفدى خطايا البشر بدمه رحمة بالخطاة وتخليصاً للناس من التعاسة والشقاء . وكل من يريد أن يستمتع بثمار هذا الفداء عليه أن يؤمن بمزاعم معينة دون فهم أو مناقشة . (المترجم) .

(٢) الخلط بين الأفكار مستمر . فكرة الإيمان بوجود الله فكرة صحيحة . أضاف إليها فكرة أن الله هو المسيح ، وأن المسيح هو ابن الله وأنه هو الذى « أخذ سلطاناً عظيماً » من أبيه وهو الذى سيحاسب ويدين الناس يوم القيامة . والبروفيسور كلارك يضيف إلى هذه التوليفة أو إلى هذه الحزمة فكرة أخرى هنا ، وهى فكرة أن المسيح مات على الصليب ليفدى خطايا البشر والخطيئة الأصلية ، خطيئة سيدنا آدم . هذه هى كيفية بناء وتركيب أفكار ومبادئ العقيدة المسيحية لا كما يعبر عنها مسلم ، بل كما يعبر عنها عالم ومبشر من كبار العلماء والمبشرين المسيحيين هو البروفيسور فلويد كلارك . (المترجم) .

(٣) هنا أيضاً خلط للحق بالباطل . حقا ، لقد أجرى الله على يدى المسيح عليه السلام - بقدرة =

العالم يتحدث عنها . لقد حول الماء إلى خمر ، وأطعم خمسة آلاف رجل عدا النساء والأطفال . وتوقفت الريح وهدأت الأمواج التى كانت هائجة ببركته . ولقد شفى الأبرص وأعاد البصر للأعمى . ومعنى ذلك هو أن الله لا يكرهنا ولا يسعى إلى هلاكنا ، بل إن الله يحبنا ويعد لنا عالماً صالحاً من أجل حياتنا فى هذه الحياة الدنيا وفى الحياة الآخرة أيضاً .

وكما تعلمون لو كنتم قرأتم الإنجيل ، فإن يسوع كان قد أحيا رجلاً كان قد مات لمدة أربعة أيام . وكانوا قد أعدوا الجثة للدفن ، وقاموا بغسل جثة الرجل الميت ، ووضعوا عليها ما أتيح لهم من حنوط ومن طيب ، ولفوها فى كفنها ، وحملوها إلى المدفن حيث وضعوها بداخله ، ووضعوا فى مدخل المدفن حجراً .

ولم تكن أخت هذا الشخص المتوفى مريم ، ولا أخته الأخرى مرثا تعرفان أن أخاهما « لعازر » كان قد مات عندما كانتا قد توجهتا لإخبار يسوع بمرض أخيهما ، لكى يأتى ليراه عسى أن يشفيه من المرض . وعندما جاء يسوع إلى منزل لعازر كان قد مات ودفن منذ أربعة أيام . وذهب يسوع إلى قبر لعازر وطلب من أخته أن ترفع الحجر الذى فى مدخل القبر . فقالت له إن أخاها قد مات ودفن منذ أربعة أيام وأنتن . ورفع يسوع الحجر من مدخل قبر لعازر . وفاحت الرائحة الكريهة . ولكن يسوع سجد لله وقال له : " يا رب أشكرك لأنك سمعت لى ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت إننى

= الله وليس بقدرة المسيح ـ معجزات معروفة ليصدق قومه ويؤمنوا بصدق رسالته من الله إليهم . هذا حق . ولكن البروفيسور فلويد كلارك يقول إن يسوع صنع المعجزات بقدرة يسوع الشخصية وليس بقدرة الله الذى أرسله . والبروفيسور فلويد كلارك يخطئ أيضاً فى معنى ودلالة المعجزة ، علام تدل المعجزة ؟ المعجزة تدل على صدق رسول من رسل الله فى رسالته إلى الناس . ويعتبر البروفيسور كلارك والمسيحيون أن معجزات المسيح أدلة على ألوهية المسيح . وليتهم يضعون فى اعتبارهم أن المعجزة لا تتضمن محتوى الرسالة فيما عدا معجزة القرآن الكريم إذ تضمنت معجزة القرآن الكريم محتوى الرسالة فى صميم المعجزة . حدثت معجزات الأنبياء ورسل الله السابقين زمنياً للإسلام وانقضت . أحدثت تأثيراً أو لم تحدث تأثيراً بالنسبة لمن شاهدها وعاينها . أما معجزة القرآن الكريم فهى باقية خالدة على مر القرون وتوالى الأجيال . ومن العجيب المدهش أن القرآن الكريم قد حوى كل معجزات الأنبياء ورسل الله السابقين وحكى عنها بدقة لتكون ذخيرة إيمان وعبرة للناس . المهم بشأن المعجزات ها هنا هو أنها دلائل على صدق الرسل والأنبياء وليست دلائل على ألوهية المسيح عليه السلام . (المترجم) .

سأحيي لعازر ليؤمنوا أنك أرسلتني[١] » . ولما قال هذا صرخ قائلاً : « لعازر . تَعالَ . هَلُمَّ إليَّ » . وخرج لعازر من القبر يمشي على قدميه خارجاً من المدفن . وهذا عجيب جداً بالنسبة لعقولنا .

إنني أتساءل : مهما تغلب الإنسان على الشيطان ونجح في مقاومة سلطانه ، هل يستطيع إنسان أن يصل إلى مثل هذه السلطة ؟ هل مثل هذه السلطة والقدرة على إحياء الميت[٢] متاحة ممكنة لأحد في أيامنا هذه بالغاً ما بلغت سلطة إنسان في هذه الأيام ؟

والتفت البروفيسور فلويد كلارك نحو الشيخ أحمد ديدات وقال له :

أخي أحمد : إنني أحاول أن أقول إننا لن نستطيع أن ننجز شيئاً بالمناظرات[٣] ، وإذا أردنا أن ننجز شيئاً حقيقياً علينا أن نلتزم بالأخوة وبالصدق ، وبأن نتعاون سوياً ، وأن نجتهد في أن يفهم بعضنا بعضاً بصدق[٤] . ولم يكن ذلك ممكناً أيام يسوع

---

(١) تدل كلمة « أرسلتني » هنا على أن المسيح عليه السلام رسول من رسل الله سبحانه وتعالى مصداقاً لوجهه النظر الإسلامية بشأن المسيح عليه السلام . وها هو ذا يطلب من الله أن يجرى هذه المعجزة على يديه وألا يخذله ليؤمن الناس برسالته . وإذا كان المسيح قد أحيا هذا الميت المدعو لعازر ، فهي حالة فردية واحدة وليست قدرة مطلقة بحيث يحيي المسيح أي إنسان يموت . إنها معجزة لرسول من رسل الله ، وليست قدرة مطلقة ذاتية . أحيا المسيح ميتاً واحداً كمعجزة ، ويحيي الله الموتى بقدرته التي لا يحدها حد . وليس في ذكر معجزات المسيح ما يدل على موت أو عدم موت المسيح على الصليب . (المترجم) .

(٢) السؤال عن السلطة هنا معناه أن البروفيسور فلويد يريد أن يقنع الناس أن سيدنا عيسى عليه السلام إنما هو إله في حقيقة الأمر ، لأن القدرة على إحياء « الموتى » من قدرات الله وليست من قدرات البشر . وهذا قياس فاسد وتعليل غير صحيح بالمرة ، لأن سيدنا عيسى عليه السلام قد أحيا ميتاً هو « لعازر » كمعجزة تبين صدق رسالة سيدنا عيسى كرسول لله إلى قومه . أما الله فهو الذي خلق لعازر وغير لعازر . والله هو الذي يميت ثم يحيي الناس جميعاً وليس لعازر وحده . هل خلق سيدنا عيسى لعازر ؟ لا . هل خلق الناس ؟ لا . هل سيحيي كل الموتى ؟ لا (المترجم)

(٣) يريد أن يقول له : الغ عقلك واقبل كل مزاعمي ولا تفند منها شيئاً عندما تأخذ دورك في الكلام . (المترجم) .

(٤) هل معنى الأخوة والصدق والتعاون هو قبول المزاعم المسيحية بشأن ألوهية المسيح وبشأن موته على الصليب بقصد فداء خطيئة آدم وخطايا البشر ، وبدون ذلك لا أخوة ولا صدق ولا تعاون ؟ وكيف يمكن أن يقبل إنسان مسلم ذلك وقد أخبره الله حقيقة شأن عيسى وأمه مريم وأبيها =

المسيح ، ولذلك كان عليه أن يموت هو نفسه ليثبت أنه يملك القوة العظيمة التى تجعل من المستحيل على أى شخص أن يقضي عليه ما لم يوافق هو على ذلك [١] . ولقد قال عيسى: « لم يقتلنى أحد . أنا سأضحى بحياتى بنفسى ، وإذا كنت أملك القدرة على التضحية بروحى فأنا عندى القدرة على استردادها » [٢] .

وهناك عادة عند المسيحيين تسمى « تناول العشاء الربانى » . وهذه العادة إنما هى تجسيد لمعنى ذلك الذى كان يقوله المسيح يوم الأحد . وعندما يخرج المسيحى من جيبه قطعة خبز ويكسرها ويأكلها فهو يتذكر المسيح فى تلك الحجرة العلوية التى يجتمع فيها

= هارون وكل آل عمران وكيف أن سيدنا عيسى كان رسول الله إلى قومه بنى إسرائيل ، وأنهم كذبوه وآذوه وحاولوا قتله صلباً ، ونجاه الله من مكرهم وكيدهم ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ؟ وإذا كان سيدنا عيسى لم يمت على الصليب ، وهم لا يملكون إزاء موته على الصليب إلا الظن ، ظنوا أنه مات على الصليب ، فكيف تصح مزاعمهم وهو لم يمت على الصليب ؟ أتكون ثمة ألوهية لسيدنا عيسى ؟ أيكون ثمة مجال لفداء أو تخليص للناس من آثامهم ؟ كيف تصح مزاعمهم ما دام المسيح لم يمت على الصليب ؟ (المترجم) .

(١) تكذب نصوص الكتاب المقدس زعمه بأن المسيح قد ذهب إلى الصليب ليصلب بمحض اختياره وإرادته ، تذكر كتبهم المقدسة أن جند الرومان قد قبضوا عليه واقتادوه رغم إرادته إلى مكان الصلب حيث شرعوا فى صلبه . (المترجم) .

(٢) أين قال المسيح هذا الكلام ؟ إنه غير موجود بالكتاب المقدس لدى المسيحيين . هذه هى طريقتهم فى المغالطة وفى تحريف الكلام عن مواضعه . إنهم لا يترددون فى اختلاق أو حذف أى كلام من أجل إثبات مزاعمهم التى يصرون عليها . ولا يترددون فى استخدام الألفاظ والكلمات لمعانٍ غير معانيها التى تتبادر إلى أذهان الناس ولا يهتمون بمعانى الكلمات كما تواضع عليها الناس . « ابن » ليست كلمة تدل على بنوة الابن لأبيه ، وكلمة « أب » لا تعنى الأبوة المتعارف عليها بين الأب وأبنائه . وهم يخلطون بين الحقيقة والمجاز عندما يزعمون أن المسيح قد قال : « أنا والأب واحد » يصرون على أنها تعنى أن الله والمسيح واحد ، ولا يقبلون أن يكون « التوحد » فى الهدف والقصد والغاية . الله يريد أن يهتدى الناس إلى الإيمان به وحده لا شريك له . والمسيح باعتبار أنه رسول الله يريد أن يهدى الناس إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له ، وعندما تقول لصاحبك : « أنا وأنت واحد » فهل معنى ذلك أنكما شخص واحد أم معناه أن هدفكما واحد ؟ إن البروفيسور فلويد يحاول بهذه الأكاذيب التى يوردها على لسان المسيح أن يهيئ الأذهان لتقبل فكرة أن المسيح قد مات على الصليب ، لأنه إله أراد أن يصلَب ولم يجبره أحد على ذلك . (المترجم) .

مع الحواريين بعد قيامته ، لكي يحضرهم ويجهزهم ويهيئ نفوسهم لوقت الرحيل ، وليذكرهم أنه إذا رحل فإنه سيعود حتماً إذ أنه كان قد أكل قطعة من الخبز . أخذ الخبز وباركه وكسره وقال هذا هو جسدى . كلوا هذا . واصنعوا هذا إحياء لذكراى . ويتذكر المسيحيون الآن لحظة التناول هذه ، تناول المسيح لذلك الخبز المقدس ، يتذكر المسيحيون ، وهم يتناولون الخبز المقدس [1] كل ذلك الذى كان قد حدث للمسيح

---

(١) « التناول » من الطقوس الأساسية عند المسيحيين ، ويطلقون عليه تسمية أجنبية فخمة إذ أنهم يسمونه « الأفخارستيا » . ويتم « التناول » بأن يتناول المسيحى قطعة صغيرة من الخبز ويبلعها متصوراً فى ذهنه أنها جسد المسيح ، ويشرب بعض الخمر باعتبار أنه هو دم المسيح . وهم يزعمون أنه بين الخبز والخمر يوجد لاهوت المسيح . كيف يكون ذلك ؟ إنهم يعتمدون على الإيحاء المفضى إلى التخيل حتى ترسخ هذه المعانى الغريبة فى ذهن وعقيدة المسيحيين جيلاً بعد جيل. وهل يقاوم من يتناول قطعة من الخبز ويضعها فى فمه ويمضغها باعتبار أنها جسد المسيح، هل يقاوم أو يرفض هذا الشخص أية مزاعم دينية بالغة ما بلغت غرابتها وبالغاً ما بلغ وضوح عدم معقوليتها ؟ إننا لا نختلق شيئاً من عندنا . ها هو ذا البروفيسور كلارك يتحدث بنفسه بالصوت والصورة عن ممارسة طقس التناول أو الأفخارستيا . ولقد أورد الدكتور محمد وصفى نصاً من كتاب مؤلف مسيحى اسمه استيفانوس برجيا معنون بعنوان : (إرشاد لأجل الاعتراف وتناول القربان المقدس) . وفيما يلى جزء بسيط صغير منه ، وهو على شكل سؤال وجواب :

س : ما هو سر الأفخارستيا ؟

جـ : هو السر الذى تحت أشكال الخبز والخمر يحوى جسد ودم ولاهوت سيدنا يسوع المسيح ليكون لنا قوتاً روحياً .

س : هل يوجد فى الأفخارستيا يسوع المسيح عينه ، الذى هو فى السماء والذى كان فى الكلية القداسة مريم البتول ؟

جـ : نعم ، يوجد المسيح عينه .

س : أى شىء هو القربان قبل التقديس ؟

جـ : هو خبز .

س : أى شىء هو القربان بعد التقديس ؟

جـ : هو جسد سيدنا يسوع المسيح الحقيقى (ا هـ) .

وبالكتاب أسئلة وأجوبة عجيبة أخرى ، تضيق هذه السطور عن سردها ، ويستطيع من يشاء الاطلاع عليها فى صفحة (١٢٧) وما بعدها من الكتاب المذكور للدكتور محمد وصفى .

(المترجم)

على الصليب ، ويتذكرون قول يسوع المسيح وهو على الصليب إذ قال بصوت عظيم : « يا أَبَتاهُ بين يَدَيْكَ أَستودِعُ رُوحى . وفى لحظةٍ أُسْلِمُ رُوحى » .

وفى كل لحظة أكسر أنا فيها الخبز شأن أى مسيحى عند التناول المقدس كل يوم أحد ، أتذكر أنا وأخوتى المسيحيون تلك اللحظة ، لأنه قال : تذكرونى وتذكروا كيف ضحَّيت بروحى ، ولكننى سأعود بنفس السرعة . إن نبيكم أيها المسلمون يأمركم أن تؤمنوا بعودة يسوع المسيح [1] فى ذروة أحداث هذا العالم فى هذا العصر حتى يفيد فى الحكم على القضايا النهائية فى عالمنا .

ولدينا نحن المسيحيين عادة أخرى تعودناها فى طقوسنا المسيحية ، وهى من العادات ذات الدلالة الهامة . إنكم أيها المسلمون تقولون عنا إننا متناقضون . وحقيقة الأمر هى أن عاداتنا الدينية لها جذور تاريخية قديمة . أنتم تعرفون من الكتاب المقدس أنه عندما قابل يوحنا المعمدان المسيح عليه السلام شرع على الفور فى تعميده فى نهر الأردن . وانفتحت السماء ونزل الروح القدس ودعاه الله باعتبار أنه ابنه الحبيب . ثم قال يسوع لتلاميذه : انتشروا فى العالم وعلموا الناس وبشروا بالإنجيل وعمّدوا الناس باسم الآب والابن والروح القدس [2] . وأنتم ترون أنه عندما يطيع المسيحى هذا الأمر فهو يبرهن فى

(١) زرع خصوم الإسلام من اليهود والنصارى فكرة إلقاء شبه المسيح على شخص غيره أخذوه وصلبوه ونجا المسيح ورفعه الله بجسده حياً إليه فى السماء ، كما زرعوا لدى المسلمين فكرة أن المسيح عليه السلام سينزل من السماء قُرب قيام القيامة ليكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويقتل المسيح الدجال عند باب لد ، ويشهد بصحة تعاليم الإسلام ، وكأن صحة تعاليم الإسلام بحاجة إلى شهادة أحد . ومن العجيب أن فكرة المجىء الثانى للمسيح فكرة يهودية ، ويقول اليهود إنه سيشهد بصحة اليهودية وسيحضر معه الشريعة الكاملة . ويؤمن النصارى أيضاً بالمجىء الثانى للمسيح ويقولون إنه سيشهد بصحة المسيحية وسيهلك غير المسيحيين . وقد تم تحويل الفكرة لتكون مغرية للمسلمين . هذا هو شأن فكرة المجىء الثانى للمسيح ، زرعوها بين المسلمين ، ودسوها على المفسرين وعلماء الحديث ، وزوروا بعض الأحاديث ونسبوها إلى النبى ﷺ . وها هم أولاء يجنون ثمار الدسّ ، والثمار متعددة وخطيرة . (**المترجم**) .

(٢) هكذا ينتقل البروفيسور فلويد كلارك من فكرة إلى أخرى . إنه ينتقل من فكرة صلب المسيح بمعنى موت المسيح على الصليب إلى فكرة فداء خطايا البشر بسفك دم المسيح على الصليب وإزهاق روحه ، إلى فكرة تكريس طقس التناول المقدس أو الأفخارستيا ، إلى فكرة التعميد . =

الحقيقة على أن يسوع المسيح قد تم له استثمار طاعته لهذا الأمر فى حياته ليؤثر عليها تأثيراً حسناً . ويكون المسيحى أيضاً قد برهن على إيمانه بأن يسوع المسيح قد مات على الصليب ، ودفن ، وقام من الموت بعد ثلاثة أيام ، ورفع إلى السماء وسيعود من جديد . وكلما تعمّد أحد يكون تعميده دليلاً على هذا الأمر وعلى صحة هذه المعتقدات وعلى إيمانه الشخصى بصحتها (١) .

إن هذا الشخص المسيحى الذى يُعمَّد كمسيحى يؤمن بأنه كما مات يسوع يمكنه هو أيضاً أن يموت فى حياته ، ويمكن له أن يُولد من جديد عندما تموت كل خطاياه .

وكما دُفن يسوع فى القبر يمكنه أيضاً أن يدفن كل خطاياه . وكما قام يسوع من بين الموتى وقهر الموت وتحرر من الموت يمكنه أيضاً أن يتحرر من خطاياه وأن يتصل بالروح القدس وأن يعيش كما أراد الله لشعبه أن يعيش .

وهكذا نَخْلُصُ إلى أن هنالك نقطتين عليكم أن تفهموهما ، وأن تتقبلوهما أيها

= ومن خلال هذين الطقسين من الطقوس المسيحية : التعميد والتناول المقدس يتم ربط المسيحيين بالكنيسة وبرجال الكهنوت المسيحى ليسيطروا على شعب الكنيسة سيطرة تامة تمكنهم من فرض أى معتقدات على المسيحى أن يتناولها دون أى اعتراض كما يتناول قطعة الخبز باعتبار أنها جسد المسيح ، ويتناول قليلاً أو كثيراً من الخمر باعتبار أنه دم المسيح . (**المترجم**) .

(١) هكذا يكون غمس شخص فى الماء وإخراجه منه ثلاث مرات معناه القبول بكل المعتقدات المسيحية . أليست هذه هى الدجماطيقا بعينها ؟ الدجماطيقا Dogmatism هى الإيمان بصحة أفكار مع عدم بحثها أو فحصها أو تمحيصها أو مناقشتها عقلياً باعتبار أن العقل أضعف وأعجز من أن يفهمها . ومن الواضح أن البروفيسور فلويد كلارك يعتمد على هذه الطريقة ويستخدم هذا المنهج الدجماطيقى . إنه يفترض أن كل الناس يسلمون أن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد هو كلام الله حقاً بلا زيادة أو نقصان ، وهو يضيف إليه ما يشاء من أقوال ينسبها إلى المسيح ، وهو يلقى إلى السامعين بالعقائد المسيحية وعليهم أن يقبلوها ويؤمنوا بصحتها ، مثل أن المسيح قد مات على الصليب فداء لخطايا البشر ولخطيئة آدم الأصلية ، وأن المسيح إله وهو ابن الله وأن الله مكون من ثلاثة أقانيم هى : الآب والابن والروح القدس . ومن الضرورى أن يتم تعميد كل إنسان ليكون مسيحياً موافقاً على هذه المعتقدات حتى لا يهلك . ومن الضرورى أن يذهب إلى الكنيسة كل يوم وخصوصاً يوم الأحد ليتناول الأفخارستيا ليأكل قطعة من الخبز معتقداً أنها جسد المسيح ، ويشرب شيئاً من الخمر معتقداً أنه دم المسيح ، إذ أن بين هذا الخبز وذاك الدم الروح القدس الذى يخلصه من الهلاك إذ تُغفر له خطاياه . (**المترجم**) .

المسلمون إن كنتم تريدون أن تفهموا المسيحيين ، وأنتم لن تفهموا المسيحيين بدون هاتين النقطتين ، وهاتان النقطتان هما : كسر الخبز ، والتعميد فى الماء .

ويلتفت البروفيسور فلويد كلارك نحو مدير اللقاء ويقول له :

السيد مدير اللقاء ، كم بقى لى من الوقت ؟ ١٥ دقيقة . شكراً .

يقولون إن لدينا ١٥ دقيقة . إننى أقدر ذلك . سأراعى ذلك . ثم يستطرد قائلاً :

هكذا كان يسوع كأعظم شاهد فى العالم يقول لنا : إنكم يمكن أن تعيشوا عيشة كريمة فى حياتكم [١] . لقد قال : جئت لأجعلكم تعيشون حياة رغيدة . قال : إن الأعمال التى أعملها ستعملونها أنتم وتعملون أعظم منها لأننى ذاهب إلى أبى . هذه وعود نحتاج إليها نحن جميعاً . إننا نشعر جميعاً أننا ضحايا لظروف الحياة من وقت لآخر . وعندما نتكلم إلى الله لا يجوز أن نتكلم إليه كما نتكلم إلى شخص آخر على الطرف الآخر من الهاتف ، بل يجب أن نتكلم إلى الله ونطلب مساعدته باسم يسوع المسيح لأنه قال : إن طلبتم شيئاً باسمى كان لكم . ولقد قال لتلاميذه : « لو كان لديكم قدر حبة خردل من الإيمان وقلتم للجبل أن ينتقل من مكانه ويأتى إليكم سينتقل الجبل إليكم ولن يكون شيء مستحيلاً عليكم » .

هل فهمتم هذا الوعد ؟ لو كان يسوع نبياً فقط لكان قد اكتفى بذلك الوعد ، ولما حاول أن يطلعنا على الحقيقة . الحقيقة وسر الحقيقة فى قوله : « لو آمنتم لن تجدوا شيئاً مستحيلاً عليكم » .

وها أنا ذا هنا ، أقف أمامكم كدليل حى على هذا المعنى . كان يجب أن أموت منذ وقت بعيد ، ولكننى نَجوْتُ لأن الله جعلنى قادراً على المستحيل . وأنا على يقين أننى سأبقى حياً فى هذا العالم ما دمتُ قادراً على الاستمرار فى العطاء والشرح والبيان . وعندما أصلى أشعر بالإيمان بأن الله قادر على أن يُحدثَ أموراً لم تحدث من قبل .

يا أصدقائى .. نحن غارقون فى الشقاء . وأرجو أن يفعل الله شيئاً بهذا الخصوص ، ولكن استجابة الله لمطالب الإنسان إنما هى مرتبطة بالضرورة ، بضرورة إيمان الإنسان بشخصٍ من يؤمن به الإنسان .

---

(١) هكذا يقولون كل ما يشتهون على لسان المسيح . هل قال المسيح : « إنكم يمكن أن تعيشوا عيشة كريمة فى حياتكم » ؟ لماذا يجرى على لسان المسيح ما لم يقله ؟ على كل حال هذه هى طريقتهم حتى اليوم . ويقولون : لم نحرّف ولم نبدل ! (المترجم) .

وربما يتيح الله لى وقتاً آخر لأحكى لكم قصة موسى . أنا تعجبنى جداً قصة موسى . موسى نبى من أنبيائكم كما أنه نبى من أنبيائنا . وأنتم كمسلمين تعرفون كيف كان موسى يحاول أن يخرج بشعبه من مصر . كان يقودهم بين الجبال وتحت السحاب عبر ديار أعدائهم ليلاً ويختفون نهاراً حتى وصلوا إلى البحر الأحمر بمساعدة الله لهم . وكان وراءهم جيش فرعون ، وكان من الواضح أن موسى وبنى إسرائيل كانوا محاصرين : الجبال والبحر أمامهم ، وجيش فرعون وراءهم ، وجثا موسى على ركبتيه ونادى ربه قائلاً له : « ألم يكن فى مصر أماكن لنموت فيها يا رب لتحضرنا يا رب إلى هذا المكان القفْر التعيس البائس لكى نموت فيه ؟ فقال الله لموسى : « انهض يا موسى وخذ شعبك وقل لهم أن يخرجوا من مصر » . وقال له : « اضرب البحر بعصاك » .

فى الترجمة اليونانية استخدم الله كلمة « شق » أو « فرق » الماء . ولقد أعجبتنى هذه الكلمة اليونانية بمعنى « شق » أو « فرق » البحر فى الصياغة اليونانية لقصة موسى.

والتفت البروفيسور كلارك نحو الشيخ أحمد ديدات وقال له : « هل تشعر أنك فى الثمانين من عمرك الليلة يا أحمد ؟ إنك تبدو متعباً مرهقاً »[(١)] .

ثم توجه إلى الحاضرين وهو يقول : دعوه يعش مدة أطول قليلاً وأحسنوا معاملته . وأعود الآن إلى قصة موسى . كان عمر موسى ثمانين سنة عندما كان الله يأمره أن يشق الماء بعصاه . وانشق الماء وصاح موسى بقومه قائلاً لهم : « هيا اخرجوا وغادروا مصر » .

وعبر شعب بنى إسرائيل على أرض البحر اليابسة[(٢)] . عبر بنو إسرائيل البحر . ولما جاء فرعون وجنوده ليعبروا وراءهم عاد البحر كما كان ، وغرق فرعون وجنوده .

---

(١) أولئك المبشرون المحترفون يجيدون دون ريب فنون صنعتهم . إن البروفيسور فلويد يتكلم كمدفع رشاش محشو بشريط طويل من الكلمات ، ويعرف كيف يلعب جيداً على أعصاب المستمعين إغراءً بالثواب ومتَع الحياة وتخويفاً بالعذاب والهلاك . هل يحاول البروفيسور فلويد كلارك ، وقد أوشك على الانتهاء من خطبته ، أن يؤثر على نفسية ومعنويات الشيخ أحمد ديدات ؟ ما معنى أن الشيخ أحمد ديدات قد بلغ الثمانين من عمره ؟ أطال الله بقاءه . وما مغزى ملاحظة أنه يبدو متعباً مرهقاً ؟ سيعرف بعد قليل ما إذا كان الشيخ أحمد ديدات متعباً أم غير متعب ! (المترجم) .

(٢) ما علاقة هذا الذى يقوله بموت أو عدم موت المسيح على الصليب ؟ كل كلامه إنما هو خارج الموضوع . إنه مجرد كلام ! (المترجم) .

لقد كنت أتحدث إلى عدد كبير من الناس فى جنوب إفريقيا ، وكنت أقول لهم : إن الله لا يتعين عليه أن يمتلك ملايين الدولارات من أجلكم ، ولكنكم عندما تكونون قادرين على استخدام العصا كما استخدمها سيدنا موسى ، وعندما تكونون قادرين على استخدام أى شىء بأيديكم بطريقة سليمة سيكون الله قادراً على أن يجعلكم تغيّرون عالمكم . وهذا هو بالضبط ما جاء الرب من أجله .

إن هنالك سبباً لتقسيم التاريخ إلى ما قبل المسيح وإلى ما بعد المسيح ، لأنه حدث فى التاريخ بعد المسيح شىء تغير به مسار تاريخ العالم ، وجلب السعادة والسلام بشكل لم يكن يتصوره أحد [١] .

ولقد سبق أن قلت لأخى أحمد منذ ساعتين ، وكان ذلك فى نهاية ساعات طويلة من النقاش ، قلت له : أنا أفهم أنك تؤمن أن يسوع المسيح قد وُلد من عذراء ، وأنه قد صنع العجائب والمعجزات ، وأنه نبى ورسول من رسل الله ، فلماذا لا تتبعه ؟ فقال لى أحمد : إننى أتبعه . قلت له : لا ، إنك لا تتبعه حقاً لأن يسوع قال : إن من يؤمن بالمعمودية يخلص ويمكن له الخلاص من الهلاك وأنت لم تُعمَّد [٢] .

---

(١) ما الرأى فى أن كثيراً من المؤرخين يعتبرون أن بولس هو المؤسس الحقيقى للمسيحية وليس يسوع المسيح . بولس هو الذى قام برحلات إلى بلاد الرومان واليونان باعتبار أنهم يملكون أقوى قوة عسكرية حينذاك . وبولس هو الذى كتب أكثر من نصف العهد الجديد ولم يكتب يسوع شيئاً . (المترجم) .

(٢) هكذا يتحول كل شىء إلى طقس كهنوتى شكلى فى غاية البساطة ينحصر فى عملية التعميد بتغطيس الإنسان فى الماء وإخراجه منه على يد أحد رجال الدين المسيحى ، ويُحَلُّ كلُّ شىء فى نظر المسيحيين بذلك ولا تكون ثمة مشكلة . المهم هو إعلان انتماء الشخص إلى الديانة المسيحية وتُحل كل مشاكل الدنيا والدين . وعلى كل إنسان يقبل التعميد على هذه الطريقة المسيحية أن يقبل دفع الأموال إلى الكنيسة فى مناسبات شتى من تعميد إلى زواج إلى وفاة ، غير الهبات المختلفة . وعلى كل إنسان قبل التعميد على الطريقة المسيحية أن يقبل كل المزاعم عن ألوهية المسيح وأنه ابن الله وأنه مات على الصليب ، وأنه يفدى البشرية بدمه ، وأنه أقنوم من أقانيم ثلاثة هى : الآب والابن والروح القدس ، وهذه الأقانيم متساوية من حيث الجوهر وليس من المهم أن يفهم أحد ما هو التساوى من حيث الجوهر . لماذا يحاول أن يفهم وقد قبل التعميد على الطريقة المسيحية ؟

ها هو ذا البروفيسور فلويد كلارك يطلب من الشيخ أحمد ديدات أن يجرى تعميده على =

أرجو أن أرى اليوم الذى أرى فيه أخى أحمد ديدات وأراكم جميعاً أيها المسلمون تفهمون وتدركون أنكم المسؤلون عن مصيركم . يمكنكم أن تطيعوا ما أمر به يسوع كما أطيعه أنا لتجنب المشاركة فى الفوضى الموجودة فى عالم الأمور الزائفة ، ومن أجل الحصول على الحقيقة الكاملة التى يحملها لكم يسوع المسيح .

أرجو أن تفهموا رغم كل المشاكل القائمة أن بإمكانكم أن تؤمنوا بربنا ، وهو يريد أن يقودكم ويرشدكم ويهديكم . وأنا أعلم أنكم كمسلمين فى صلاتكم تقولون لربكم فيما أعتقد أربعاً وثلاثين مرة فى اليوم الواحد « اهدنا الصراط المستقيم » ، فتذكروا ما قاله يسوع إذ إنه قال : " أنا الطريقُ والحقُّ والحياةَ . لا أحدَ يأتى بعد اليومِ سِواىَ " .. ثم إنه قال أيضاً : " أنا الطريقُ والقيامةُ "[1] .

= الطريقة المسيحية ولا يوجد ما يدعو إلى حوار أو مناظرة أو أى محاولة للفهم . إنه لا يعرف أن الدين عند الله هو الإسلام ، ولا يعرف أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى أعلن حقيقة أمر المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام باعتبار أنه كان رسولاً من رسل الله ولم يكن إلهاً ولم يكن ابن إله . ويقرر القرآن الكريم أن المسيح لم يمت على الصليب : ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّهَ لهم** ﴾ فلماذا التعميد فى نظر أى مسلم ؟ هل يكون من أجل فداء لن يفدى ولن يجدى ؟ ربما يستطيعون أن يمرروا مزاعمهم على أى إنسان غير مدرك لما قرره القرآن الكريم بشأن المسيح وبشأن آل عمران . (**المترجم**) .

(١) تتوقف المسألة على تحديد معنى « الصراط المستقيم » . إنه صراط الذين أنعم الله عليهم وليس صراط المغضوب عليهم وهم اليهود ، وهو ليس صراط الضالين وهم النصارى الذين يؤلهون المسيح عليه السلام ، ويزعمون أنه مات على الصليب ، وأمر الموت والحياة بيد الله سبحانه وتعالى . وكم من إنسان ظنه الناس قد مات وهو فى حقيقة الأمر لم يمت بعد . وذلك بموجب قول الله سبحانه وتعالى فى سورة الفاتحة : ﴿ **اهْدنا الصِّراطَ المستقيمَ * صِراطَ الَّذين أنْعمْتَ عليهم غيرِ المغضُوبِ عليهم ولا الضَّالِّين** ﴾ (الآيتان : ٦ ـ ٧) .

أما مقولة : « أنا الطريق والحق والحياة » التى أضاف إليها عبارة « لا أحد يأتى بعدى سواى » .. هذه المقولة موجهة إلى أتباع المسيح بوجه عام وإلى (توما) بوجه خاص حسب ما يقوله إنجيل يوحنا : « قال له توما : يا سيد لسنا نعلم أين تذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق » (يو ١٤ : ٥) ، وكان المسيح يتحدث عن طريق روحى وظنه توما يتحدث عن طريق مادى بالمعنى الجغرافى كالطريق الموصل بين مدينتين ، وعندئذ « قال له يسوع : أنا هو الطريق والحق والحياة » (يو ١٤ : ٦) . =

ثم يلتفت البروفيسور كلارك نحو الشيخ أحمد ديدات مرة أخرى ويقول له : أنا أطلب منك كصديق ولا أطلب منك كعدو ، ولا أحاول أن أهددك . أطلب منك كصديق أن تسلّم بصحة هذا الكلام ، وأطلب منك أن تفهم أن يسوع المسيح يريد أن يوجّه طريقك .

شكراً . أنا لا أحتاج إلى الدقائق الخمس المتبقية لى كمتحدث أول فى هذه المناظرة ، لقد انتهيت من حديثى إليكم الآن . ولقد جاء دورك يا أحمد .

(تصفيق من الحاضرين)

[وجاء دور أحمد]

* * *

= أما ادعاء البروفيسور فلويد كلارك فيما ينسبه إلى المسيح من أنه قال : « لا أحد يأتى بعد اليوم سواى » فإننا نجد أن أقوال المسيح عليه السلام المنسوبة إليه فى ذات إنجيل يوحنا تدحض هذا الزعم ، إذ يذكر يوحنا على لسان المسيح أنه قال : « بهذا كلمتكم وأنا عندكم . وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم » (يو ١٤ : ٢٥ ـ ٢٦) .

من هو المعزى الآخر الذى سيرسله الله باسم المسيح ليؤكد أن المسيح هو عيسى ابن مريم العذراء ، ويظهر الحقيقة بكل جوانبها للناس جميعاً ، وليعلمهم كل شىء ، وليذكرهم بكل ما قاله المسيح بحق لهم ؟ إنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، صاحب عقيدة التوحيد الكاملة وصاحب الشريعة الإلهية الكاملة رسول الإسلام محمد ﷺ (المترجم) .

تعريف المنصة بالشيخ أحمد ديدات

ويظهر الدكتور جمال بدوى ، مدير هذا اللقاء التاريخى الهام ، ويتقدم إلى المنصة التى انسحب منها البروفيسور فلويد كلارك ، ويقف الدكتور جمال أمام مكبر الصوت ليقول :

يوجد مكان بالدور العلوى لأداء صلاة العصر لمن يرغب فى أداء الصلاة .

ويعلن الدكتور جمال أن منصة الخطابة سيشغلها بعد قليل الطرف الثانى فى المناظرة الشيخ أحمد ديدات لتوضيح موقفه كواحد من علماء المسلمين بالنسبة لموضوع المناظرة وهو: هل مات المسيح على الصليب ؟

ويقول الدكتور جمال بدوى فى مجال التعريف بالشيخ أحمد ديدات :

إنكم جميعاً تعرفون الشيخ أحمد ديدات . إنه عالم دين مسلم مشهور ، بلغ شأواً بعيد المنال فى مجال مقارنة الأديان ، وعلّم نفسه بنفسه ، وهو غير منتمٍ لمؤسسة دينية أو هيئة كهنوتية ، ولقد انفرد الشيخ أحمد ديدات فى مجال مقارنة الأديان بأسلوبَ عمل غير عادى يعتمد على عشرات الكتب التى قام بتأليفها بأسلوب بسيط سهل صريح واضح ، ويعتمد على شرائط الكاسيت والفيديو لتسجيل المحاضرات والمناظرات التى أنجز عدداً كبيراً منها يتسم بالحيوية والأهمية فى وقت واحد . ويقبل الناس إقبالاً منقطع النظير على الاطلا ع عليها ومعرفة محتواها المثير للاهتمام والانتباه .

إن السيد أحمد ديدات رحالة كبير . ولقد قام بكثير من الأسفار والرحلات ، واشترك فى كثير من المناظرات وأسهم فى مئات المحاضرات والمناقشات والمحاورات والمؤتمرات والمناظرات فى آسيا وافريقيا وأوربا وأمريكا .

والسيد أحمد ديدات يرأس مؤسسة خيرية أهلية غير حكومية ، وهى مؤسسة إسلامية تعتمد على جهوده الذاتية فى مدينة ديربان بجمهورية جنوب إفريقيا . وهذه المنظمة أقامت

مسجداً بمدينة ديربان ، وهى توفر وتقدم للناس الكتب وشرائط الكاسيت والفيديو فى موضوعات هامة من الموضوعات الدينية.

ويجدر بنا أن نطلعكم مرة أخرى على النظام المتفق عليه لهذه المناظرة : سيتحدث الشيخ أحمد ديدات لمدة ستين دقيقة متصلة فى مقابل الخمسين دقيقة التى تحدث فيها إليكم البروفيسور فلويد كلارك . والدقائق العشر المتبقية للبروفيسور كلارك سيأخذها بعد أن ينتهى الشيخ أحمد ديدات من كلامه . هذا نظام متفق عليه بينهما ، وهو قد تم على هذا النحو بناء على رغبة البروفيسور كلارك . وقد وافق عليه الشيخ أحمد ديدات .

والآن ، حضرات السيدات والسادة .. أرجو منكم الهدوء حرصاً على تتبع البناء المنطقى لحديث كل من الطرفين المشاركين فى هذه المناظرة الهامة . إن هذا مطلب ضرورى ، وأنا أطالب به .. أيها الإخوة .. يتحدث إليكم الآن الشيخ أحمد ديدات .

(تصفيق)

ويتقدم الشيخ أحمد ديدات إلى مكبر الصوت ليلقى محاضرته فى هذه المناظرة الهامة فى موضوع : هل مات المسيح على الصليب ؟ ولقد مضى الشيخ ديدات فى محاضرته على النحو التالى :

* * *

المتحدث الثانى فى المناظرة

الشيخ « أحمد ديدات »

السيد الرئيس .. حضرات الإخوة والأخوات :

أرجو من حضراتكم أن تقفوا بضع لحظات ، وأن تأخذوا فى صدوركم نفساً طويلاً عميقاً ، وأن تُخرجوا الهواء الذى استنشقتموه من صدوركم لتخرجوا منه الهواء غير الصالح للبقاء فى صدوركم . والآن تفضلوا بالجلوس لتستريحوا عندما أبدأ الكلام إليكم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم .

﴿ وقُلْ جاءَ الحقُّ وزهَقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زَهُوقاً * ونُنزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُو شِفاءٌ ورَحْمةٌ للمُؤمنينَ ولا يَزِيدُ الظَّالمينَ إلاَّ خَسَاراً ﴾ . (سورة الإسراء : ٨١ ، ٨٢)

السيد الرئيس .. أيها الإخوة والأخوات :

إن القرآن الكريم يحدد بدقة تامة موقف الإسلام من مسألة صلب المسيح عليه السلام باستخدام فعل واحد ، وذلك فى الآية رقم (١٥٧) من سورة النساء حيث يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إنَّا قَتَلْنا المسيحَ عيسَى ابنِ مريمَ رسُولَ اللهِ وما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوه ولكن شُبِّهَ لَهُم وإنَّ الَّذين اختَلَفُوا فيه لَفِى شكٍّ منهُ ما لهُم به مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتِّباعَ الظنِّ وما قَتَلُوه يَقيناً ﴾ . (سورة النساء : ١٥٧)

وبعد أن قرأ الشيخ أحمد ديدات هذه الآية الكريمة من سورة النساء باللغة العربية شرع فى ترجمة ما تضمنته الآية الكريمة من معان باللغة الإنجليزية معنى بعد الآخر ،

إذ إنه يخاطب جمهوراً لا يعرف معظم حاضريه إلا اللغة الإنجليزية . وبعد أن فرغ سيادته من ذلك ببراعة واقتدار قال :

حضرات السادة :

إننى أود أن أسأل : هل يمكن أن يكون هنالك توضيح وتحديد لنهاية شأن المسيح عليه السلام مع قومه أكثر من هذا التوضيح وهذا التحديد ؟

إن قوم سيدنا عيسى عليه السلام لم يقتلوه ولم يصلبوه كما يدّعى ذلك إخوتنا المسيحيون . والقرآن الكريم حاسم الدلالة فى هذا الشأن كل الحسم . ولكنّ إخوتنا المسيحيين يقولون لنا نحن المسلمين : وما مصدر هذا الكلام عن المسيح وعن أنه لم يُقتل ولم يُصلب ؟ ونقول لهم : مصدره القرآن الكريم . فيقولون لنا : ما القرآن الكريم ؟ فنقول لهم : إنه كلام الله الذى أنزله على خاتم رسل الله محمد ﷺ ليبلغه للناس جميعاً . فيقولون لنا : نحن المسيحيين لا نعترف بنبوة محمد ولا نعترف بالقرآن .

ونقول لإخوتنا المسيحيين : حسناً . إننا نحن المسلمين مع كامل إيماننا بكل ما يقوله لنا القرآن الكريم بشأن نهاية سيدنا عيسى مع قومه وبشأن أى موضوع آخر ، فنحن ـ مع ذلك ـ مستعدون من أجل الوصول إلى تفاهم ، ومن أجل الوصول إلى الحقيقة أن ننظر فيما يقوله كتابكم المقدس لديكم ، بخصوص نهاية شأن المسيح مع قومه ، وهل قتلوه وصلبوه أم أنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه ؟ بشرط واحد هو ألا يكون فى كتابكم المقدس بهذا الشأن تناقضات تحول دون إمكانية التصديق بما يقوله كتابكم المقدس . وإذا كانت بكتابكم المقدس بشأن ما تزعمونه من موت المسيح على الصليب تناقضات خطيرة وحقيقية وهامة يكون من حقنا نحن المسلمين أن نتمسك بما يقوله لنا القرآن الكريم ، وتستطيعون أنتم أن تختاروا ما يحلو لكم .

هل يمكن أن يكون هنالك موقف أكثر موضوعية أو أكثر عدلاً أو أكثر إنصافاً أو أكثر تساهلاً وتسامحاً من هذا الموقف ؟

إن القرآن الكريم هو الذى يأمرنا أن نقبل هذا الموقف ، إذ يقول لنا القرآن الكريم إنه عندما يواجَه المسلم بأى دعاوى زائفة من جانب أصحاب أى دين يخالف دين الإسلام فمن الواجب على المسلم أن يطالب صاحب الدعاوى بالبرهان على صحة ما يدعيه ، إذ يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وقَالُوا لَن يَدْخُلَ الجنةَ إلاَّ مَن كَانَ هُوداً أو نَصارَى تِلْكَ أمانِيُّهم قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُم إن كُنتُم صَادِقِينَ ﴾ . (سورة البقرة : ١١١)

القرآن الكريم إذن يطالب الإنسان المسلم أن يطلب من المدَّعين أىّ دعوى أن يجيئوا ببرهانهم على صحتها .

ولقد جاء إخوتنا المسيحيون بما يزعمون أنه برهانهم على شكل كتب العهد الجديد ، التى تتضمن مزاعمهم بشأن المسيح وبشأن مسألة صلب المسيح بعديد اللغات التى يطبع بها العهد الجديد ، ولم يبق إلا أن نمحصها ، إذ أن الله عندما أمرنا بالمطالبة ببرهان لا نستطيع أن نقبل ببرهان زائف يناقض بعضه بعضاً . ومن الضرورى أن يكون البرهان برهاناً صحيحاً سليماً حقيقياً .

وتعتمد براهين إخوتنا المسيحيين بشأن نهاية المسيح عليه السلام مع قومه على ما يقوله الكتاب المقدس لدى المسيحيين . يقول المسيحى من أية جنسية : كتابى المقدس يقول كذا . ويقول كتابى المقدس كذا . فلنفحص ما يقوله الكتاب المقدس لدى إخوتنا المسيحيين . ما يقوله كتابهم المقدس لديهم بشأن موضوعنا الليلة لأننا نريد أن نعرف هل صُلبَ المسيح أمْ لم يُصلب ؟ ونريد أن نعرف هل مات المسيح على الصليب من جرَّاء الصَلب أم أنه لم يمت ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبِّه لهم .

وهنالك أصحاح فى الكتاب المقدس لدى إخوتنا المسيحيين يتطرق إلى موضوعنا . تقول الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس :

« وإنْ لم يكنْ المسيحُ قد قامَ فَباطلةٌ كَرازتُنا وباطلٌ أيضاً[1] إيمانُكم » .

(١ كورنثوس ١٥ : ١٤)

ولعل هذا الذى يقوله بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يؤكد لنا أهمية الادعاء بموت المسيح على الصليب من عدمه . وإن لم تكن هذه القيامة من بين الأموات صحيحة تنهار المسيحية كلها .

---

(١) المقصود بقيامة المسيح عند المسيحيين هو قيامته من بين الأموات بعد إنزاله ميتاً من على الصليب وبعد دفنه لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال . والكرازة هى الدعوة إلى اعتناق الدين المسيحى . ويظهر هذا النص أهمية الادعاء بقيامة المسيح بعد موته على الصليب . إن المسيحيين يرتبون كل شىء من ألوهية وفداء للخطايا على هذه القيامة . (المترجم) .

وعندما نبدأ فى دراسة موضوعنا وهو : هل مات المسيح على الصليب كما يزعم إخوتنا المسيحيون بعد أن أشرنا إلى أهميته فى بناء العقائد المسيحية يبرز لنا سؤال مهم هو : « كيف يقوم شخص من الموت ؟ » .. إن هذا السؤال يثيره بولس بنفسه فى نفس الأصحاح الخامس عشر من نفس رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يقول :

« لكنْ قد يقولُ قائلٌ : كيف يُقامُ الأمواتُ وبأيِّ جسمٍ يأتُون » .

(١ كورنثوس ١٥ : ٣٥)

ولقد أجاب بولس بنفسه على السؤال أيضاً ، إذ يقول بذات الأصحاح من نفس الرسالة :

« يُزرعُ فى هوانٍ ويُقامُ فى مَجدٍ . يُزرعُ فى ضَعفٍ ويُقامُ فى قوةٍ . يُزرعُ جسماً حَيوانياً ويُقامُ جسماً رُوحانياً[1] . يُوجَدُ جسمٌ حيوانىٌّ ويُوجد جسمٌ رُوحانىٌّ »

(١ كورنثوس ١٥ : ٤٣ ـ ٤٤)

وهذا الذى قاله بولس يتّسق تماماً مع ذلك الذى قاله المسيح عليه السلام عندما سأله اليهود الصدوقيون عن الإخوة السبعة الذين تزوجوا امرأة واحدة ، وسأله اليهود من منهم يتزوجها بعد القيامة .

وقصة هذا السؤال موجودة فى إنجيل لوقا كما يلى : « وحَضرَ قومٌ من الصَّدُّوقيِّين الذين يُقاومون أمرَ القيامةِ وسألُوه قائلينَ : يا مُعلِّمُ كتبَ لنا مُوسى : إنْ ماتَ لأحدٍ أخٌ وله امرأةٌ ومات بغيرِ ولدٍ يأخذ أخوهُ المرأةَ ويُقيمُ نسلاً لأخيه . فكان سبعةُ إخوةٍ . وأخذ الأولُ امرأةً ومات بغيرِ ولدٍ . وأخذ الثانى المرأةَ ومات بغير ولدٍ . ثم أخذها الثالثُ ، وهكذا السبعةُ ولم يتركوا ولداً وماتُوا . وآخرُ الكلِّ ماتت المرأةُ أيضاً . ففى القيامةِ لِمَنْ منهم تكونُ زوجةً لأنها كانت زوجةً

---

(١) قول بولس « يُزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً » يدل على أن الموتى لا يقومون من بين الأموات بأجسامهم بل بأرواحهم ، وهو مناقض للزعم بأن المسيح قام بجسمه وروحه من بين الأموات بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال من موته ومشى وأكل شيئاً من السمك والعسل . ومنه يتضح أنه إما أن يكون المسيح لم يمت على الصليب أو لم يقم من بين الموتى . (المترجم) .

للسبعة . فأجاب وقال لهم يسوعُ : أبناءُ هذا الدهر يُزوِّجون ويزوَّجون ولكنْ الذين حُسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر لا يُزوِّجونَ ولا يُزوَّجونَ ، إذ لا يستطيعون أنْ يموتوا أيضاً لأنهم مثلُ الملائكة وهم أبناء الله إذْ هم أبناءُ القيامة » .
(لوقا ٢٠ : ٢٧ ـ ٣٦)

وهكذا نجد سيدنا عيسى عليه السلام يجيب سؤال : لمن تكون المرأة زوجة بعد القيامة بأن الرجال بعد القيامة لا يزوّجون ولا يزوّجون . لماذا ؟ لأنهم يعيشون بعد القيامة من الموت حياة روحية غير حياتهم الجسمية . تموت الأجسام ولا تموت الأرواح .تلك كانت إجابة سيدنا عيسى المسيح عليه السلام فى ردّه على اليهود الصدوقيين عن الإخوة السبعة وأيهم يتزوج المرأة بعد يوم القيامة . لن يتزوجها أحد منهم ، ولن يتزوجها أحد غيرهم ، لأن من قام من الموت يوم القيامة ستكون قيامته بالروح فقط على حد قول المسيح ولن يكون بحاجة إلى أن يزوّج أو أن يتزوج . لقد كان اليهود يوجهون مثل هذه الأسئلة إلى المسيح لإحراجه . وكان يرد عليهم ردوداً صحيحة بارعة . ولقد أفادهم أن قيامة الموتى عندما تقوم القيامة إنما هى قيامة أرواح خالدة ، وليست قيامة أجساد فانية . هكذا أجابهم المسيح كما وردت فى إنجيل لوقا فى الموضع المشار إليه .

وهكذا قال المسيح عليه السلام : إن قيامة الجسد بالروح . وقال بولس : إن قيامة الجسد بالروح . وأنا أريد أن أسمع شخصاً واحداً فى هذه القاعة يخالف قول المسيح وقول بولس من أن قيامة الجسد بالروح . هل يوجد هنا صوت واحد يعارض هذه الحقيقة ؟

ويبدو أن شخصاً من الحاضرين بالقاعة كان قد وقف وتكلم بصوت لم يصل إلى مكبر الصوت ولم يظهر ما قاله ، ولكن الشيخ أحمد ديدات سمعه فقال : نعم . ثم استطرد قائلاً :

ولكى نعرف الحقيقة بهذا الصدد تعالوا بنا نذهب إلى تلك الحجرة العلوية التى كان المسيح عليه السلام يجتمع فيها مع تلاميذه فى مدينة أورشليم . لقد كانت حجرة بالدور العلوى بأحد المنازل المملوكة لواحد من تلاميذ المسيح . وكان المسيح يجلس مع حوارييه وأتباعه فيها عندما يكون موجوداً فى أورشليم ويحب أن يستريح فى أحد المنازل . وكان

المسيح يعرف الطريق إلى هذه الحجرة جيداً لكثرة مجيئه إليها ، وجلوسه فيها مع أتباعه وحوارييه .

وبعد صلب المسيح بأكثر من ثلاثة أيام وثلاث ليال فوجئ الحواريون بدخول المسيح عليهم وفقاً لما يقوله كتابكم المقدس . كانوا قد سمعوا بموته على الصليب وإنزاله ودفنه من الناس ، إذ أنهم لم يكونوا معه عند القبض عليه ووضعه على الصليب ، لأنهم كانوا قد تركوه جميعاً وهربوا بشهادة إنجيل مرقس ، إذ يقول: « فتَرَكَهُ الجميعُ وهَرَبُوا » (مرقس ١٤ : ٥٠) . وكلمة « الجميع » تعنى أنهم جميعاً لم يشهدوا عملية الصلب ولم يكن أحدهم موجوداً بين شهودها ، ولذلك كانوا يظنون أنه قد مات وأن جسده قد تحلل . وها هم أولاء يجدونه داخلاً عليهم فى ذات الحجرة العلوية التى كان يجتمع فيها معهم قبل مسألة الصلب هذه . ها هو ذا يقف أمامهم مباشرة وعلى حين غرة إذ إنه كان يعرف مداخل البيت ويعرف كيف يشق طريقه إلى تلك الحجرة العلوية .

ليس هذا خيالاً مجرد خيال . إن إنجيل لوقا يحكى لنا هذا الموقف بقوله : « وفيما هُمْ يَتكلَّمُون بهذا وَقفَ يسوعُ نفسُهُ في وسطِهِمْ وقال لهُمْ : سَلامٌ لكُمْ . فجزَعُوا وخافُوا وظنُّوا أنَّهمْ نَظرُوا رُوحاً » . (لوقا ٢٤ : ٣٦ ـ ٣٧)

لماذا جزعوا وخافوا وظنوا أنهم قد نظروا روحاً ؟

لقد كانوا « يظنون » أنه قد مات بعد إنزاله عن الصليب ودَفْنه منذ ثلاثة أيام وفوجئوا به يدخل عليهم ، هو يسوع نفسه يدخل عليهم ويقف وسطهم على حد قول إنجيل لوقا ، وظنوا أنهم نظروا روحاً أى أنهم ظنوا أنهم رأوا شبح المسيح وليس المسيح نفسه .

ولكى يبدد المسيح مخاوفهم قال لهم ، على حد قول إنجيل لوقا : « فقال لهُمْ : ما بالُكمْ مُضطرِبينَ ؟ ولماذا تَخطرُ أفكارٌ في قُلوبِكُمْ . انظرُوا يَديَّ ورِجلَيَّ إنِّي أنا هُو . جُسُّونى . وانظرُوا فإنَّ الرُّوحَ ليس له لحمٌ وعظامٌ كما ترَوْنَ لى . وحين قال هذا أراهُمْ يَديْه ورِجلَيْه » . (لوقا ٢٤ : ٣٨)

وإذْ لاحظ المسيح أنهم بالرغم من ذلك لا يزالون يرتابون فى أنه شبح المسيح وليس المسيح ، أراد أن يطمئنهم تماماً . وطلب منهم طعاماً ، فقدموا له سمكاً مشوياً وبعض

العسل فأخذه [١] وأكله أمامهم .

وفى ذلك يقول إنجيل لوقا : « وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم : أعندكم ها هنا طعام ؟ فناولوه جزءاً من سمك مشوى وشيئاً من شهد عسل . فأخذ وأكل قدامهم » . (لوقا ٢٤ : ٤١ ـ ٤٣)

إن هذا الذى يقوله لكم إنجيل لوقا يدل بوضوح على أن المسيح لم يكن قد مات على الصليب ودفن وقام من بين الموتى لأن الروح وليس الجسد هو الذى يقوم من بين الأموات .

وعندما يقول لك شخص : أنا حى ، أنا لم أمت ، أنا لست روحاً ، أنا لست شبحاً ، وتقول له : برهن على أنك لست روحاً ولست شبحاً ، ويقول لك : أنا بجسمى لحم وعظم ، يكون هذا الشخص قد قدم دليلاً كافياً على أنه لم يمت وعلى أنه حى . وعندما يقول لك هذا الشخص ، أو أى شخص : أنا حى تستطيع أن تفهم أنه لم يمت بعد ، إذ إنه لو كان قد مات لما استطاع أن يعود إلى الحياة بجسم حى تدب فى أطرافه الحياة وتعمل فيه الحياة وظائفها . يجوز أن يكون قد أغمى عليه مدة طويلة أو قصيرة . يجوز أن يكون قلبه قد توقف عن العمل ثم عاد إلى العمل مرة أخرى . والمغمى عليه

(١) من المعروف أن اللحم والعظم لا يدخلان فى تكوين الملائكة أو الأشباح . ومن المعروف أيضاً أن الملائكة لا يأكلون طعام البشر . ولقد جاء فى القرآن الكريم : ﴿ **ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ * فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط** ﴾ .
(سورة هود : ٦٩ ، ٧٠)

وإذ أكل سيدنا عيسى شيئاً من السمك المشوى ومن العسل فإن هذا يدل دلالة قاطعة على أنه كان هو نفسه حياً بجسده بعد عملية الصلب بأكثر من ثلاثة أيام وثلاث ليال ، لأنه كان قد تجول متنكراً بعض الوقت حتى لا يتعرف عليه أعداؤه ليعاودوا صلبه لقتله من جديد ، حيث إنه كان محكوماً عليه بالصلب بأمر من الحاكم الرومانى بيلاطس . وظهور المسيح بجسده حياً فى هذا المكان وفى هذا الوقت يقطع بأنه لم يكن قد مات على الصليب ، ولم يكن قد قام من بين الأموات حيث إن القيامة من بين الأموات تكون بالروح وليس بالجسد كما سبق أن أشرنا ، مما يقطع بتناقض الرواية المسيحية . (المترجم) .

لا يقال عنه إنه ميت ، ومن توقف قلبه لا يقال إنه ميت ، وإلا ترك الأطباء أى شخص يتوقف قلبه دون محاولة إنقاذ حياته . إن الميت هو من توقف قلبه وجميع أعضاء جسمه عن سائر العمليات الحيوية توقفاً لا رجعة فيه .

وعندما يقول لك شخص : هات لى طعاماً ، وتعطيه شيئاً من الطعام ويأكله لا يكون هـذا الشخص مجرد روح أو مجرد شبح ولا يكون هذا الشخص قد مات ، لأن الإنسان يموت مرة واحدة ، ولو كان هذا الشخص ، أى شخص قد مات ثم قام بين الأموات حياً بجسده الحى يطعم ويشرب لَتعيّنَ أن يموت مرة ثانية ، وهذا مستحيل بداهة .

وهنالك فرق واضح حسب رواية الكتاب المقدس أرجو أن تدركوه بين رؤية الحواريين للمسيح فى تلك الحجرة العلوية عندما قال المسيح للحواريين : تحسسونى إننى من لحم وعظام ، وعندما أخذ طعاماً وأكل قدامهم ، وكان ذلك بعد أكثر من ثلاثة أيام وثلاث ليال من محاولة قتله صلباً ، هناك فرق كبير بين رؤية الحواريين بالحجرة العلوية للمسيح وبين رؤية المسيح من جانب بولس الذى كان اسمه شاول وقام بتغيير اسمه اليهودى الصرف إلى اسم يونانى بَحْت هو« بُولس » . إن بولس الذى كان يهودياً اسمه شاول كان يضطهد المسيحيين ، وسمع رعداً فى السماء وشاهد برقاً وسمع « صوتاً » يقول له « شاول . شاول . لماذا تضطهدنى » . (أعمال الرسل ٩ : ٤)

هل شاهد شاول شخصاً أمامه ؟ لا . إنه لم يزعم ذلك . هل ادعى هذا الشخص أنه من لحم وعظم وطلب من شاول أن يجسه ويتحسس لحمه وعظمه ؟ لا . هل أكل هذا الشخص شيئاً من طعام أمام شاول ؟ لا . هكذا يظهر الموتى للأحياء . قال شاول إنه سمع صوتاً ، ولم يقل شاول إنه شاهد شخصاً أو شبحاً . لقد خُيِّل إليه فحسب أنه قد سمع صوتاً يقول له كلاماً ذكره ، والفرق هام وكبير وواضح بين ظهور المسيح للحواريين بالحجرة العلوية وظهور شبح المسيح لشاول ، بينما كان يمشى متجهاً نحو دمشق بعد بضع سنوات . لقد كان ظهور المسيح أمام الحواريين فى أورشليم بعد ثلاثة أيام من عملية الصلب حضوراً بالجسد الحى وليس ظهوراً لشبح ، وليس قيامة لميت من الأموات .

وعندما أقول لكم أنا أحمد ديدات ، وأنا قمت من بين الأموات ، لن تصدقونى ، لأنكم سترون أننى أقف أمامكم ، وأننى لى جسم فيه لحم وعظم . ستقولون لى : إنك

لست روحاً ، أنت جسم ، أنت حى . وهذا مثال واضح على أن قيامة المسيح لم تكن بالجسد .

ولقد كانت مريم المجدلية قد شاهدت المسيح حياً بجسمه بجوار المقبرة التى لم تجد جسده بداخلها ، فذهبت وأخبرت الحواريين بذلك ولم يصدقوها .

يقول إنجيل مرقس : « فذَهبتْ هذه وأخبرت الذين كانُوا معهُ وهُمْ ينوحُونَ ويَبكُونَ. فلمَّا سمع أُولئكَ أنَّه حيٌّ وقد نَظَرتْه لمْ يُصدِّقُوا » .

(مرقس ١٦ : ١٠ ـ ١١)

ما الذى لم يصدقوه ؟ إنهم لم يصدقوا أنه حى . كانوا يظنون أنها رأت شبح عيسى. ولو قالت لهم إنها رأت شبح عيسى لصدّقوها ، لأنه فى تلك الأيام كانت قصص الأشباح تحظى بالقبول عند استماع الناس لها . وأنتم تذكرون قصة الألفىْ شبح التى دخلت أجسام الخنازير . كانت الأشباح مألوفة للناس فى ذلك الزمان .

ويؤكد كل شىء أن المسيح كان لا يزال حياً عندما ظهر للحواريين فى تلك الحجرة العلوية ، التى كان يجتمع فيها معهم قبل عملية الصلب . إنجيل متى يؤكد أنه كان « لا يزال حياً » . وإنجيل مرقس يؤكد أنه « لا يزال حياً » . وإنجيل لوقا يؤكد أنه كان « لا يزال حياً » . إنجيل يوحنا يؤكد أنه كان « لا يزال حياً » . وحتى الملائكة قالت إنه كان « لا يزال حياً » .

كانت مريم المجدلية قد ذهبت ومعها نساء إلى قبر المسيح ولم يجدن جسده بالقبر . ويقول كتابكم المقدس إن الملكين اللذين كانا فى ثياب براقة قالا لهنّ : « لمَاذا تطلبْنَ الحىَّ بين الأموات » . (لوقا ٢٤ : ٥)

إننى أستطيع أن أقدم لكم من الكتاب المقدس أكثر من عشرين دليلاً تقول كلها إنه كان لا يزال حيـاً[1] .. حياً .. حياً .

---

(١) يؤكد العلامة ديدات أن المسيح كان لا يزال حياً بعد عملية الصلب ولم يمت وقام من بين الأموات . كانت حياته قبل وأثناء وبعد الصلب مستمرة . وفى كتابه (الصلب أم توهم الصلب) يقدم العلامة ديدات بالفعل ثلاثين دليلاً على أن المسيح كان لا يزال حياً بعد عملية الصلب وأبـرزها أن مدة بقـائه على الصليب التى بلغـت ثلاث ساعات فقـط وليس ست ساعات ، =

ومن الألغاز والأسئلة المحيرة التى كان اليهود يوجهونها إلى المسيح يستوقفنا سؤال هام وجهه اليهود إلى المسيح ، لنتأمل ونتدبر إجابة المسيح على ذلك السؤال ودلالتها الهامة بشأن موضوعنا الذى نحن بصدده .

جاء بعض اليهود إلى المسيح وقالـوا له : « يا معلم نريد أن نرى منك آية » (متى ١٢ : ٣٨) كانوا يريدون منه آية ودليلاً على أنه رسول من رسل الله . كانوا يريدون منه أن يريهم معجزة .

وأجابهم المسيح بقوله لهم : « ... جيلٌ شـريرٌ وفاسقٌ يَطْلبُ آيةً ولا تُعْطَى له [1] آيةٌ إلا آيةَ يُونانَ النبىِّ » . (متى ١٢ : ٣٩)

ويوجد بالتوراة سفر هو سفر يونان ، وهو سفر قصير يقع فى صفحة أحياناً ، ويقع فى صفحة ونصف صفحة أحياناً أخرى . افتحوا كتابكم المقدس على سفر يونان ، وأنا أوجزه لكم توفيراً للجهد والوقت .

كان الله قد أرسل يونان إلى نينوى التى كانت مدينة كبيرة ليدعوهم إلى التوبة وارتداء مسوح معينة والجلوس على الرماد ، وغير ذلك ليتوب الله عليهم من جراء الأعمال الشريرة التى كانوا يقترفونها .

ولكن يونان بدلاً من الذهاب إلى نينوى كما كان الله قد أمره أن يذهب ، ذهب إلى ترشيش خوفاً من أهل نينوى ، ولقد كان يريد أن يهرب عن طريق البحر . ووصل إلى يافا وركب سفينة . وهاج البحر واضطربت السفينة وكادت تغرق . وتساءل ركابها عن السبب ، فقال لهم يونان إنه هو السبب وطلب منهم أن يلقوه فى البحر ليهدأ البحر .

ولكن ركاب السفينة كانوا محبين للعدل ، وقرروا أن يعملوا قرعة للتأكد من أن يونان هو المطلوب لكى يلقى إلى البحر ليهدأ . وخرجت القرعة على يونان .

= وليست تسع ساعات لا تكفى لموته ما لم تكن ساقاه قد قُطعتا . وعندما طعنوه فى جنبه بحربة خرج دم وماء ، ولا يخرج من الميت دم ، ولكن اليهود كانوا يتعجلون دفنه لأسباب دينية متصلة بيوم السبت . وأهم شيء هو أن الموت بيد الله وأن مكر الله أقوى من مكر اليهود . (المترجم) .

(١) يلاحظ أن الفعل فى قوله « ولا تعطى له آية » مبنى للمجهول . لم يقل لهم : « ولا أعطيه آية » بل قال لهم : « ولا تعطى له آية » مما يدل على أن معجزات المسيح كانت تتم بقدرة الله وليس بقدرة المسيح ، وهو ما يدل على أنه رسول من رسل الله وليس إلهاً . (المترجم) .

رموه في البحر وهدأ البحر والتقمه حوت ، وبقى يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال .

هل كان يونان ميتاً عندما ألقوه في البحر ؟ لا ، كان حيّاً . إنهم لم يلقوا إلى البحر رجلاً ميتاً ، ولو كان ميتاً عندما رموه لانتهت القصة ولما كان لها بقية . ولكن قصة يونان لا تزال مستمرة .

هل مات يونان عندما التقمه الحوت ؟ لا ، كان لا يزال حيّاً .. ولا تزال لقصته بقية .

هل مات يونان وهو داخل بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ؟ لا ، كان لا يزال حياً يسبح الله ويستغفره ، وغفر الله له ذنبه [1] ولفظه الحوت مرة ثانية إلى الشاطئ .

هل كان يونان لا يزال حيّاً أم أنه كان ميتاً عندما لفظه الحوت على الشاطئ ؟ كان لا يزال حياً ...

هذه هي معجزة يونان كما يحكيها كتابكم المقدس . إنها معجزة فذة تتضمن داخلها أكثر من معجزة . إن معجزة يونان التي قال المسيح لليهود إن المعجزة التي سيجريها الله بقدرته لهم على يدى المسيح ستكون مماثلة لمعجزة يونان .

وعندما قذف الحوت جسد يونان من بطنه إلى الشاطئ كان يونان لا يزال حيّاً باتفاق اليهود ، لأن قصته موجودة في سفر يحمل اسمه في التوراة وكان لا يزال حيّاً باتفاق المسيحيين ، لأنهم يعتبرون التوراة جزءاً من كتابهم المقدس .

وكان لا يزال حياً باتفاق المسلمين ، لأن قصة يونان موجودة في القرآن الكريم باعتبار أنها قصة سيدنا يونس الذى يشار إليه في القرآن الكريم أيضاً باعتبار أنه « ذو النون » أى : صاحب الحوت .

وهكذا ، بينما يوافق اليهود والمسيحيون والمسلمون على أن يونان كان « لا يزال حيّاً » عندما ألقوه في البحر ، وكان « لا يزال حيّاً » وهو في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، وكان « لا يزال حياً » عندما لفظه الحوت على الشاطئ ، بينما يوافق

---

(١) الاستغفار من الذنب والتوبة إلى الله هي السبيل إلى الخلاص والغفران وليس دم المسيح ، إذ لم يكن المسيح قد ضحى بدمه بعد فداءً لخطايا البشر وللخطيئة الأصلية لآدم كما يزعم أصحاب الصلب والفداء . (المترجم) .

اليهود والمسيحيون على ذلك بالنسبة ليونان (سيدنا يونس) يصرُّ إخوتنا المسيحيون على أن المسيح كان « ميتاً » ببطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال معارضين بذلك قول المسيح إن آيته ستكون « مثل » آية يونان الذى كان « لا يزال حيّاً » فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال .

وأنا أسأل إخوتنا المسيحيين سؤالاً بسيطاً هو : لو كان المسيح « ميتاً » كما يزعمون فى بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هل كانت معجزته تكون مثل معجزة يونان الذى « ظل حيّاً » فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ؟

والإجابة عن هذا السؤال بالقطع هى : لا . لن تكون معجزة المسيح مثل معجزة « يونان » لو أصر إخوتنا المسيحيون على زعمهم أن المسيح كان « ميتاً » فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ، بينما كان يونان (يونس) حيّاً فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال . ويكون زعمهم هذا مخالفاً لأقوال المسيح كما هى موجودة بكتابهم المقدس ، كما هو موجود فى أيديهم بحالته الراهنة ، إذ أن المسيح قال لهم : « لأَنه كَمَا كَانَ يونانُ فى بطنِ الحُوتِ ثلاثةَ أيامٍ وثلاثَ ليالٍ هكذا يكونُ ابنُ الإنسانِ فى قلب الأرض ثلاثةَ أيامٍ وثلاثَ ليالٍ » . (متى ١٢ : ٤٠)

قال بعض علماء المسيحية : ليس المهم هو ما إذا كان يونان « حيّاً » فى بطن الحوت وكان يسوع « ميتاً » فى قلب الأرض ، المهم هو « الوقت » . إن يسوع يريد فقط أن يخبرنا عن « الوقت أو المدة » التى سيقضيها ميتاً فى قلب الأرض ! إن يسوع يركز على « تماثل الوقت » فى المعجزتين وهو ثلاثة أيام وثلاث ليال ، ولذلك تكرر هذا التعبير الذى يدل على تماثل المعجزتين أربع مرات .

فلنناقش معهم مسألة « تماثل الوقت » . لا خلاف على أن معجزة بقاء يونان فى بطن الحوت هى ثلاثة أيام وثلاث ليال ، ليس فى ذلك مشكلة . إن ذلك هو ما حدث، ولا مشكلة أبداً فى ذلك ، ولكن المشكلة التى لا حل لها إنما هى حساب « الوقت » الذى قضاه يسوع فى قلب الأرض حسب حكايتهم وسردهم لوقائع الصلب والدفن والقيامة المزعومة ، أقصد قيام المسيح من بين الموتى فيما يزعمون ، وهم بالفعل يزعمون هذا الزعم ولا ينكرون صدوره عنهم . ويمكن النظر فى قبول زعمهم لو لم يثبت تناقضهم واستحالة صدق ما يزعمون . وسنعتمد على ما يقوله كتابهم المقدس .

يحتفل المسيحيون عندنا فى جنوب إفريقيا بيوم الجمعة الحزينة . ولما سألتهم لماذا تحتفلون بيوم الجمعة الحزينة قالوا لي : إن المسيحيين فى كل أنحاء العالم يحتفلون بيوم الجمعة الحزينة ، لأنه اليوم الذى صلب فيه المسيح .

وسألتهم : متى صُلب المسيح يوم الجمعة ؟ هل صُلب صباحاً ؟ أم عند الظهر ؟ أم عند الغروب ؟ قالوا : لقد بدأت عملية الصلب بعد الظهر . وأنت تعرف أنها تستغرق بعض الوقت لتحرك موكب تنفيذ الصلب إلى جلجوثة حيث تمّ الصلب ، وكذلك إعداد الصليب . لقد كان لدى الرومان مراسم وخطوات وأدوات لتنفيذ أحكام الصلب .

وسألتهم : ما مدة بقاء المسيح على الصليب بعد تثبيته على الصليب ؟

قالوا : تسع ساعات أو ست ساعات أو ثلاث ساعات [1] على اختلاف فى الروايات .

وسألتهم : هل كانوا قد قطعوا ساقي المسيح وهو على الصليب ؟ فقالوا : لا ، لم تقطع ساقاه وهو على الصليب . لقد كان من المقرر صلبه بطريقة الصلب البطيئة ، وهى التى لا تقطع فيها الساقان من المصلوب .

وسألتهم : أنتم تعرفون كل شيء عن صلب المسيح . إن الصلب مهم جداً فى عقيدتكم . متى أنزلوا المسيح عن الصليب ؟ ومتى دفنوه فى القبر ؟ فقالوا : تم إنزال المسيح عن الصليب حوالى الساعة التاسعة أو الثانية عشرة مساءً ، لأن اليهود كانوا يستعجلون دفنه .

وسألتهم : ولماذا كان اليهود يستعجلون دفنه ؟ فقالوا : إنه يوم السبت . أنت تعرف معتقداتهم بخصوص يوم السبت . إن اليهود لا يعملون شيئاً يوم السبت ، وأنت تعرف أن يوم السبت يبدأ عندهم اعتباراً من منتصف الليل بعد يوم الجمعة الذى تم فيه الصلب . وأنت تعرف أنه يوجد بالتوراة نص يوجب دَفْنَ جثة الشخص المصلوب قبل مجيء يوم السبت حتى لا تنجس أرض اليهود كما توصيهم بذلك التوراة ، وأنت تعرف تشدد اليهود فى مراعاة شكليات الطقوس الدينية ، ولذلك كانوا يتعجلون إنزال المسيح عن الصليب حتى لا يجيء منتصف الليل التالى ليوم الجمعة وهو اليوم الذى صلب المسيح فيه ، وجثة المسيح معلقة على الصليب .

---

(١) يقول ديفيد فارار فى كتابه (حياة المسيح) (ص ٤٢١) : « كان يسوع على الصليب لمدة ثلاث ساعات ثم أُنزل عنه » . (المترجم) .

قلت لهم : راجعوا حساب الوقت الذى بَقِيَهُ المسيح ميتاً فى قَلْبِ القبر . قالوا على الفور : إنه ثلاثة أيام وثلاث ليال . إنها مدة مماثلة لبقاء يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال . يقول الكتاب المقدس إن يسوع نفسه كان قد تنبأ بذلك .

قلت : تعالوا نحسب سوياً : دُفن المسيح ليلة السبت ، وكان جسده موجوداً بالقبر يوم السبت ، وليلة الأحد ، وفجر يوم الأحد ذهبت مريم المجدلية إلى القبر ولم تجد به جسد المسيح . فما مدة بقاء المسيح فى قلب القبر ؟ إن مدة بقاء جسد المسيح فى قلب القبر هى ليلتان ويوم واحد . ليلتان [١] ونهار واحد .

إن كتابكم المقدس يؤكد أنه دُفن فى ليلة السبت [٢] بعد انقضاء نهار الجمعة . ويحدد إنجيل لوقا بالضبط وقت اكتشاف مريم المجدلية لعدم وجود جسد المسيح بالقبر

(١) ولمزيد من الإيضاح لمدة بقاء جسد المسيح فى قلب القبر نورد هذا الجدول :

عيد القيامة	فى المقبرة	
	أيام	ليال
يوم الجمعة : وُضع بالمقبرة عند غروب الشمس .	—	ليلة واحدة
يوم السبت : من المفروض أنه بالمقبرة .	يوم واحد	ليلة واحدة
يوم الأحد : غير موجود بها .	—	—
المجموع	يوم واحد	ليلتان

ولقد حاولوا تدارك هذا الخطأ الواضح والتناقض الفاضح أن يرجعوا بتاريخ صلب المسيح إلى يوم الخميس أو يوم الأربعاء ، وهو ما يسمونه العد تنازلياً من فجر الأحد ثم الرجوع ثلاثة أيام للوراء ، ولكن محاولتهم هذه غير مجدية ، لأنه يستحيل تغيير التاريخ . لقد مضى حوالى ٢٠٠٠ سنة والمسيحيون يحتفلون بيوم الجمعة الحزينة ، لأنه يوم صلب المسيح ، فهل يجعلون يوم الأربعاء حزيناً ؟ وحاولوا اعتبار جزء من اليوم يوماً وجزء النهار نهاراً وقالوا : يجوز ذلك على سبيل المجاز . ولو أضفنا نهاراً قبل ليلة السبت ونهاراً بعد فجر الأحد لكان لدينا يومان وليلتان ، ويستحيل تدبير جزء من ليلة ثالثة . (المترجم) .

(٢) نهاية الأسبوع عند اليهود هى يوم السبت ، ويعتبرونه إجازة ولا يعملون فيه شيئاً ، وبداية الأسبوع عندهم هى يوم الأحد . (المترجم) .

إذ يقول : « ثُم في أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه ومعهن أُناس فوجدن الحجر مُدحرجاً عن القبر فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع » . (لوقا ٢٤ : ١ ـ ٣)

هذا هو التصور المسيحى لشأن المسيح الذى يزعمون أنه إله ، وأنه صُلب ومات على الصليب ليفدى خطايا البشر والخطيئة الأصلية بدمه ، وأنه دُفن ميتاً فى قلب القبر ثلاثة أيام وثلاث ليال ، وقام من بين الموتى ورُفع حياً إلى السماء بعد أربعين يوماً من صلبه ليجلس على يمين العظمة ويحاسب الناس .

وجدير بالذكر أن خمسين بالمئة بل خمسة وسبعين بالمئة من قساوسة وعلماء الكنيسة الإنجليكانية لا يرون أنه من الضرورى أن يؤمن أحد بألوهية المسيح .

أما بخصوص صلبه وموته على الصليب فالتناقض واضح بين الادعاء بأنه مات على الصليب ، وبين رواية الإنجيل لظروف وأحداث عملية الصلب . وكذلك التناقض واضح بين الادعاء بموته عل الصلب ودفنه ميتاً وبقائه ميتاً ثلاثة أيام وثلاث ليال وبين رؤية مريم المجدلية له ، وكذلك رؤية الحواريين له ، وكلامه معها ومعهم ، وتناوله الطعام وأكله الطعام بتلك الحجرة العلوية ، التى كان يأوى إليها مع حوارييه قبل الصلب .

والتناقض فى رواية الكتاب المقدس عن صلب المسيح أيضاً واضح فى مدة بقاء المسيح بقلب القبر ، حيث إنها ليست ثلاثة أيام وثلاث ليال مثلما بقى يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، بل يظهر لنا الحساب الدقيق لمدة بقائه حيّاً فى القبر أنها لم تتجاوز ليلتين ويوماً (نهاراً) واحداً حسب أقوالهم فى الكتاب المقدس لديهم .

كل هذه التناقضات تجعل من حقنا نحن المسلمين أن نرفض بكل حسم ولا نقبل مزاعم إخواننا المسيحيين سواء فيما يتعلق بزعمهم ألوهية المسيح أو زعمهم موته على الصليب وقيامته من بين الموتى بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال ، كما يجعلنا ذلك وغيره كثير نرفض أية مزاعم أخرى .

إن القرآن الكريم ينفى ألوهية المسيح ، وينفى عقيدة التثليث ، وينفى الزعم بأن المسيح هو ابن الله نفياً حاسماً قاطعاً فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا

يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليم ﴾ [١] . (سورة المائدة : ٧٣)

والمسلمون أيضاً لا يوافقون على زعم المسيحيين أن المسيح عليه السلام كان قد مات أو قُتل على الصليب ، ودفن ميتاً لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال ثم قام من بين الموتى . إزاء التناقضات الكبيرة والكثيرة الموجودة بكتابكم المقدس بشأن هذا الزعم لا يقبل المسلم زعمكم هذا بشأن موت المسيح وقتله على الصليب .

إن مريم المجدلية ـ ومعها رفيقات لها ـ كانت قد ذهبت إلى القبر ـ الذى كان المسيح قد دفن فيه ـ فجر يوم الأحد . لماذا ذهبن إلى القبر ؟ يقول كتابكم المقدس : لكى يقمن بوضع الحنوط على جسده الميت . وأنا أسألكم : هل يوضع الحنوط على جسد الميت بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال ؟ إن الجسد يبدأ فى التحلل فى اليوم الثالث للوفاة ولا يجدى حنوط . لقد ذهبن فى حقيقة الأمر لمساعدة الحى الذى لا يزال على قيد الحياة وليس لتحنيط ميت تحللت جثته . وإذا كان حواريوه قد تركوه وهربوا جميعاً فإن أتباعه من النساء لم يلزمهن هرب وكذلك المتعاطفون معه المتقبلون لدعوته سراً . لقد شهدوا عملية الصلب . النساء شهدنها . ربما شهدتها مريم المجدلية . ربما لاحظت ولم يُشبَّه لها ما شُبِّه لهم من موته على الصليب كما ظنوا ، ولذلك تكون قد منعت من الحركة كيهودية يوم السبت ، وفجر الأحد سارعت إلى مدفنه إذ ربما كان لا يزال حياً ، وربما يحتاج إلى المساعدة . وعندما وصلت إلى المدفن وجدت القبر مفتوحاً والحجر مدحرجاً ، إذ سبقها إلى تقديم المساعدة آخر أو آخرون .

وسألها الرجلان اللذان شاهداها تبكى ، على حد قول إنجيل يوحنا :

« فقالا لها : يا امرأةُ لماذا تبكينَ ؟ قالتْ لهما : إنَّهم أخذُوا سيِّدى [٢] ولستُ أعلمُ أين وَضعُوه . ولما قالتْ هذا التفتتْ إلى الوراءِ فنظرتْ يسوعَ واقفاً ولم

---

(١) كان الشيخ أحمد ديدات يقرأ الآيتين الكريمتين ويترجم المعنى إلى اللغة الإنجليزية معنى بعد آخر . (المترجم) .

(٢) إنها لا تقول «أخذوا الجثة » أو أخذوا « الجثمان » بل تقول : « أخذوا سيدى » وتقول: « ولست أعلم أين وضعوه » ولا تقول : « ولست أعلم أين دفنوه » مما يدل على أنها تتكلم عفوياً عن شخص مريض وليس عن جثة ميت سرقها لصوص . (المترجم) .

تَعلمْ أنَّه يسوعُ . فقال لها يسوعُ : يا امرأةُ لماذا تبكينَ ؟ مَنْ تطلُبينَ ؟ فظنَّتْ تلك أنَّه البُستانيُّ » . (يوحنا ٢٠ : ١٣ ـ ١٥)

لماذا ظنت مريم المجدلية أنه البستانى ؟ لا بد أنه كان متنكراً فى ملابس يرتديها عمال البساتين . ولماذا كان متنكراً فى ملابس عمال البساتين ؟ لأنه كان يخاف من اليهود الذين كانوا قد استصدروا أمراً من الحاكم الرومانى بقتله صلباً ، وكانوا قد شرعوا فى تنفيذ الحكم فعلاً . لقد كان المسيح يخشى أن يعاود اليهود القبض عليه وتنفيذ حكم الإعدام صلباً فيه مرة أخرى بعد إذ نجاه الله من محاولتهم الماكرة الأثيمة الأولى .

ويستمر يوحنا فى وصف ذلك اللقاء الحيوى الهام بين مريم المجدلية والمسيح فى فجر ذلك اليوم من أيام الأحد ، فيقول :

« قال لها يَسوعُ : يا مريمُ . فالتفتَتْ تلك وقالتْ له : ربُّونى ، الذي تفسيرُهُ يا مُعلِّم[1] » . (يوحنا ٢٠ : ١٦)

وبمجرد أن ناداها باسمها كما كان قد تعود أن يناديها : « مارى »[2] تعرفت عليه من صوته ومن طريقة نطقه باسمها « مارى » ، فقالت له : يا معلِّم[3] .

لقد بدأت مريم المجدلية تدرك أنها تقف أمام معلمها وأنه لا يزل حيّاً .

ويقول إنجيل يوحنا : « قال لها يَسوعُ : لا تَلمسينى لأنِّى لم أصعدْ بعدُ إلى أبى » . (يوحنا ٢٠ : ١٧)

لماذا طلب منها ألا تلمسه ؟ هل هو مولد كهربائى يخشى أن تلمسه مريم فتُصعق ؟ كلا .. حقيقة الأمر أن المسيح لاحظ أن مريم تهمُّ أن تندفع نحوه لتحتضنه كإنسان عزيز غال نجا من موت كان يبدو محققاً . ربما كانت قد بدأت تندفع نحو قدميه لتقبّلهما أو نحو يديه لتقبّلهما ، وأراد أن يوقفها عن ذلك لأن جراحه لم تندمل تماماً بعدُ .

---

(١) حسناً .. إنها لم تقل : يا إلهى ! (المترجم) .

(٢) « مارى » اسم مقابل لاسم « مريم » باللغة العربية ، وفيه مجال للتنغيم بطرق مختلفة . (المترجم) .

(٣) اشتهر المسيح بين قومه من بنى إسرائيل اليهود باعتبار أنه « معلِّم » إذ كان يصوِّب ما حرَّفه اليهود وبدلوه ، باقتدار مستمدٍ من الله سبحانه وتعالى . (المترجم) .

ولقد قال لها : « لأننى لم أصعدْ بعدُ إلى أبى » . ما معنى أنه لم يصعد بعدُ إلى أبيه . لا يتحتم أن يكون الصعود بالجسد . إننا جميعاً عندما نموت تصعد أرواحنا إلى الله سبحانه وتعالى . إن معنى قوله لها : « لأننى لم أصعد بعد إلى أبى » هو أنه لم يمت ولم تزهق روحه . إنه لم يمت بعد ولم يقهر الموت كما يزعمون . لا أحد يقهر الموت . الموت يقهر كل البشر . ولقد كان المسيح بشراً رسولاً من رسل الله . كل ما فى الأمر أنه كان لا يزال حيّاً لم يمت بعدُ ولم تصعد روحه إلى بارئها . معنى ذلك أنه لم يمت بعدُ آنذاك .

وهكذا أيها الإخوة والأخوات .. يدل كل شيء على أن المسيح عليه السلام لم يمت على الصليب ولم يقم من بين الأموات . ولا يعقل أن نقبل مزاعم الإخوة المسيحيين بهذا الصدد لتناقض مزاعمهم مع نصوص كتابهم المقدس كما أشرنا إلى نماذج منها . ويحق لنا نحن المسلمين أن نتمسك بما يقوله القرآن الكريم لنا فى هذا الصدد حيث إنه واضح ومحدد ودقيق [1] وصحيح ولا تناقض فيه بأى حال . وبشأن موضوع : هل صُلب المسيح ؟ وهل مات على الصليب ؟ يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم :

﴿ وقَوْلِهِمْ إنّـا قَتَلْنا المسيحَ عِيسَى ابنَ مريمَ رسولَ اللهِ وَما قَتَلُوه وَما صَلَبُوهُ ولَكن شُبِّهَ لهُم وإنَّ الّذينَ اخْتَلَفُوا فيـه لَفِى شَـكٍّ مِنهُ ما لهُم به مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتّبـاعَ الظنِّ وَمـا قَتَلُوهُ يَقيناً ﴾ (سورة النساء : ١٥٧)

* * *

السيد الرئيس .. سيداتى .. سادتى :

أشرف الوقتُ المخصَّص لى على الانتهاء . ولقد تحدثتُ إليكم لمدة ساعة ، وتحدث صديقى البروفيسور فلويد كلارك لمدة خمسين دقيقة ، وباقٍ لسيادته عشر دقائق يتحدث فيها إليكم . إن سيادته هو الذى اختار هذا النظام ، ولو كنت تحدثت أنا فى البداية لكان لدى سيادته فرصة أكبر للرد على ما قلته بشأن موضوع مناظرتنا ، ولكن سيادته

---

(١) من المدهش أن القرآن الكريم فى مواضع كثيرة يخبرنا عما كان قد حدث للمسيح ولأمه العذراء مريم ابنة عمران وجميع آل عمران ، حتى ما كان يدور فى ذهن سيدنا زكريا أخبرنا به القرآن الكريم على نحو دقيق معجز يستحيل صدوره عن أى مصدر غير الله سبحانه وتعالى . (المترجم) .

هو الذى اختار هذا النظام . إنه يريد أن تكون له اللمسات الأخيرة فى موضوع المناظرة ، ولكن ليس لدى سيادته سوى عشر دقائق . لقد اختار البروفيسور فلويد أن يتحدث فى البداية لمدة خمسين دقيقة ثم أتحدث أنا لمدة ستين دقيقة ، ثم يتحدث سيادته لمدة عشر دقائق . وأنتم بلا ريب تستطيعون أن تختاروا ما يحلو لكم اختياره وما تطمئن إليه عقولكم وقلوبكم . إنكم تستطيعون دون ريب أن تختاروا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(تصفيق)

* * *

عشر دقائق أخرى للبروفيسور كلارك

ويتقدم الدكتور جمال بدوى من مكبر الصوت ويرجو من الحاضرين ألا يقاطعوا البروفيسور كلارك عند حديثه إليهم لمدة عشر دقائق متبقية لسيادته ، ويطلب منهم الهدوء أيضاً أثناء المناقشة . ويتقدم البروفيسور كلارك من مكبر الصوت .

*   *   *

يقول البروفيسور كلارك :

أرجو أن تستجيبوا لرئيس جلستنا ، وأرجو ألا يقاطعنى أحد أثناء كلامى . أنا أعلم أن كثيراً من الحاضرين لا يوافقون [١] على محتوى كلامى ، وأرجو أن تمنحوا السيد ديدات نفس المعاملة .

إن السيد ديدات قد شاركنا فى دراسة الكتاب المقدس . وهو قد قام بدراسة الأصحاح الخامس عشر من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس . وهناك ثلاث أو أربع نقاط :

أولاً : أنا لست هنا للنقاش . إن السيد ديدات دعانى إلى هنا للتحدث فى هذا اللقاء. ولقد كنت قد اتفقت معه على أننا لسنا هنا لنتقاتل [٢] ، ولقد وافقنى على ذلك ،

---

(١) لماذا يقول الدكتور فلويد كلارك إنه يشعر أن كثيراً من الحاضرين لا يوافقون على كلامه ؟ سؤال لا مفر من وجود إجابة له . (**المترجم**) .

(٢) هل يظن البروفيسور كلارك أنه جاء للنزهة ؟ ألا يعرف أنها مناظرة محددة الموضوع حول صلب المسيح ومناقشة هل مات على الصليب أم لم يمت على الصليب ؟ ألا يعرف أنه عالم من علماء المسيحية المحترفين لمهنة التبشير ؟ ألم يتعلم اللغة اليونانية خصيصاً من أجل التعمق فى دراسة الكتاب المقدس لديه ؟ ألا يعلم أن كلامه فى المناظرة يمثل وجهة النظر المسيحية فى =

وقال إننا سنتناقش من خلال معطيات الكتاب المقدس . أنت ستبذل قصارى جهدك وأنا سأبذل قصارى جهدى ثم نترك الأمر لله . وهذا هو الذى حدث !

وأنا أشكر له المجاملة التى أبداها نحوى . وأنا ثانياً : أدعو صديقى إلى المزيد [(١)] من الدراسات فى الكتاب المقدس .

يا أخ أحمد : أولاً وقبل كل شىء فيما يتعلق بمريم المجدلية ومحاولتها لمس جسم يسوع المسيح أود أن أقول لك إنك بحاجة إلى معرفة اللغة اليونانية . إن الكلمة لها معنى فى صيغة المبنى للمعلوم ، ولها معنى آخر فى الصيغة المتوسطة بين المعلوم والمجهول [(٢)] .

= هذا الموضوع المهم؟ ولماذا يعتقد فى وجود قتال ؟ هل يحس بأنه قد قُتل إذ هُزم وفشل فى عرض دعاويه بشكل مقنع للحاضرين مما يعرضه للقتل المعنوى ؟ لقد أفلتت منه تعبيرات تعبر عن حقيقة موقفه . كان الله فى عونه وعون كل خلقه . (المترجم) .

(١) هذا أسلوب شائع الاستخدام لدى محترفى التبشير بالمسيحية . إنهم باستمرار يوهمون الناس أو يجتهدون فى أن يوهموا الناس أنهم لا يعرفون أمور الدين ، ولا يفهمون كلام الله ، وأنه تلزمهم الدراسة ويعوزهم الفهم . ومن الأنسب والأفضل للناس أن « يؤمنوا » دون دراسة ودون فهم ، وليترك الناس شئون الدين ومسائل العقيدة لرجال وعلماء الدين المسيحى ، وحسب الناس غير العاملين فى الكهنوت أن يقبلوا التعميد لأنفسهم ولمن يعولون ويتناولوا العشاء المقدس أو الأفخارستيا ويدفعوا للكنيسة كل ما يستطيعون دفعه من أموال . (المترجم) .

(٢) نعرف صيغة المبنى للمعلوم ، ونعرف صيغة المبنى للمجهول . ويريد البروفيسور كلارك أن يوهم بوجود صيغة بين الصيغتين ! كيف ؟ وبِمَ تُسمَّى ؟ وفيم تستخدم ؟ وعلام تدل ؟ إن دلَّ هذا على شىء فإنما يدل على أفانين تجهيل الناس وإيهام الناس بأنهم لا يفهمون . إن البروفيسور كلارك يحاول أن يوهم أن كلمة « تلمس » ليست هى كلمة تلمس . إن « لا تلمسينى » ليست لا تلمسينى ، إن لها معنى آخر . والدكتور فلويد لا يقوله بل يحتفظ به لنفسه لأسباب قوية كثيرة .

يقول الكتاب المقدس باللغة العربية إن المسيح قال لمريم المجدلية : « لا تلمسينى » ويقول الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية إن المسيح قال لمريم المجدلية : Do not Touch me . ويقول البروفيسور فلويد إن لهذا التعبير الذى استخدمه المسيح معنى آخر . ولقد تتبعت الإحالة إلى بداية الأصحاح السابع من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس وهى تبدأ هكذا : « وأما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها فحسن للرجل ألا يمس امرأة » (١ كورنثوس ٧ : ١) . وهو بالإنجليزية كما يلى :

= Now, to deal with the matters you wrote about . A man does well not to marry .

إن معناها فى صيغة المبنى للمعلوم هو « يلمس » وهو المعنى الذى تكلم عنه الأخ أحمد . ومعناها فى الصيغة الأخرى هو « يدّعى . يطالب » كما استخدمت فى الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس رقم ٧ .

وحقية الأمر هى أن مريم المجدلية قد تشبثت [١] به وأمسكت بركبته لتحافظ عليه ، وقال لها يسوع : « لا تتشبثى بى لأننى لم أصعد بعدُ إلى أبى » .

إن السيد ديدات يستخدم هذا النص لإثبات أن يسوع كان حيّاً . وهذا صحيح . كان يسوع [٢] حيّاً . ولقد صعد إلى السماء بعد ذلك حيّاً بجسده . لقد صعد يسوع حياً

= وبصرف النظر عن غرابة المعانى فى توصية بولس للرجال بأفضلية عدم مس امرأة ، أو توصية بولس فى الطبعة الإنجليزية للرجال بأفضلية عدم الزواج ، نجد ألا علاقة بين هذين المعنيين والمعنى الموجود فى النص المتعلق بمريم المجدلية . يسوع مجروح ، ويطلب من مريم المجدلية ألا تلمسه بكل ما فى اللمس من معانٍ . هذا واضح وذاك غامض . (**المترجم**) .

(١) وفقاً لمفهوم البروفيسور كلارك يكون يسوع المسيح قد قال لمريم المجدلية : لا تلمسينى ، فتشبثت به وأمسكت بركبته على وجه التحديد . والغرض من ذلك الذى يبرر ذلك هو المحافظة عليه ! هكذا يتوهم البروفيسور فلويد كلارك أنه يستطيع أن يوهم الحاضرين بأنه يفهم الكتاب المقدس والشيخ ديدات لا يفهمه . إن الشيخ ديدات لم يفهم المعنى الغريب لقول يسوع لمريم لمجدلية « لا تلمسينى » إذ إن الحقيقة التى لا يعرفها إلا العالمون بأسرار اللغة اليونانية هى أن « لا تلمسينى » معناها « المسينى وتشبثى بركبتى » على وجه التحديد . لقد هجر البروفيسور كلارك الوضوح إلى الغموض . إنهم يعشقون الغموض ويعتمدون عليه اعتماداً تاماً. (**المترجم**).

(٢) هذه مغالطة فظيعة من أكبر المغالطات فى تاريخ العالم دون أى مبالغة . لقد برهن الشيخ أحمد ديدات على أن يسوع كان « لا يزال حيّاً » بعد عملية الصلب ، ومعنى ذلك أنه لم يكن قد مات على الصليب . يجوز أن يكون قد أغمى عليه ولكنه لم يكن قد مات ، ودفنوه وهو حى غير ميت ، وشاهدته مريم المجدلية وكان « لا يزال حياً » ورآه الحواريون وتحدث إليهم وأكل أمامهم وكان « لا يزال حياً » . وهذا هو معنى « حى ». « حى » التى برهن عليها الشيخ ديدات تعنى « الحياة بسبب عدم الموت » . وكلمة حى التى يستخدمها البروفيسور فلويد تعنى أنه « حى بعد أن كان قد مات وقام من بين الموتى » . وشتان بين المعنيين . هل كان يسوع حياً لأنه لم يفقد الحياة ؟ أم كان يسوع حيّاً لأنه فقد الحياة ثم استردها ؟ولقد برهن العلامة ديدات بنصوص من الكتاب المقدس ذاته على أن الذين يحيون بعد الموت يحيون بالروح لا بالجسم ، فما بال المسيح قام من بين الموتى بالروح والجسم ؟ إن وجوده حيّاً بعد الصلب يعنى أنه كان لا يزال حيّاً لم يفقد الحياة . (**المترجم**) .

بجسده إلى السماء . ولكن الشيء المهم هو أن الشيخ ديدات لم يدرك أن يسوع قال للحواريين بالحجرة العلوية : « جسّونى وانظروا فإنّ الرّوحَ ليس له لحمٌ وعظامٌ كما تَرونَ لى » ، ولم يلاحظ الأخ ديدات أن يسوع لم يقل لهم : « فإن الروح ليس له لحم ودم [١] » . وهذا يدل على أن يسوع كان قد بذل دمه عندما مات على الصليب . إن يسوع لم يسترد دمه بعد ذلك بمعجزة . لقد جاء إلى تلك الحجرة العلوية بجسم دون دم . والدليل على ذلك أن جروحات جنبه [٢] ويديه ورجليْه لم تكن تنزف .

وبالنسبة للتمييز بين الحي والميت فى قيامة المسيح من بين الأموات ينبغي على الأخ أحمد أن يعمق دراساته [٣] فى هذا الموضوع . قال يسوع إنه سيبذل حياته ثم يستردها ،

---

(١) وهذا أيضاً أشد غرابة من الغرائب كلها . ألم يكن عند يسوع دم عندما ظهر أمام الحواريين بالحجرة العلوية ؟ هل يمكن أن يتحرك إنسان ويتكلم ويأكل ويشرب وليس فيه نقطة من دم ؟ كيف يمكن ذلك ؟ وما تعليل ذلك ؟ هل كان يسوع قد ضحى بدمه فداء لخطايا البشر على الصليب ثم ذهب ليقابل مريم المجدلية والعمواسيان ومشى إلى الحجرة العلوية وهو لحم وعظم بغير دم كما يحاول أن يوهم بذلك البروفيسور فلويد ؟ هذا هو كلامه حرفياً ، وراجعوه إن شئتم ، فليراجع من يشاء شريط الفيديو الذى سُجِّلت عليه أقواله بالصوت والصورة . إن لديهم جرأة عجيبة على أن يقولوا أى كلام دون أى معقولية . إنه يتكلم ويخرج الكلام من فمه كما يخرج الماء من صنبور ماء متدفق ذى ضغط عال دون توقف ، وليس مهماً أن يفهم أحد ، وليس مهماً أن يكون الكلام مفهوماً ، وليس مهماً أن يكون الكلام خطأ ، وليس مهماً أن يفهم الناس ، وليس مهماً الوصول إلى أى حقيقة ، وليس مهماً أن يقتنع أحد . وإذا لم يفهم الناس فليتّهم الناس فى قدرتهم على الفهم !! ولعل أعظم فوائد ومزايا تسجيل هذه المناظرة وترجمتها إلى العربية هو أنها تكشف كيف يفكرون وكيف يتكلمون . هذه هي طريقتهم ، وهذا هو أفضل ما عندهم . (المترجم) .

(٢) يا له من دليل ! فليأتِ البروفيسور فلويد إلى مصر ليرى السادة الرفاعية يدخل الواحد منهم سيخاً من الحديد فى صدغه الأيمن ويخرج السيخ من صدغه الأيسر وليمونة معلقة فى طرفه ، وبعد انتهاء الموكب يتم نزع السيخ دون نزف دم . (المترجم) .

(٣) ما هو المقصود بطلب تعميق الدراسة فيما يتعلق بالتمييز بين الحي والميت . إن الشيخ أحمد ديدات قد استخدم نفس نصوص الإنجيل فى هذا الصدد حرفياً وبدقة مع الإشارة إلى مكان الاقتباس بكل تحديد ودقة (١ كورنثوس ١٥ : ٤٣ ، ٤٤) . أى تعميق لدراسة أكثر من هذا؟ على كل حال .. ما دام تعميق الدراسة يفضى بهم إلى أقوال بلا معنى مثل هذه الأقوال التى =

وسيعود حتماً ليكون معهم . وهذا هو ما فعله . ولكنه بعد أربعين يوماً صعد تاركاً الجسد العارى خلفه وصعد بالجسم المزعوم .

وبالنسبة لما ذكره أحمد من أن يسوع كان قد قال لمريم المجدلية : « لم أصعد بعدُ » وفيما يتعلق بشأن معجزة يونان ينبغى على أحمد أن يرجع إلى النص [١] .

وعندما قال يسوع : إننى سأبقى ثلاثة أيام وثلاث ليال فى قلب الأرض نجد أن الكلمة اليونانية « هوستر » تعنى « بالفعل » وهى لا تعبر عن مقارنة تفيد التطابق التام بل هى مقارنة جدلية [٢] . ولو أراد المؤلف علاقة أكيدة لكان قد استخدم عبارة أخرى تدل على المماثلة التامة .

أما بالنسبة للثلاثة أيام والثلاث ليال فإننى أقول : إن المسيحيين لم يحتفلوا بالجمعة الحزينة إلا بعد نيِّف وثلاثمائة سنة [٣] منذ عهد المسيح بعد مجىء المسيح جدّت عادات

= يقولونها ولا يجدون غيرها يَحْسُنُ بنا أن ندع لهم « تعميق الدراسة » ليلفقوا ما طاب لهم تلفيقه ويغيِّروا ما يحلو لهم تغييره ويبدِّلوا ما يروق لهم تبديله . مسكين البروفيسور فلويد هو الآخر ! إنه لا يجد ما يقوله بالغاً ما بلغ عمق دراسته . (المترجم) .

(١) يرجع إلى النص أكثر مما رجع ؟ الشيخ أحمد يرجع إلى النص ، والبروفيسور فلويد يرجع عن النص . (المترجم) .

(٢) ما هو المقصود بالمقارنة الجدلية ؟ الله أعلم . الرجا من القارئ الكريم أن يعيد قراءة الجملة كلها بدءاً من قوله : « وعندما قال يسوع ... مقارنة جدلية » ، وإذا كان للجملة معنى فالرجا التكرم بالاتصال بى طرف الناشر ، مع التكرم بإيضاح المعنى إن وجد . إن البروفيسور فلويد فى موقف لا يُحسد عليه . إنه يتكلم لأنه طرف فى المناظرة ، وحيث إنه لا يجد جملة مفيدة ذات معنى يقولها لدحض حجج وبراهين الشيخ أحمد ديدات ها هو ذا أيها القارئ الكريم يقول جملاً بلا معنى . هل أنا أتجنى عليه ؟ أنا لا أقصد أى تجنٍّ أو تحامل ، ولا أميل إلى عدم اللياقة بأى حال. وكان الله فى عون خلقه . إنه لا يجد ما يقوله ، ومن الضرورى أن يقول . ماذا يفعل ؟ وماذا تفعل لو كنت مكانه ؟ ربما كنت ـ أيها القارئ الكريم ـ تفعل شيئاً آخر ، ولكنه بروفيسور فى اللاهوت المسيحى ، وهو مبشِّر ، وهو يعمل كمحاضر فى اللاهوت المسيحى فى مختلف كليات اللاهوت المسيحى بجميع أرجاء العالم . إنه فى موقف صعب ، وهو مبرمج . هل يمكن له أن يتصور أن ينتزع منه كل شىء ليكون إنساناً على باب الله . (المترجم) .

(٣) صحيح أن المسيحية قد أصبحت شيئاً آخر لا يمت بصلة إلى دعوة المسيح الصحيحة بعد =

كثيرة . كان ذلك غريباً على العهد الجديد . يعلمنا العهد الجديد أنه كان يوجد سبتان: السبت الكبير ، والسبت اللاحق للسبت الكبير . ولقد دُفن المسيح يوم الخميس وليس يوم الجمعة [1] ، ورقد جثمانه بالقبر بعد يومين من السبت .

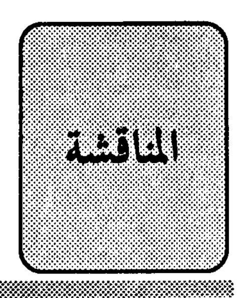
أكرر شكرى على مجاملتكم . بارككم الله جميعاً .

(ويغادر المنصة دون تصفيق)

* * *

= نيف وثلاثمائة سنة من انتهاء شأن المسيح مع قومه . لقد تدخل امبراطور الرومان وأصبح عاهل المسيحية وأصبحت المسيحية تُصاغ عقائدها بقرارات امبراطورية . ولو طرحنا ثلاثمائة سنة ونيفاً من حوالى ألفى عام لكان باقى الطرح زمناً طويلاً . وماذا سيفعلون بالجمعة الحزينة ؟ إنه يحاول تبرير الخطأ لا نفيه . (المترجم) .

(١) يقول البروفيسور فلويد فى ختام كلامه عن مدة بقاء المسيح فى مدفنه : « ولقد دفن المسيح يوم الخميس وليس يوم الجمعة » كيف يُصلب المسيح يوم الجمعة كما ينص على ذلك الكتاب المقدس ويُدفن يوم الخميس السابق ليوم الجمعة ؟ هل هذا معقول ؟!



يتقدم الدكتور جمال بدوى ويقول عبْر مكبر الصوت : أبدأ بطرح بعض الملاحظات فيما يتعلق بتوجيه الأسئلة . وأرجو من الذين يودون توجيه أسئلة أن يصطفوا هنا . يُسمح بسؤال واحد . ومن يريد توجيه أكثر من سؤال يكتفى فى المرة الواحدة بسؤال واحد ، وإذا أراد توجيه سؤالٍ آخر عليه أن يصطف من جديد . وعلى كل حال لدينا حوالى عشر دقائق فقط ، لذا نرجو إيجاز الأسئلة ، أرجو ألا يكون السؤال عبارة عن محاضرة أو موجز لمحاضرة ، أرجو أن يكون السؤال فى الموضوع .

* * *

السؤال الأول

لماذا استُخدمت كلمة Raised فى اللغة الإنجليزية وهى المقابلة لكلمة « قام » باللغة العربية ، ولماذا تحدثتْ المراجع التاريخية فى العالم كله عن الصلب الفعلى للمسيح The Actual Crucifixion of Jesus بواسطة السلطات الرومانية ؟

إجابة الشيخ أحمد ديدات :

إن كلمة قامِ Raised قد استُخدمت فى الأناجيل الأربعة : إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا . ولم يستخدم تعبير « بعث من الموت Resurrected » ولا مرّة فى الأناجيل الأربعة [1] .

---

(١) جدير بالملاحظة فيما يتعلق بالشق الثانى من السؤال أنه يوجد فى اللغة الإنجليزية فعل يدل على الصلب هو فعل Crucify ولا يوجد فعل يدل على عدم الموت على الصليب بحيث يكون فعلاً =

إجابة البروفيسور فلويد :

لست متأكداً أننى سمعت السؤال نظراً لوجود ضجيج . ولو كنت قد فهمت السؤال جيداً لقلت إن الكتاب المقدس يؤكد أن يسوع المسيح قد مات وقام بين الموتى died and was resurrected وكان حيّاً . هذه هى تعاليم الكتاب المقدس . بعث يسوع المسيح حيّاً .

السؤال الثانى

هل قال عيسى شيئاً عن مجىء رسول الإسلام محمد ﷺ ؟

رد مدير اللقاء :

بصفتى مدير هذه المناظرة أقول : إن هذا السؤال ليس متعلقاً بموضوع مناظرة الليلة . أرجو أن تكون الأسئلة متصلة تماماً بموضوع المناظرة . وشكراً .

السؤال الثالث

لو كان عيسى المسيح عليه السلام قد افتدى خطايا البشر بدمه نتيجة لموته على الصليب لما كانت هنالك وسيلة لردع الخطاة الآثمين ، الذين يمكن لهم أن يعوّلوا على أنهم سيفلتون من الحساب أمام الله والعقاب فى الحياة الآخرة . كيف يكون هنالك ردع للخطاة الآثمين فى الآخرة لو صح أن المسيح قد افتدى خطايا البشر بدمه ما داموا قد قبلوا التعميد كمسيحيين ؟

إجابة البروفيسور فلويد :

يطلب مدير اللقاء من صاحب السؤال تلخيص السؤال مرة ثانية ، فيقول صاحب

= مكوناً من كلمة واحدة كسائر الأفعال مثل : يخدش Scratch أو يكسر break ويضاف إلى ذلك أن وضع المحكوم عليه بالصلب على الصليب شىء وموته على الصليب شىء آخر . ويضاف إلى ذلك أن الموت إنما يكون فى المقام الأول بأمر الله وليس بأمر بيلاطس . ويضاف إلى ذلك أن اليهود أرادوا قتل المسيح صلباً ، وأراد الله إنقاذ رسوله عيسى عليه السلام من الموت صلباً . فمن الأنفذ إرادةً : الله أم اليهود ؟ مساعدة الله للمسيح متفق عليها ومتفق على أن الله قد أنقذه . والنظر واختلاف وجهات النظر منحصر فى إجابة : أين ومتى وكيف جاءت مساعدة الله لإنقاذ المسيح من مكر اليهود : فى البستان أم على الصليب ؟ (المترجم) .

السؤال : لو ضاعت إمكانية عقاب الخطاة الآثمين ، لأن المسيح قد افتدى أخطاء البشر بدمه أثناء صلبه ، فكيف يكون هناك ردع للخطاة الآثمين وهم يعلمون أن خطاياهم قد افتداها المسيح بدمه أثناء صلبه ؟ وإذا كان الخطاة الآثمون سيحاسبون ويعاقبون عقاباً عادلاً فى الآخرة فما جدوى سفك دم المسيح ؟ وما جدوى تضحية المسيح بدمه ؟

(تصفيق)

ويقول البروفيسور فلويد :

أخشى أننى لم أفهم السؤال جيداً نظراً للضجيج . وإذا كان السؤال يقول : هل تشجع تضحية المسيح بدمه فداء لخطايا البشرية على تمادى الخطاة فى خطاياهم ؟ إذا كان هذا هو السؤال فأنا أريد أن أؤكد أن هذا غير صحيح . كانت هنالك القوانين الرومانية ، والمسيحى يطيع يسوع المسيح وتغفر له خطاياه . المسيحى يموت فى الخطيئة ويطهر منها بالمعمودية وبموته ، ولا يستطيع المسيحى أن يستمر فى الخطيئة إن قبل بدين المسيح ، لأن المسيح أيضاً مات بالخطيئة .

السؤال الرابع

جاء فى إنجيل متى بالأصحاح السابع والعشرين ، بالجملة السادسة والأربعين : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : « إيلى إيلى لما شبقتنى ، أى إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ » (متى ٢٧ : ٤٦) ، ولفظة « إيلى » التى تكررت مرتين اسم شخص يونانى وتستخدم فى اللغة اليونانية باعتبارها اسم شخص ، لماذا تم تحويرها إلى : إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ (لم يكن السؤال مفهوماً على هذا النحو وطُلب إلى صاحب السؤال تكراره أكثر من مرة) .

إجابة البروفيسور فلويد :

لا يمكننى إجابة السؤال وهو بهذه الصياغة . تعبير « إيلى إيلى لما شبقتنى » موجود فى العهد القديم ، ويمكن لصاحب السؤال أن يجد إجابة ، إنه سيجد إجابة جيدة على سؤاله بالعهد القديم [١] .

---

(١) السؤال طريف للغاية ، وللأسف لم يفهمه أحد من الموجودين بالمناظرة . إن صاحب السؤال قد لاحظ أن كلمة « إيلى » التى تكررت مرتين فى الجملة التى أشار إليها إنما هى اسم شخص =

السؤال الخامس

أشكر السيد ديدات على محاضرته القيمة الممتازة . وسؤالى موجه إلى البروفيسور فلويد وهو : هل تعتقد أن المسيح هو الله ؟ أم أنه ابن الله ؟ أم أنه رسول من رسل الله ؟ لأنه قد وردت أقوال منسوبة للمسيح بالكتاب المقدس يُفهم منها إمكان وصف المسيح بكل صفة من هذه الصفات ؟

إجابة البروفيسور فلويد :

عندما قال يسوع المسيح : « يا أبتى فى يدك أسلمتُ رُوحى » فلقد كان يتحدث من منطلق الخدمة الطويلة ومن خلال كل ما كان قد فعله طوال تلك الخدمة فى الدعوة إلى الله . والأفعال التى فعلها لم تكن عنده ، وهو لم يفعل إلا ما سمح الله بفعله ، ولم يقل إلا ما سمح الله له بقوله . وكان يسوع المسيح ينادى بأن الله هو أبوه .

السؤال السادس

إننى أسأل البروفيسور فلويد عن رأيه فى المسلمين الذين يؤمنون أن المسيح كان رسولاً من رسل الله ، ولا يؤمنون بألوهية عيسى المسيح ، ولا يؤمنون أن المسيح قد صُلب ومات على الصليب . هل المسلمون كفار ؟

إجابة البروفيسور فلويد :

لا يهم رأيى ، ولكن ما يهم هو ما يقوله الكتاب المقدس . وبمراجعة الكتاب قد نصل إلى رأينا الخاص . لكننى أعتقد أن ما ذكره أخى أحمد بشأن العهد الجديد ليس بعيداً عن الملكوت is not Far from the kingdom ... .

السؤال السابع

سأقوم بتوجيه سؤالين : الأول هو : لو كان القرآن حقاً من عند الله فقد جاء فى

= يونانى ، وهو يسأل : لماذا تُرجمت فى العربية مثلاً إلى : « إلهى » ، وتُرجمت فى الإنجليزية إلى « My God » ، ولماذا لا يكون بين الموجودين شخص يُدعى « إيلى » كان قد ترك المسيح وهرب هو الآخر مما أثار سؤال المسيح عن هربه . من غير اللائق أن يشك رسول من رسل الله فى عناية الله بأمره . ويسأل صاحب السؤال : لماذا لا يكون « إيلى » اسم شخص ؟ (المترجم) .

القرآن الكريم قول المسيح : والسلام عليّ يوم وُلدتُ ويوم « متُّ » ويوم أُبعثُ حيّاً . وبنـاء على ذلك يكون المسيح باعتراف القرآن قـد وُلد ، وقـد مات ، وقد بُعث حيّـاً[(١)] . والسؤال الثانى هو ... وهنا تدخل مدير اللقاء وأزاح صاحب السؤال من أمام مكبر الصوت قائلاً له : أنا آسف . أنا آسف . سؤال واحد . نظام المناقشة هو توجيه سؤال واحد . لو كان لديك سؤال آخر تستطيع تقديمه فيما بعد لو سمحت الظروف بذلك . السؤال للشيخ أحمد ديدات .

إجابة الشيخ أحمد ديدات :

الآية التي يستدل بها صاحب السؤال على استنتاجه الخاطئ هى : ﴿ **وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُـوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّـاً** ﴾ (سورة مريم : ٣٣) والآية القرآنية لا تقول : والسلام على يوم ولدت ويوم « مت » ويوم أُبعث حيّـاً . إن استخدام الزمن الصحيح للفعل مسألة هامة ، ولا مجال لأى تحريف فى القرآن الكريم .

" تمت بحمد الله ترجمة المناظرة بين الشيخ
أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك "

*　　*　　*

(١) على الرغم من عدم ذكر اسم صاحب السؤال أمكن لى التعرف عليه ، إنه هو الدكتور أنيس شروش ، فلسطينى مسيحى هاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤٨م بعد حصوله على شهادة الثانوية العامة ، والتحق بكلية اللاهوت المسيحى بأمريكا حتى حصل على شهادة الدكتـوراه فى اللاهوت المسيحى ، ويعمـل أستاذاً للاهـوت المسيحى . وقد تحدى العلامة ديدات بعد هذه المناقشة مباشرة أن يتقابل معه في مناظرة . وتمت المناظرة بذات القاعة ، وقمنا بترجمة وقائعها إلى العربية فى كتاب بعنوان « مناظرة العصر » .

ومن الطريف أن الدكتـور أنيس شروش أرسل إليّ بملاحظات على ترجمتنا العربية لهذه المناظرة ، وقمت بإعداد رد هادئ وموضوعى ومؤدب قدر استطاعتى على ملاحظات سيادته ، وللأسف الشديد رفض الناشر إضافة الإضمامة التى تحوى ملاحظات الدكتور أنيس وردودى المتواضعة عليها لأسباب غير مفهومة لى فيما يتعلق برفض الناشر طبع الإضمامة ونشرها . إن من حق الدكتـور أنيس أن نطبع وننشر ملاحظاته ، وأنا من جـانبى أقر لسيادته بهـذا الحق . وردودى المتواضعة على ملاحظات سيادته جاهزة للطبع والنشر ، وأعد سيادته بطبعها ونشرها عندما تسمح الظروف بذلك . (**المترجم**) .



قال صاحبى : ما أهمية وجدوى مثل هذه المناظرة ، هل أسلم البروفيسور فلويد كلارك أم هل تنصّر الشيخ أحمد ديدات ؟

قلت : لم يدخل البروفيسور كلارك يا صاحبى فى الإسلام حتى الآن فيما أعلم . ولم يتنصّر الشيخ أحمد ديدات . وتتمثل أهمية وجدوى مثل هذه المناظرة فى أن الطرف المسيحى فى المناظرة قد أوضح وجهة نظره فى مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه عموماً ، وهل مات المسيح على الصليب أم لم يمت على الصليب خصوصاً ، وكذلك أوضح الطرف المسلم وجهة نظره فى هذه المسألة الهامة التى تشغل بال المسيحيين والمسلمين على السواء .

ولقد شاهدتَ وسمعتَ شريط المناظرة يا صاحبى ، ولقد قرأتَ ترجمةً دقيقةً باللغة العربية لما قدمه كل من طرفى المناظرة تعزيزاً لوجهة نظره ، وتستطيع أن تختار لنفسك بنفسك قبول المعتقدات المسيحية أو المعتقدات الإسلامية بصدد هذه المسألة الهامة .

الطرف المسيحى فى المناظرة يزعم أن المسيح قد مات على الصليب ليفدى البشرية بدمه من تلك الخطيئة الأصلية original sin التى اقترفها آدم وحواء منذ بدء الخليقة ويتوارثها أبناء آدم وحواء . ويزعم الطرف المسيحى أن المسيح بعد أن مات على الصليب تم دفنه لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال ثم قام من بين الموتى ، وأنه إله ، وأن خلاص البشر ونجاة البشر من الهلاك تتمثل فى الإيمان بهذه المعتقدات المسيحية بشأن المسيح ، وهذا الإيمان يتم من خلال قبول الإنسان للتعميد المسيحى بغمس الإنسان فى الماء وإخراجه منه على يد رجل دين مسيحى ويتم من خلال قبول الإنسان لتناول وأكل ومضغ وبلع قطعة خبز من يد رجل الدين المسيحى مع الاعتقاد بأنها جسد المسيح ، وشرب قليل من الخمر مع الاعتقاد أنه دم المسيح ، وهو طقس من طقوس الدين المسيحى يطلقون عليه اسم التناول أو الأفخارستيا .

ومنه يتضح أن طريق نجاة كل إنسان من العذاب والهلاك وهو ما يسمونه باسم « الخلاص » إنما يتم من خلال الإيمان بهذه المعتقدات فيما يتعلق بألوهية المسيح وبشأن صلبه وموته وقيامته . والوسيلة العملية للتعبير عن هذا الإيمان المسيحى تتمثل فى قبول التعميد والتناول أو الأفخارستيا كما أوضح الطرف المسيحى بطريقة دجماطيقية لا تقبل تعقلاً أو تفكيراً أو مناقشة . إيمان وقبول بالتعميد وقبول بالأفخارستيا ، ليتحقق للإنسان « الخلاص » من العذاب والهلاك ، وإلا يحق عليه العذاب والهلاك .

ونفى الطرف المسلم فى المناظرة استناداً إلى نصوص الكتاب المقدس ذاته أن يكون المسيح قد مات على الصليب ، وأوضح تناقض المعتقدات المسيحية مع نصوص الكتاب المقدس ذاته وتناقضها مع بعضها ، وخلوها من المعقولية ، وذلك قدر استطاعته .

وتستطيع أنت يا صاحبى كما يستطيع كل من شاهد واستمع إلى شريط الفيديو الذى يحوى وقائع هذه المناظرة أو كل من قرأ ترجمتنا المتواضعة لوقائعها أن يكتشف بنفسه أىّ طرفى المناظرة قد أصاب الحقيقة فيما يتعلق بألوهية المسيح ، أو فيما يتعلق بكونه إنساناً نبياً من المرسلين ، كان يأكل طعام البشر ويشرب شراب البشر ، ويخرج فضلات الطعام والشراب ، كما يستطيع كل إنسان أن يقرر بنفسه لنفسه كيف كانت نهاية شأن المسيح مع قومه ، هل مات المسيح على الصليب كما كان يريد له أعداؤه من اليهود أن يموت على الصليب أم أن الله قد أنجاه من محاولتهم قتله على الصليب بواسطة استصدار حكم بصلبه من الحاكم الرومانى عمل على تنفيذه جنود الرومان ؟ يستطيع كل إنسان يا صاحبى أن يقرر بنفسه لنفسه ما إذا كان أعداء المسيح عليه السلام قد نجحوا فى قتله صلباً أم فشلوا فى ذلك ولم يمت المسيح على الصليب إذ أنجاه الله مما أرادوه له من القتل صلّباً .

هذه هى أهمية مثل هذه المناظرة يا صاحبى وتلك هى جدواها . ولهذه الأسباب يا صاحبى تكون المناظرة بالغة الأهمية عظيمة الجدوى بصرف النظر عن أن يدخل طرفها المسيحى فى الإسلام أو لا يدخل ، وبصرف النظر عن أن يعتنق طرفها المسلم المسيحية أو لا يعتنقها . إن وفد نصارى نجران بعد مناظرته الشهيرة مع نبى الإسلام ﷺ فى العام العاشر الهجرى لم يدخلوا فى الإسلام ، ورفضوا المباهلة التى اقترحها عليهم النبى ﷺ كما أشار عليهم بذلك رئيسهم . ولم يقلل ذلك من شأن وأهمية وجدوى هذه المناظرة الحاسمة ، إذ أنها أوضحت معتقدات المسلمين وأوضحت معتقدات المسيحيين فيما يتعلق بألوهية سيدنا عيسى عليه السلام أو عدم ألوهيته .

ولقد رفض قوم نوح فى الغالب الأعم دعوته ، بل رفض ابنه أن يركب معه السفينة لينجو من الغرق فى الطوفان ، وقال لأبيه : سآوى إلى جبل يعصمنى ، ودعاه سيدنا نوح أن يركب معه إذ لا عاصم من أمر الله ، رفض ابن سيدنا نوح دعوة أبيه ليهلك فوق قمة الجبل الذى آوى إليه ليعصمه من الموت ، ولم يعصمه الجبل من أمر الله ، فكان ابن سيدنا نوح من الهالكين . والشواهد فى هذا الصدد يا صاحبى أكثر من أن تُحصَى.

قال صاحبى : اسمح لى أن أستوضح بعض النقاط بشأن الموقف المسيحى فى مسألة صلب المسيح . ويلزمنا كمسلمين أن نكون منصفين ، وبصرف النظر عن أن الموقف المسيحى عموماً يتمثل فى ثلاث كلمات هى : آمن (أن المسيح إله) وتعمَّد وتناولْ . إلا أنهم فيما يتعلق بمسألة صلب المسيح يقدمون بين يدى ادعاء موته على الصليب بعض الحجج ، ومنها أن شهود العيان Eye Witnesses عشرات ، بل مئات شهود العيان قد شاهدوه وجنود الرومان يقومون بإلقاء القبض عليه ، ويقتادونه إلى مكان الصلب فى جلجوثة ويضعونه على الصليب ، ويدقون المسامير فى يديه لتثبيته على الصليب ، ويضربونه ويعذبونه ويسخرون منه ، فضلاً عن أن المسيح عليه السلام كان قد تعرض لثلاث محاكمات أمام كبير أحبار اليهود قيافا ، وأمام حاكم إقليم الجليل الذى ينتمى إليه المسيح عليه السلام ، وأمام بيلاطس الحاكم الرومانى لفلسطين ، وتفاصيل ذلك موجودة ومدونة بالكتاب المقدس ، وفى كتب التاريخ العام متواترة توارثها الأحفاد عن الأجداد .

ولهذه الأسباب يؤمن المسيحيون أن المسيح قد مات على الصليب ، وأنه قد قام من بين الأموات بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال من دفنه ، وصعد إلى السماء بعد أن افتدى خطايا البشر بدمه ، فكيف بالله عليك يجىء نبى الإسلام عليه السلام الذى ولد بمكة عام (٥٧٠ م) ليقرر بشأن قتْلِ المسيح على الصليب أن الله قد أوحى إليه فى القرآن الكريم قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَقَوْلِهِم إنَّا قَتَلْنا المسيحَ عيسَى ابنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوه ولَكِن شُبِّهَ لَهُم وإنَّ الَّذينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِنهُ ما لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوه يَقيناً ﴾ . (سورة النساء : ١٥٧)

أى القولين نصدق : هل نصدق قول اليهود ، وأيضاً المسيحيين الذى يتمثل فى أن أعداء المسيح من اليهود قد قتلوا المسيح صلباً أم نصدق قول القرآن الكريم أنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ؟

اسمح لى يا صاحبى أن أتبنى موقف الطرف المسيحى فى هذا السؤال الذى أرجو أن تجيبنى بشأنه توخّياً للإنصاف وإظهاراً للحق الذى أنشده أنا ، وتنشده أنت ، وينشده كل الخلق : ما قولك بشأن ما يدعيه النصارى من احتجاجهم بشهود العيان ، وبالتواتر ؟

قلت : أتفق معك يا صاحبى فى أنه لا يجوز إهدار شهادة شهود العيان دون مبررات وأسباب قوية . وعندما يشهد رجلان أو رجل وامرأتان على أفعال أو أقوال منسوبة إلى شخص من الأشخاص تصح نسبة هذه الأفعال أو تلك الأقوال إليه ما لم يدفع هذا الشخص ببطلان شهادة الشهود لأسباب واضحة كوجود خصومة بينه وبين الشهود يثبت قيامها أو بوجود تضارب واضح فى شهادة كل شاهد من الشاهدين وهكذا . لا يجوز إهدار شهادة شهود العيان دون أسباب ومبررات قوية يا صاحبى .

وكذلك لا يجوز إهدار التواتر ، تواتر المعلومات التاريخية الموثوق بصحة وقوعها كالحروب وغيرها من إرسال الرسل والأنبياء . كيف نطمئن إلى دخول الإسكندر الأكبر إلى مصر ؟ وكيف نعرف أن قوم سيدنا صالح عليه السلام قد عقروا الناقة ، إنه التواتر الذى تعززه الأدلة والشواهد من كتابات مؤرخين مشهود لهم بالصدق والكفاية مع عدم قيام تناقض فى الرواية التاريخية للحدث الواحد ، إذ أنه لو تعارضت الروايات المتواترة لم يكن الخبر الذى يعتمد على التواتر يقيناً ، كما تدل الشواهد المادية على صحة الأخبار المتواترة ، كما تدل الكتب المقدسة الصحيحة غير المحرفة على صحة الأخبار التى تصل إلى البشر عن طريق التواتر .

وبشأن التواتر نجد أن الشيخ أحمد ديدات قد قدم ما يفيد تناقض معلومات المسيحيين واليهود فى أنهم قتلوا المسيح على الصليب . ويؤمن المسلمون بوجود تناقضات فيما يرويه أهل الكتاب عن موت المسيح فعلاً على الصليب . ويؤمن المسلمون بما يخبرهم به القرآن الكريم من أن المسيح لم يقتلوه ولم يصلبوه كما كانوا يخططون ويرغبون إذ نجاه الله من مكرهم وكيدهم .

هذا هو شأن التواتر يا صاحبى . لا يتم إهدار التواتر لأنه من أهم مصادر العلم البشرى بما مضى من أحداث تاريخ البشرية بما فى ذلك نبوة الأنبياء ورسالات الرسل ما لم تشب هذا التواتر شوائب تناقض داخلى فى تفاصيله أو خارجى فى شواهده ودلائله العقلية والمادية . ولا يخفى عليك يا صاحبى أن الشيخ أحمد ديدات قد أشار وعرض فى حدود الوقت المتاح له فى هذه المناظرة إلى كثير من تناقض المعلومات المتواترة لدى أهل الكتاب عن مسألة صلب المسيح وموته على الصليب كما يزعمون ، ولدى أهل الكتاب تناقضات أخرى بالإضافة إلى ما ذكره الشيخ أحمد ديدات .

إن ما ذكره الشيخ أحمد ديدات بهذا الخصوص إنما هو مجرد نماذج لتناقض المعلومات الموجودة لدى أهل الكتاب بشأن قَتْلِ وصَلْبِ المسيح عليه السلام . لو كان لدى أهل الكتاب رواية واحدة متواترة لا يوجد بها تناقضات بشأن مسألة موت المسيح على الصليب لما كان هنالك مفر من الأخذ بها ، ولكن عندما توجد تناقضات كثيرة كبيرة فى معلوماتهم التى يزعمون لها التواتر ، لا يكون لهذا التواتر المتناقض أية قيمة يا صاحبى .

هذا هو شأن التواتر يا صاحبى . تستطيع أنت ، ويستطيع أى شخص أن ينظر ليرى : هل معلومات أهل الكتاب التى يزعمون أنها موجودة لديهم عن طريق التواتر متسقة تمام الاتساق أم متناقضة كل التناقض ؟ وعلى ضوء إجابة هذا السؤال بشأن التواتر تكون للتواتر قيمة وحجية أو يكون معدوم القيمة والحجية فى موضوع محدد مثل موضوع الادعاء بقتل وصلب المسيح عليه السلام .

عندما يقول المسيحيون مثلاً : إن المسيح عليه السلام ـ فيما يزعمون ـ قد تم موته على الصليب يوم الجمعة ، وتم دفنه يوم الجمعة ، وأنه ظل فى مدفنه ثلاثة أيام وثلاث ليال ثم قام من بين الموتى ، ونجد أن مريم المجدلية قد ذهبت إلى مدفنه بنص كتابهم المقدس بعد فجر يوم الأحد فوجدت أن الحجر الذى كان يسد مدخل المدفن غير موجود ، وأن جسد المسيح غير موجود فى المدفن ، وعندما نحسب الوقت الذى مكثه جثمان المسيح فى المدفن من الليلة الواقعة بين يوم الجمعة ويوم السبت حتى صباح يوم الأحد نجدها يوماً واحداً هو يوم السبت وليلتين هما الليلتان اللتان تقع أولاهما بين يوم الجمعة ويوم السبت وتقع ثانيتهما بين يوم السبت وصباح الأحد ، عندئذ يتضح التناقض فيما تواتر لديهم فى أهم المراجع عندهم على سبيل المثال لا الحصر .

وعبثاً يحاولون التخلص من مثل هذا التناقض . النصوص موجودة بكتابهم المقدس تحمل مثل هذا التناقض . ولقد قال البروفيسور فلويد كلارك فى هذه المناظرة مثلاً بالحرف الواحد فى نهاية العشر دقائق المخصصة له فى آخر هذه المناظرة ، قال : « ولقد دفن المسيح يوم الخميس وليس يوم الجمعة » . وقلنا فى ملاحظة رقم (٢) بالهامش السفلى لصفحة ٦٦ من هذا الكتاب : « كيف يصلب المسيح يوم الجمعة كما ينص على ذلك الكتاب المقدس ويدفن يوم الخميس السابق ليوم الجمعة ؟ » .

هذا مثال واحد من أمثلة التناقض فى معلوماتهم عن موت المسيح صلباً ودفنه وقيامته ، هل يعتد بما يحتجون به من تواتر للمعلومات التى يزعمون وصولها إليهم عن طريق التواتر فى هذه المسألة يا صاحبى ؟

قال صاحبى : لا . إنما يُعتَدُّ بالتواتر ما لم يكن مشوباً بتناقض . أما إذا شابه تناقض فلا يُعتَدُّ به أبداً . هذا بشأن التواتر ، فماذا بشأن ما يزعمونه من وجود شهود عيان شهدوا المسيح عليه السلام يحاكم ويتم القبض عليه ويوضع على الصليب ويموت على الصليب ويدفن ثم يقوم من بين الأموات بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال ثم يصعد حيّاً بجسمه وروحه إلى السماء بعد أن افتدى خطايا البشر بدمه ، ماذا عن شهود العيان هؤلاء الذين يحتجون بهم ويستندون فى صحة مزاعمهم كلها على شهادتهم ، ويقولون إنهم عشرات ، بل مئات الشهود وصلت شهادتهم وإفادتهم الخطية عمّا شهدوه بخصوص مسألة قتل المسيح صلباً إليهم بالتواتر ؟

قلت : بعد أن انتهينا من أن التواتر الذى يزعمونه لا يعتد به لوجود تناقض ، بل تناقضات كثيرة فى المعلومات المتواترة لديهم بهذا الخصوص ، يتضح أولاً يا صاحبى أن وجود تناقض فى الإفادات التى أفادها شهودهم تجعل شهادة شهودهم معدومة الحجية .

ما هو موقف قاض ينظر إحدى القضايا فى إحدى المحاكم لو تناقضت شهادة شاهدين فى المسألة موضوع القضية ؟ إنه يستبعد هاتين الشهادتين ما لم تقم أدلة كافية تفيد صحة إحداها . وما هو موقف مثل هذا القاضى لو اكتشف واتضح له وجود تناقض وانعدام معقولية شهادة الشهود حتى لو كانوا متفقين فيما يشهدون به أمامه فى موضوع القضية . إنه يستبعد شهادة مثل أولئك الشهود بطبيعة الحال .

التناقض الذى أشرنا إلى مثال له يفسد شهادة شهود العيان ويجعل شهادتهم معدومة الحجية أولاً وقبل كل شىء يا صاحبى ، أليس كذلك ؟

قال صاحبى : بلى . إن التناقض الموجود بداخل شهادة الشهود يفسد شهادتهم حتى لو كانوا متفقين عليها .

قلت : بالإضافة إلى ذلك ، وثانياً ، تعال يا صاحبى نفترض أننا نوافق على شهادة شهودهم . أليس من حقنا ، ومن حق هيئة الدفاع عن الطرف الآخر ، ومن حق القاضى ذاته أن يناقش أولئك الشهود فيما أدلوا به من معلومات أثناء شهادتهم ؟

قال صاحبى : بلى . من حق ممثل الدفاع عن الطرف الآخر الذى شهد شهود العيان لغير صالحه أن يناقش الشهود فى المعلومات التى تضمنتها شهادتهم . ولنفترض أن سيادتك ممثل الدفاع عن الطرف الآخر ، أو أن سيادتك القاضى الذى ينظر هذه القضية. تفضل ناقش الشهود .

قلت : أشكرك يا صاحبى أن أتحت لى فرصة مناقشة هؤلاء الشهود سواء كانوا عشرات الشهود أو مئات الشهود .

سأسألهم فى البداية سؤالاً يوجَّهُ إلى أى شاهد فى أية قضية : ماذا رأيتم وماذا سمعتم بشأن ادعاء أهل الكتاب أنهم قتلوا المسيح صلباً ؟

قال صاحبى : سيقولون إنهم شاهدوا المسيح عليه السلام يحاكم أمام السهندرين برئاسة كبير الأحبار قيافا ، وسيذكرون نص اتهام قيافا للمسيح من أنه يزعم أنه المبارك ابن الله . وسيذكرون أن المسيح قد رد عليه بقوله : « أنت قلت » . وسيذكرون أنهم قد شاهدوا المسيح يحاكم أمام الحاكم الرومانى بيلاطس ، فيقول له بيلاطس : « هل أنت ملك اليهود ؟ » فيرد عليه المسيح بقوله : « مملكتى ليست من هذا العالم » .

وأنا أسأل هنا : « هل كان المسيح هو الذى يجيب هذه الإجابات أم أنه كان شبيه المسيح الذى ألقى الله شبه المسيح عليه ؟ وسيقولون : إن جند الرومان قد قبضوا على المسيح لقتله صلباً تنفيذاً للأمر الذى استصدره اليهود ضد المسيح وأنهم قد اقتادوه إلى المكان الذى كان قد خصصه الرومان لتنفيذ حكم الإعدام صلباً فى المجرمين ، ووضعوه على الصليب ، وكان معه على صليبين آخرين لصان محكوم عليهما بالصلب ، وسيقولون تفاصيل عملية الصلب ، وكيف تم قطع ساقى كل من اللصين للتعجيل بموتهما لدفنهما ، ولم يتم تقطيع ساقى المسيح إذ وجدوه ميتاً ، وطعنه أحد الجنود بحربة فى جنبه ، وعندما لم يبد المسيح حراكاً بعد طعنه بالحربة فى جنبه أنزلوه عن الصليب ودفنوه . فماذا أنت قائل لهؤلاء الشهود لو افترضنا أنهم أجابوا سؤال سيادتك عمّا شاهدوه وسمعوه بشأن مسألة قتل وصلب المسيح على هذا النحو الذى ذكرته لك ؟

قلت : سيكون السؤال الثانى الذى أوجهه إلى أولئك الشهود هو : هل شاهدتم « روح المسيح » تفارق جسمه على الصليب عندما أنزلوه عن الصليب ليدفنوه ؟ من منكم شاهد « روح المسيح » تفارق جسمه على الصليب ؟ ما هو رأيك فى هذا السؤال يا صاحبى ؟ وماذا تقول أنت بشأنه وأنت تجيب بدلاً منهم كما فعلت بالنسبة لسؤال ماذا شاهدتم إذ تفضلت وأدليت بمحتوى ما يمكن أن يشهدوا به ؟

قال صاحبى : هذا سؤال مدهش ، وهو أيضاً سؤال هام . الحق أقول إن أى شاهد من شهود العيان أولئك لا يستطيع أن يزعم بحق أنه شاهد روح المسيح تفارق جسده على الصليب لسبب جوهرى بديهى هو أن الروح عندما تفارق الجسد عند الوفاة لا يستطيع أن يشاهدها أحد على الإطلاق . ولو ادعى أحد أنه شاهد روح أحد وهى تفارق جسده لكان كاذباً لا محالة .

ولكن ، لى ملاحظة هامة وهى أن سيادتك على هذا النحو تفترض وتسلّم وتوافق على أن جند الرومان قبضوا على المسيح ابنِ مريم عليه السلام فعلاً ، ولم يقبضوا على شخص آخر ألقى الله شبهه عليه ليصلَب بدلاً منه كما هو شائع فى معتقدات المسلمين ، وتفترض أن جند الرومان الذين كان مناطاً بهم تنفيذ حكم الإعدام صلباً ضد المسيح عليه السلام ، قد وضعوا المسيح ولم يضعوا شبيهه على الصليب . وهذا مخالف لما يردده المفسرون المسلمون للآية الكريمة السابعة والخمسين بعد المئة من سورة النساء التى تحدد بدقة حقيقة ما حدث للمسيح وكيف انتهى شأنه مع قومه من وجهة النظر الإسلامية . وأنت تعرف أننى سلفى أتمسك بأقوال السلف الصالح من المفسرين . هل الشخص الذى تم وضعه على الصليب فى موضوعنا هذا هو المسيح أم أنه كان شخصاً شبيهاً بالمسيح كما يقرر ذلك جمهور المفسرين المسلمين ؟

قلت : لاحظ يا صاحبى أنك بسؤالك هذا تحول وتغير مسار الحوار من حوار بين الآراء المسيحية والآراء الإسلامية بشأن مسألة موت المسيح على الصليب ليكون بين مسلمين ومسلمين . أى أننا كمسلمين سنتحاور فيما بيننا بشأن ما إذا كان الشخص الذى تم وضعه على الصليب هو المسيح عليه السلام أم شخص آخر ألقى الله شبهه على المسيح ، وقبض عليه جنود الرومان ووضعوه على الصليب ليقتلوه .

قال صاحبى : فليكن . لماذا لا نتحاور كمسلمين فى هذه المسألة الهامة ؟ ألاَ تستحق هذه المسألة الحوار بهدف الوصول إلى الحقيقة بشأنها ؟

قلت : إنها بالفعل تستحق الحوار والمناقشة بهدف الوصول إلى الحقيقة بشأنها يا صاحبى ، ولكن الأدب والنظام والهدوء إنما هى اعتبارات ضرورية ولازمة فى مثل هذا الحوار .

قال صاحبى : سألتزم بالأدب والنظام والهدوء فى الحوار معك فى هذه المسألة . وأرجو أن تضع فى اعتبارك أننى سلفىّ النزعة . وتفضل بإجابة سؤالى : هل كان المسيح هو الذى قبض عليه جنود الرومان ووضعوه على الصليب أم كان شخصاً آخر ألقى الله عليه شبه المسيح ، أخذوا الشخص الآخر وصلبوه ، وكانت هذه الطريقة التى أنقذ الله بها رسوله ، المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام مما أراده له أعداؤه من القتل صلباً ؟

قلت : من الذى قال إن الله سبحانه وتعالى قد ألقى شبه المسيح على شخص غيره ، أخذه أعداء المسيح ، ووضعوه على الصليب وقتلوه بدلاً من المسيح ونجا المسيح من القتل على الصليب ؟

قال صاحبى : قال بهذا الرأى جمهور المفسرين المسلمين فى كتب التفسير الموجزة التى يقع كل منها فى كتاب واحد أو المطولة التى تقع فى عديد من المجلدات .

قلت : وما هى الآية الكريمة من آيات القرآن الكريم التى قال جمهور المفسرين المسلمين بنظرية إلقاء شبه المسيح على غيره كوسيلة وحيدة أنقذ بها الله سبحانه وتعالى رسوله المسيح مما أراده له أعداؤه من الموت صلباً ؟

قال صاحبى : أنت تعرفها . إنها الآية ١٥٧ من سورة النساء .

قلت : هات نص الآية الكريمة .

قال صاحبى : لماذا ؟ أنت تعرفها .

قلت : هات نص الآية الكريمة لكى نتدبر المعانى الموجودة بها لعل الله يكشف لنا وجه الحق الذى ننشده فى هذه المسألة الهامة التى اختلف فيها الناس .

قال صاحبى : يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَقَوْلِهِم إنَّا قَتَلْنَا المسيحَ عيسَى ابنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوه ولكِن شُبِّهَ لَهُم وإنَّ الَّذين اخْتَلَفُوا فِيه لَفِى شَكٍّ مِنهُ ما لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوه يَقيناً ﴾ . (سورة النساء : ١٥٧)

قلت : من الواضح أن الله قد حدد موضوع واسم القضية فى صدر الآية الكريمة ، وحدد ماهية وحقيقة الشخص الذى تتعلق به القضية ، وذلك قول الله سبحانه وتعالى بصدر الآية الكريمة : **﴿ وَقَوْلِهِم إنَّا قَتَلْنَا المسيحَ عيسَى ابنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ ﴾** وما الصَّلْب إلا بيان لكيفية القتل لأن كل حكم من أحكام الإعدام يتم النص فيه على كيفية الإعدام . أليس كذلك يا صاحبى ؟

قال صاحبى : بلى . القضية قد تحددت فى صدر الآية الكريمة بأنها قضية قتل المسيح ، والمسيح هو عيسى ابن مريم ، وأن عيسى ابن مريم هو رسول من رسل الله . وجدير بالذكر أيضاً أن الله سبحانه وتعالى قد أصدر حكمه في هذه القضية وذلك فى قول الله سبحانه وتعالى فى آخر هذه الآية الكريمة : **﴿ وَما قَتَلُوهُ يَقيناً ﴾** .

قلت : تعال نتأمل ونتدبر المعاني التى تضمنتها هذه الآية الكريمة ، إذ يقول الله سبحانه وتعالى : **﴿ وَمَا قَتَلُوه وَما صَلَبُوه ولكِن شُبِّهَ لَهُم ﴾** .

قال صاحبى : نعم . إن الله يقول: **﴿ ولكِن شُبِّهَ لَهُم ﴾** يعنى ألقى الله شبه المسيح

على شخص آخر قبضوا عليه وصلبوه ونجا المسيح كما يقول جمهور المفسرين المسلمين.

قلت : مهلاً يا صديقى . إنك تندفع نحو القول بنظرية إلقاء شبه المسيح على شخص آخر اندفاعاً شديداً . ما هو قولك فى معنى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَا قَتَلُوه وَمَا صَلَبُوه** ﴾ ؟

قال صاحبى : المعنى واضح بذاته . المعنى هو أن الله ينفى أن أعداء المسيح قد قتلوه وينفى أنهم قد صلبوه .

قلت : إن معنى قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **وَمَا قَتَلُوه** ﴾ واضح بذاته بالفعل لا يكاد يحتاج إيضاحاً ، وأوافق تماماً على أنه يعنى أن أعداء المسيح لم يقتلوه . ولكن ، ألا يحتاج قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **وما صَلَبُوه** ﴾ شرحاً وتدقيقاً وتمحيصاً ؟

قال صاحبى : أنا مستعد أن أصبر معك فى الحوار صبراً جميلاً طويلاً . لماذا يستحق قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **وَما صَلَبُوه** ﴾ شرحاً وتدقيقاً وتمحيصاً ؟ ولماذا لا يكون شأنها من الوضوح شأن قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **وَما قَتَلُوه** ﴾ معنى واحداً واضحاً محدداً هو نفى الصلب عن المسيح كما تم نفى القتل عنه ؟

قلت : ليس شأن نفى الصلب مثل شأن نفى القتل .

قال صاحبى : لماذا ؟

قلت : لأن لنَفْى القتل معنىً واحداً محدداً واضحاً لا يحتمل معنى آخر . إن أعداء المسيح لم يقتلَوه . أما نفى الصلب ففيه وجهان يتوقف نفى الصلب على أحدهما أو الآخر . وهذا ما لم يحقق فيه ولم يدقق فيه المفسرون الإسلاميون مع بالغ احترامى وتقديرى لهم يا صاحبى .

قال صاحبى : كيف يكون للصلب أو لنفى الصلب أكثر من معنى ؟

قلت : ما معنى قولنا عن شخص إنهم أغرقوه ؟ وما معنى قولنا عن شخص إنهم صلبوه ؟

قال صاحبى : معنى قولنا عن شخص إنهم أغرقوه هو أن هذا الشخص قد وضعه آخرون تحت سطح الماء فمات غرقاً تحت الماء . ومعنى قولنا عن شخص إنهم صلبوه هو أنهم قد وضعوه على الصليب فمات على الصليب من جراء صلبهم له سواء كان هذا الصلب بالطريقة السريعة التى كان الرومان يقطعون فيها ساقى المصلوب فيموت بسرعة على الصليب نتيجة للصلب والنزف كليهما أو كان الصلب بالطريقة البطيئة التى لم

يكونوا يقطعون فيها ساقى المصلوب فيموت ببطء بسبب الصلب لمدة طويلة وانعدام الحركة والجوع والعطش وغير ذلك .

قلت : ولو وضع أناس شخصاً تحت الماء ، ولم يمت هذا الشخص ، ألا يصح أن يقال إنهم « ما أغرقوه » ؟

قال صاحبى : نعم . لو وضع أناس شخصاً تحت الماء لإغراقه ولم يمت هذا الشخص تحت الماء لأى سبب يصح أن يقال إنهم « ما أغرقوه » .

قلت : وبالمثل ، لو وضع أناس شخصاً على الصليب ولم يمت هذا الشخص على الصليب لأى سبب ، ألا يصح أن يقال إنهم « ما صلبوه » ؟

قال صاحبى : نعم . لو وضع أناس شخصاً على الصليب ولم يمت هذا الشخص على الصليب يصح أن يقال إنهم « ما صلبوه » ما معنى ذلك ؟ ماذا تريد أن تقول ؟

قلت : أريد أن أقول إن لنفى الصلب معنيين ، وليس معنى واحداً كما كان يتبادر إلى الأذهان ، وكما هو واضح فى تفسير جمهور المفسرين السابقين لهذه الآية الكريمة من سورة النساء . يتضح أن جمهور المفسرين قد قالوا بنفى الصلب مثل قولهم بنفى القتل سواء بسواء ، فى حين أن نفى القتل لا يحتمل أكثر من معنى واحد ، بينما يحتمل نفى الصلب أكثر من معنى . يجوز لنفى الصلب ألا يوضع الشخص الذى يزعم آخرون أنهم صلبوه على الصليب . لم يوضع على الصليب وبالتالى يصح أن يقال إنهم « ما صلبوه » هـذا هو الاحتمال الأول والمعنى الأول لنفى الصلب . والاحتمال الثانى أو المعنى الثانى لنفى الصلب : هو أن الشخص الذى يزعم آخرون أنهم صلبوه قد تم وضعه فعلاً على الصليب ، ولكنه لم يمت على الصليب .

قال صاحبى : أوافق عى وجود احتمالين وحالتين ينتفى فيهما الصلب كما أوضحت . ماذا يترتب على وجود احتمالين وحالتين لانتفاء الصلب ؟

قلت : يترتب على ذلك نتائج هامة تتصل ببقية تفسير الآية الكريمة التى نجتهد فى تدبر وتأمل معانيها عندما نحاول أن نعرف معنى قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ قال المفسرون يا صاحبى إن الله قد ألقى شبه المسيح على غيره ، ويضيفون من عند أنفسهم إلى ذلك أن أعداء المسيح قد أخذوا ذلك الشخص وصلبوه ونجا المسيح من القتل والصلب .

إن إلقاء شبه المسيح على شخص غير المسيح إنما هو نظرية قال بها المفسرون . إنها رأى المفسرين . ومن المعروف أن المفسرين يلزم كل منهم أن ينظر فى تفسير من سبقه

من المفسرين . هذا بطبيعة الحال من ضـرورات التصدى لمحاولة تفسير آيات القرآن الكريم . ونظرية إلقاء الشبه هذه غير مستساغة وغير معقولة لأسباب هامة كثيرة .

قال صاحبى : ما هى الأسباب التى تجعل نظرية إلقاء الشبه هذه غير مستساغة وغير مقبولة وغير معقولة على الرغم من أن جمهرة المفسرين قد قالوا بها ؟

قلت : أولاً : لا دليل عليها . ولتكون نظرية من النظريات مستساغة ومقبولة ومعقولة يلزم أن تتوافـر لها أدلة تدل على صحتها . ونظـرية إلقاء شبه المسيح على شخص غيره لا ينهض دليل على صحتها ، وتنهض أدلة على عدم صحتها .

قال صاحبى : ما هذا الذى تقوله ؟ ألست مسلماً تصدق ما أخبرنا به الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم ؟ إن الله يقول : **﴿ وَما قَتَلُوه وَما صَلَبُوه ولكن شُبِّهَ لهُم ﴾** .

قلت : صدق الله العظيم . أنا بفضل الله مسلم . أصدق ما أخبرنا الله سبحانه وتعالى به فى القرآن الكريم بشأن هذه المسألة ، مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه . إنهم حقاً وصدقاً كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى لم يقتلوا المسيح عليه السلام ولم يصلبوه ولكن شبه لهم . ولكن علينا أن نحاول فهم كلام الله فى هذه الآية الكريمة على نحو صحيح قدر إمكاننا . ألا يأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتدبر القرآن الكريم أى أن نحاول فهم معانيه التى لا تنفد فى مثل قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ أفَلا يَتدبَّرُونَ القُرآنَ ولوْ كانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ .
(سورة النساء : ٨٢)

إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا يا صاحبى أن نتدبر القرآن وأن نفكر فى معانيه ، ومعانى القرآن الكريم لا تنفد ولا تنتهى . ولقد التزمت أنت يا صاحبى بأن تلزم الأدب فى حوارك معى ، ويلزمنى أن ألتزم حدود الأدب فى حوارى معك ، وسوف أتغاضى عن تساؤلك عن إسلامى ومدى تصديقى لكل ما يخبرنا به القرآن الكريم بشرط أن تفهم معانى كلام الله فى القرآن الكريم فهماً لا تشوبه شائبة خطأ فى التفسير أو التأويل .

وعندما كنت بصدد بيان أول سبب من أسباب عدم قبول نظرية إلقاء شبه المسيح على شخص آخـر بادرت إلى التساؤل ما إذا كنت أنا مسلماً أم غير مسلم ، أصـدق بما أخبرنا الله فى القرآن الكريم أم لا أصدق ، ولقد تغاضيت بكل هدوء عن مغزى توجيه هذين السؤالين لى وأجبت بكل حسم ووضوح أننى مسلم بفضل الله وأصدق كل خبر يخبرنا به الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم .

وأستأنف ما كنت بصدده من قولي إنه لا يوجد دليل على صحة نظرية إلقاء الشبه هذه ، وإذا كانت نظرية من النظريات لا دليل عليها ، تكون هذه النظرية غير مستساغة وغير مقبولة وغير معقولة . إننا نتحاور كمسلمين ، مما يعنى أننا نصدق بكل ما جاء في القرآن من أخبار بشأن أى موضوع من الموضوعات .

قال صاحبي : أنا لا أوافق على عدم قبولك لنظرية إلقاء الشبه والدليل على صحتها هو أنها تفسر لنا كيف نجا المسيح مما أراده له أعداؤه من القتل صلباً . وإذا كان المسيح ما قتلوه وما صلبوه فماذا حدث له ؟ أم أنك تعتقد أنهم قتلوه وصلبوه؟

قلت : لا أعتقد كإنسان مسلم أنهم قتلوه وصلبوه ، بل أعتقد مثلك تماماً أن أعداء المسيح « ما قتلوه وما صلبوه » لقد أنقذ الله المسيح من القتل ومن الصلب . إننا متفقان كمسلمين على ذلك تمام الاتفاق . ومن الضرورى أن ننتبه إلى نقاط الاتفاق بيننا ، ولا يليق بنا ولا يفيدنا أن نبحث عن نقاط الاختلاف بيننا ونهمل الاهتمام بنقاط الاتفاق .

والسؤال المهم هنا هو : كيف أنقذ الله المسيح عليه السلام مما أراده له أعداؤه . لقد اضطر المفسرون المسلمون إلى القول بنظرية إلقاء الشبه إجابة وحيدة لسؤال هام فرض نفسه هو : إذا كان المسيح ما قتلوه وما صلبوه ، فماذا حدث له ؟ وكيف نجا من القتل والصلب ؟ في حين أنهم لو التفتوا إلى أن نفى الصلب لا يستوجب عدم الوضع على الصليب ، ويجوز أن يوضع شخص على الصليب بقصد قتله صلباً ، ولا يكون هذا الشخص قد قتل أو صلب إذا لم يمت على الصليب كما سبق أن أشرنا إلى ذلك ووافقت أنت عليه . قل لى بربك : إذا وضع شخص على الصليب بقصد قتله ولم يمت هذا الشخص على الصليب ألا يجوز أن يقال عن هذا الشخص إنهم ما قتلوه وما صلبوه ؟

قال صاحبي : نعم . لو وضع أناس شخصاً على الصليب بقصد قتله صلباً ولم يمت هذا الشخص على الصليب ، يجوز أن يقال في هذه الحالة إنهم ما قتلوه وما صلبوه .

قلت : هذه يا صاحبي هي كيفية إنقاذ المسيح مما أراده له أعداؤه من القتل صلباً .

إن نفْى وَضْع المسيح على الصليب يعنى أنهم ما قتلوه وما صلبوه . وكذلك نجد أيضاً أن عدم موت المسيح على الصليب يعنى أيضاً أنهم ما قتلوه وما صلبوه .

قال صاحبي : لماذا ترجح المعنى الثاني لكيفية نجاة المسيح مما أراده له أعداؤه من القتل صلباً بأنه يجوز أن يكون قد تم وضعه على الصليب ولم يمت على الصليب على الرغم

من أن عدم وضعه على الصليب أصلاً أقوى فى نفى القتل والصلب ؟

قلت : هذا سؤال وجيه يا صاحبى . أرجح الاحتمال الثانى فى نفى الصلب لأن خصوم الإسلام يعترضون محتجين بشهود العيان الذين شاهدوا جنود الرومان يقبضون على المسيح ويضعونه على الصليب . وشهادة شهود العيان فى هذه الجزئية بالذات لا تشوبها شائبة تناقض أو خلاف بين الشهود . كل شهودهم مجمعون عليها . ولقد سبق لى أن أشرت إلى الظروف التى تقبل والظروف التى لا تقبل فيها شهادة شهود العيان . فى مسألة القبض على المسيح ووضعه على الصليب يستحيل بحق إهدار شهادة شهود العيان ، وكذلك وقائع محاكمة المسيح أمام السهندرين وأمام الحاكم الرومانى بيلاطس. قبضوا عليه وحاكموه ووضعوه على الصليب وشهد بذلك عشرات بل مئات من شهود العيان . ولا تناقض فى شهادة شهود العيان بهذا الصدد يمكن التعويل عليه فى رفض محتوى شهادتهم .

وما الذى يضير وجهة النظر الإسلامية يا صاحبى بشأن ما أخبرنا الله به فى القرآن الكريم من أن أعداء المسيح ما قتلوه وما صلبوه إذا لم نهدر شهادة الشهود الذين شهدوا بأنهم رأوا جنود الرومان يقبضون على المسيح ويضعونه على الصليب ؟

إننا نستطيع أن نقول : فليكن . إن أعداء المسيح قد قبضوا عليه وقد وضعوه على الصليب ، ولكن ، من منكم يا شهود العيان قد شاهد روحه تخرج من جسمه على الصليب ؟

وبطبيعة الحال لن يوجد شاهد واحد يستطيع أن يكون قد شاهد روح المسيح تفارق جسمه على الصليب ، وهكذا لا يكون أعداء المسيح قد قتلوه صلباً على الرغم من أنهم قد تمكنوا من القبض عليه ووضعه على الصليب . وهكذا يكون مكر الله قد غلب مكر أعداء المسيح عليه السلام دون أى حاجة إلى التمسك بنظرية إلقاء شبه المسيح على شخص آخر غير المسيح .

أليس المطلوب هو إثبات صدق القرآن الكريم فيما أخبر به من أن أعداء المسيح ما قتلوه وما صلبوه ؟ يتحقق المطلوب دون حاجة إلى الاعتماد فى ذلك على التسليم بنظرية إلقاء الشبه ، ودون أن نصطدم بضرورة إهدار شهادة الشهود فى مسألة يستحيل فيها إهدار شهادة الشهود . ومن المعلوم أنه فى بعض الحالات يمكن التدليل على فساد شهادة الشهود ، وفى حالات أخرى لا يكون هنالك سبيل إلى إهدار شهادة الشهود . والقبض على المسيح ووضعه على الصليب من المسائل التى لا يجوز إهدار شهادة الشهود

بشأنها ـ والحق يقال ـ بأى حال من الأحوال . إنهم مجمعون عليها . ولا تناقض داخلى بها ، والحق يقال أيضاً ولا ينبغى كمسلمين أن نجادل بالباطل أبداً . إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا بذلك . إن الله يأمرنا أن نجادل بالتى هى أحسن . والاعتراف بالحقائق ، وعدم الجدال بالباطل إنما هما من أهم ركائز الجدل بالتى هى أحسن . هل يجادل بالتى هى أحسن من ينكر الحقائق ولا يعترف بها ؟

ورغم أننا لم نهدر شهادة الشهود فيما يتعلق بشهادة شهود العيان بشأن مسألة القبض على المسيح ووضعه على الصليب ، إلا أننا نستطيع أن نتمسك كمسلمين بصدق القرآن الكريم فيما أخبرنا به الله من أن أعداء المسيح لم يقتلوه ولم يصلبوه ، لأن شهود العيان لم يشهدوا بأنهم رأوا روحه تزهق وتفارق جسمه على الصليب .

وعندما يشهد شهود عيان على أحداث يمكن لهم رؤيتها أو أقوال يمكن لهم سماعها ، تكون شهادتهم مقبولة ما لم تشبها شائبة . أما عندما يشهد شهود العيان بوقوع أحداث يستحيل عليهم مشاهدتها أو أقوال يستحيل عليهم سماعها نستبعد ونهدر شهادتهم فوراً ودون أى تردد .

ولهذا السبب يا صاحبى نرجح أن يكون المعنى الثانى الذى اكتشفناه لانتفاء الصلب هو المقصود فى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا صَلَبُوه ﴾ وهو المعنى الذى يجيز انتفاء الصلب إذا لم يكن الشخص المراد صلبه قد مات فعلاً على الصليب . أما المعنى الأول الذى أخذ به جمهرة المفسرين ، فلا يجوز ترجيحه ولا الأخذ به لأنه يصطدم بما يسميه المسيحيون شهادة شهود العيان ، ولقد أشرنا إلى أن شهادة شهود العيان فى هذا الصدد لا سبيل إلى إهدارها . ومن حق إخوتنا المسيحيين أن يقولوا : شهود العيان أجمعوا على أنهم رأوا ... ورأوا ... ورأوا . هل نصدق ما يقوله القرآن الكريم عند إخوتنا المسلمين أم نصدق شهادة شهود العيان ؟!

والمسألة على هذا النحو هامة جداً وخطيرة جداً يا صاحبى لأن التمسك بالمعنى الأول من معانى انتفاء الصلب بإنكار وضع المسيح على الصليب يعرض مصداقية القرآن الكريم ذاتها للخطر . إن النصارى يقولون بالفعل إن القرآن الكريم كاذب فى هذه النقطة بالذات . إنهم بالفعل يتخذون منها تكأة لتكذيب القرآن الكريم صراحة وعلناً ، ولا يتورعون ولا يخفون ذلك أبداً . ويلزم أن نلاحظ أنهم لا يبدون ولا يكنون أى احترام للقرآن الكريم ، ولا يعترفون بمصداقيته ، ولا يعترفون بنبوة سيدنا محمد ﷺ ، وها هم أولاء بالفعل يتخذون من إخبار القرآن الكريم لرسول الله ﷺ وللناس جميعاً أن أعداء

المسيح ما قتلوه وما صلبوه يتخذون من هذا الإخبار الإلهى الصادق الدقيق الصحيح مثلاً يضربونه لما يتوهمونه من كذب القرآن الكريم ، وكذب رسول الإسلام فيما أوحاه الله إليه من أنهم قد فشلوا فى قتل المسيح عليه السلام ﴿ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ ﴾ .

إن هذا هو عيب التمسك بنفى الصلب بمعنى عدم وضع المسيح على الصليب . وفى نفس الوقت هو ميزة الأخذ بالمعنى الثانى للصلب الذى اكتشفناه وهو المعنى الذى يجيز أن يكون المسيح قد تم القبض عليه ، وتم وضعه على الصليب ، ولكنه لم يمت على الصليب ، فيصح قول من يقول : « إنهم ما قتلوه وما صلبوه » دون أن يصطدم ذلك بما يسمونه شهادة شهود العيان إذ يستحيل أن يشهد شاهد عيان أنه قد شاهد روح المسيح تفارق جسمه على الصليب على الرغم من تمكُّن أعدائه من أن يضعوه على الصليب ، ويكون مكر الله أكبر من مكر أعداء المسيح دون أى ريب فى ذلك .

إنَّ مَثَلَ مَنْ يعارضون أنْ يكون أعداء المسيح قد وضعوه فعلاً على الصليب كمثل شخص حضر حفل زفاف صديق ، وأثناء الحفل وقعت حادثة قتل اتُّهِمَ فيها هذا الشخص وعندما يتم سؤال هذا الشخص : هل حضرت حفل زفاف صديقك أم لا ، يقول : لا ، أنا لم أحضر حفل زفاف صديقى . وإذا شهد شاهدان على أنه كان يجلس بينهما فى ذلك الحفل نجد أن إنكار ذلك الشخص حضوره الحفل يسىء إلى موقفه فى التحقيق ولا يفيده .

وهكذا يا صاحبى يضعف من ينكرون وضع المسيح على الصليب موقف المسلمين فى تمسكهم بأن المسيح ما قتله أعداؤه وما صلبوه وذلك لوجود شهود عيان لا سبيل إلى إهدار شهادتهم بهذا الخصوص ، بينما يحقق المعنى الذى اكتشفناه لانتفاء الصلب من التسليم بجواز وضع المسيح على الصليب يتخلص تماماً وبطريقة لا عيب فيها مما يسمونه شهادة الشهود .

إن مرور المفسرين المسلمين الأجلاء بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وما صَلَبُوه ﴾ مرور الكرام دون أن يتدبروا معناها ، ودون أن يلتفتوا إليها الالتفات الكافى قد جعلهم مضطرين إلى تحميل قول الله ﴿ ولَكِن شُبِّهَ لَهُم ﴾ ما لا يحتمل من معنى إذ قالوا إن الله قد ألقى شبه المسيح على غيره . وهى نظرية للمفسرين قلنا إنها غير مستساغة وغير مقبولة لأنه لا دليل عليها أولاً ، ولأن إنكار وضع المسيح على الصليب يتعارض مع شهادة شهود العيان ثانياً ، بينما الاعتراف بوضع المسيح على الصليب ثم التمسك بعدم موته على الصليب يجعل الطريق أمامنا مفتوحاً دون أى عقبات للتمسك بقول الله

سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾ دون حاجة إلى التمسك بنظرية إلقاء الشبه هذه التى قال بها المفسرون السابقون ، ولا دليل على صحتها بتاتاً .

قال صاحبى : يوجد دليل على صحة نظرية إلقاء الشبه .

قلت : وما هو الدليل على صحة نظرية إلقاء الشبه يا صاحبى ؟

قال صاحبى : الدليل على صحة نظرية إلقاء الشبه هو ما ورد فى إنجيل برنابا من أن الله قد ألقى شبه المسيح على (يهوذا) .

قلت : إن هذا يا صاحبى هو الدليل الثالث على فساد وعدم صحة نظرية إلقاء الشبه. إن الاحتجاج بورود هذه النظرية فى إنجيل برنابا يكشف قبل أى شىء عن أن هذه النظرية ليست من بنات أفكار أى مفسر مسلم ، بل هى فكرة مسيحية يرجعونها بأنفسهم صراحة إلى إنجيل برنابا . هل يصح يا صاحبى أن نقيم عقائدنا الدينية على أساس ما يقوله أهل الكتاب ؟

قال صاحبى : ولم لا ؟ إن كلام أهل الكتاب بصدد مسألة نهاية شأن المسيح يصلح أن يكون حجة عليهم لأنه موجود فى كتابهم المقدس . لماذا لا تجيز ذلك مع أنك تستشهد عليهم كثيراً بنصوص من الكتاب المقدس ، وكذلك كان يفعل الشيخ أحمد ديدات ؟

قلت : هنالك فرق كبير فى الغرض من النظر فى الكتاب المقدس واقتباس نصوص منه للرد على ادعاء النصارى فى مسألة من المسائل . إنى أنظر فى بعض نصوص الكتاب المقدس إذا كانت تعارض ادعاءً معيناً من ادعاءات النصارى ، وليس من أجل أن أقيم أو أنفى عقيدة من العقائد الإسلامية .

إننى أستخدم نصوصاً من كتابهم المقدس لنقض معتقداتهم التى يدعونها ، وليس لإقامة أية عقائد إسلامية ، وكذلك يفعل باستمرار وبتوسع وباقتدار الشيخ أحمد ديدات بنجاح منقطع النظير . وبناء على ذلك لا يجوز أن يكون إنجيل برنابا دليلاً على صحة وصواب نظرية إلقاء الشبه .

وفضلاً عن ذلك نجد أن النصارى لا يعترفون بصحة إنجيل برنابا كله ، ولن نجد مسيحياً واحداً يعترف بصحته . سيقول لك على الفور إنه إنجيل مزيف منتحل لا صحة ولا حجة لكل محتواه . إنه أبوكريفا .

ولا يصح لنا كمسلمين أن نقيم عقائدنا على أساس من نصوص إنجيل برنابا الذى

لا يعترف النصارى به . وإن دل قولك هذا على شيء فهو يدل على مصدر هذه النظرية لدى أهل الكتاب ، فهي ليست فكرة إسلامية أصيلة ، وقد أشرت بنفسك إلى مصدرها الذى لا يمكن لمسلم أن يثق به .

قال صاحبى : ولماذا لا يجوز أن نثق بنص من نصوص إنجيل برنابا فى مثل هذا الشأن ؟

قلت : لا يجوز ذلك يا صاحبى لوجود حديث صحيح أورده الإمام البخارى فى صحيحه فى باب قول النبى ﷺ « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » كما يلى :

« حدثنى محمد بن بشار حدثنا عثمان بن عمر أخبرنا على بن المبارك عن يحيى ابن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم ... » .

ومنه يتضح يا صاحبى أن رسول الإسلام ﷺ قد نهى المسلمين أن يصدقوا أهل الكتاب أو يكذبوهم ، وذلك أنهم يخلطون حقائق الدين بأكاذيبهم ، ويستحيل تمييز ما عندهم من حقائق عما عندهم من أكاذيب وأباطيل . وهو سبب قوى لضرورة الامتناع عن تصديقهم أو تكذيبهم لاحتمال أن نصدقهم فى أمر كذبوا فيه أو أن نكذبهم فى أمر صدقوا فيه . ولذلك نهى النبى ﷺ أن نصدق أهل الكتاب أو نكذبهم . ولذلك أيضاً لا يجوز يا صاحبى أن نقيم أى عقيدة للإنسان المسلم على أساس ما أخبر به أهل الكتاب سواء كان برنابا أو غيره . هل عندك يا صاحبى دليل آخر على صحة نظرية إلقاء الشبه غير ما ورد فى شأنها فى إنجيل برنابا .

قال صاحبى : الحق أقول إنه لا يوجد دليل عندى غير ما ورد بشأن إلقاء شبه المسيح على غيره سوى إنجيل برنابا . ولكن أليس قول الله ﴿ **وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ سنداً كافياً لصحة نظرية إلقاء الشبه ؟

قلت : لا يا صاحبى . ليس فى قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ أى سند لصحة نظرية إلقاء الشبه . إن هذا هو صميم القضية التى لم تجد لها من سند سوى ما جاء عنها فى إنجيل برنابا . ولقد سبق أن أشرت إلى أن المفسرين المسلمين قد قالوا بهذه النظرية لأنها بدت لهم المخرج الوحيد والمنفذ الوحيد والإجابة الوحيدة عن سؤال فرض نفسه وبرز أمامهم وهو : إذا كان المسيح ما قتلوه وما صلبوه فماذا حدث له ؟ وكيف نجا من القتل والصلب مع أن أعداءه قد توافر عندهم شهود العيان على أنهم قد

قبضوا عليه ووضعوه على الصليب ، وهما حدثان بسيطان من حيث التفاصيل لا مجال لإهدار شهادة شهود العيان ؟ ماذا حدث للمسيح وكيف نجا إن لم يكن أعداؤه قد قتلوه وصلبوه ؟ كان الأخذ بنظرية برنابا فى إلقاء شبه المسيح على غيره هى المخرج الوحيد والإجابة الوحيدة أمامهم عن هذا السؤال الهام الخطير .

أما وقد اتفقنا على أن هنالك معنى آخر لقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَما صَلَبُوهُ ﴾ فإننا نجد بين أيدينا مفتاحاً مناسباً للإجابة عن سؤال : ماذا حدث للمسيح إن لم يكن أعداؤه قد قتلوه وصلبوه ؟ إجابة السؤال ببساطة تنحصر فى أن أعداء المسيح وإن كان لديهم شهود عيان على أنهم قبضوا عليه ووضعوه على الصليب وأنزلوه عن الصليب وهم يظنون أنه قد مات على الصليب فحقيقة الأمر هى أنه لم يكن قد مات وفارقت روحه جسمه على الصليب ، فدفنوه فى مدفن مريح منحوت فى الصخر لا مجال فيه لحفر أو طمر فى التراب ، يطل على بستـان مملوك لأحـد أتباع المسيح . وحيث إنهم لا يستطيعون القطع والتأكيد أن روحه قد فارقت جسمه على الصليب لا يكون لشهادة شهود العيان أى فاعلية أو قيمة فى هذه الحالة التى يمثلها المعنى الذى اكتشفناه لقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَما صَلَبُوه ﴾ يكونون قد صلبوه لو كان قد مات على الصليب . أما وإنه لم يمت على الصليب ، يصح القول بأنهم ما صلبوه .

قال صاحبى : إذا لم يكن معنى قول الله سبحانه وتعالى ﴿ ولكن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ هو إلقاء شبه المسيح على شخص غيره ، فما هو معناها ؟ هل لها معنى آخر ؟ وما هو هذا المعنى الآخر ؟

قلت : نعم . معناها هو : « ولكن اختلط الأمر عليهم »

قال صاحبى : ما هو الأمر الذى اختلط عليهم ؟

قلت : اختلط عليهم أمرٌ ما إذا كان المسيح قد مات على الصليب فينزلونه ويدفنونه أم أنه لم يمت على الصليب . لقد اختلفوا بهذا الشأن فعلاً . ودلائل اختلافهم فى هذا الشأن موجودة فى كتابهم المقدس ، وضمن شهادة شهودهم . ولقد ورد فى إنجيل متى بالحرف الواحد ما يدل على ذلك دلالة قاطعة كما يلى :

« فمُرْ بضَبْط القبر إلى اليوم الثالث لئلاَّ يأتى تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من بين الأموات فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى . فقال لهم بيلاطسُ : عندكم حراس . اذهبوا أنتم واضبطوه كما تعلمون . فمضوا

وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر » . (إنجيل متى ٢٧ : ٦٤ ـ ٦٦)

قال صاحبى : ها أنت ذا تستشهد بنصوص من « إنجيل متى » مع سابق قولك ألا نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم . فما قولك فى ذلك ؟

قلت : وفيم استشهدت بنص من نصوص إنجيل متى ؟ لقد استشهدت بهذا النص من « إنجيل متى » لأنفى به ما يدعيه النصارى من أنهم لم يكونوا مختلفين بشأن ما إذا كان المسيح قد مات على الصليب أم أنهم أنزلوه عن الصليب وكان لم يمت ، ولم تفارق الروح جسده .

إنهم ينكرون ذلك ويقولون إنهم تأكدوا من موته على الصليب قبل دفنه ، وأنه قام من بين « الأموات » بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال من موته ودفنه . وهذا النص من إنجيل متى يثبت بما لا يدع مجالاً لريب أنهم كانوا يرتابون فى موته على الصليب فى واقع الأمر وحقيقته .

والدليل على ذلك هو ذهاب رؤساء اليهود إلى الحاكم الرومانى بيلاطس لكى يطلبوا منه أن يعين حراسةً مشددةً على مدفن المسيح بزعم أنهم يخشون أن يأتى أتباع المسيح ويسرقوه من المدفن . وهو زعم واهٍ زائف إذ لا يوجد وجه للاعتقاد فى أن أىّ شخص ميت بالفعل يستطيع الهرب من مدفنه بموجب حقيقة موته قبلَ دفنه . وحتى لو تمكن أتباع المسيح من سرقة جثته من المدفن فى حالة موته فما هى جدوى هذه السرقة حتى لو تمت ؟ ماذا يفعلون بجثة المسيح وهو ميت ؟

إنهم لا يستطيعون أن يستفيدوا شيئاً من جثة شخص ميت ، ولا يستحق هذا الزعم عناء الذهاب إلى الحاكم الرومانى لكى يطلبوا منه حراسة مشدَّدةً لمدفن المسيح . لا لزوم لحراسة قبر الميت إلا إذا كانوا يعتقدون أنهم قد تعجلوا دفن المسيح وكان لا يزال على قيد الحياة . لقد كانوا فى عجلة من أمرهم ، يريدون دفن الأشخاص الثلاثة الذين بدأ صلبهم يوم الجمعة قبل غروب الشمس . ولما وجدوا اللصين المصلوبين فى نفس الوقت ونفس المكان الذى صلب فيه المسيح قطعوا ساقى كل من اللصين ليعجلوا بموتهما نتيجة لنزف الدم ، ولم يقطعوا ساقى المسيح إذ « ظنوه قد مات » .

ولقد كان من الموجودين حول الصليب من يقول : إنه قد مات على الصليب . وكان بعضهم الآخر يقول : إنه لم يمت على الصليب . وتغلب رأى من ظنوا أنه قد مات على الصليب ، فلم يقطعوا ساقيه ، وأنزلوه عن الصليب ليدفنوه قبل أن ينتصف الليل الواقع بين الجمعة والسبت ، مراعاة لظاهر الشريعة اليهودية مع إجهاضهم

لجوهرها الذى كان يقتضيهم ألا يعملوا على محاولة قتل نَبِىٍّ من أنبياء الله وهو المسيح عليه السلام .

ونظراً لعدم تيقنهم مِنْ مَوْت المسيح على الصليب بعد تعجُّلهم إنزاله ودفنه ذهبوا إلى الحاكم الرومانى فى محاولة لجعله يضع حراسة مشددة من جنود الرومان المسلحين حول مدفن المسيح حتى يقبضوا عليه لو خرج حيّاً من المدفن .

وكان الحاكم الرومانى بيلاطس فى قرارة نفسه فيما يبدو غير مرتاح لأساليب اليهود فى إدارة هذه المسألة المشينة ، مسألة إلحاحهم فى استصدار حكم منه يقضى بقتل المسيح صلباً . ولقد أصدر لهم الأمر بقتل المسيح صلبا كما يشتهون ، وقام جنود الرومان بتنفيذ الحكم بقتل المسيح صلباً بطبيعة الحال . وتعجل اليهود مسألة إنزال المصلوبين الثلاثة عن الصليب ليتم دفنهم قبل انتصاف الليل فيما بين نهار الجمعة وصباح السبت ، إذ أنه عندما ينتصف هذا الليل يكون السبت قد دخل عليهم ، ولا يجوز فى ظاهر شريعتهم أن يظل إنسان معلقاً على الصليب خصوصاً إذا كان من بنى إسرائيل عند دخول يوم السبت عليهم .

وها هم أولاء يطلبون من الحاكم الرومانى أن يُعَيِّنَ حراسةً مشددةً مسلحةً حَوْل مدفن المسيح عليه السلام لكى لا يخرج من قبره حيّاً . أى يقين عندهم وهُمْ يطلبون هذا المطلب العجيب من الحاكم الرومانى بيلاطِس ؟ ولقد أجابهم الحاكم الرومانى بقوله : « عندكم حراس . اذهبوا أنتم واضبطوه كما علمتم » .

قال صاحبى : هل توجد أسباب أخرى لعدم قبول نظرية إلقاء الشبه ؟

قلت : نعم يا صاحبى . توجد أسباب أخرى لعدم قبول نظرية إلقاء الشبه . يوجد رابعاً سبب هام وهو عدم قدرة أى مفسر من القائلين بهذه النظرية على تحديد الشخص الذى ألقى عليه الله شبه المسيح عليه السلام . يقول بعضهم - وراجع ما شئت أى تفسير موجز أوِ مطوَّل - إن الله ألقى شبه سيدنا عيسى على يهوذا . ويقول بعضهم : إن الله ألقى شبه سيدنا عيسى على شخص يدعى طيطانوس .

ويقول بعضهم : إن الله ألقى شبه سيدنا عيسى على واحد من أتباعه تطوع لتحمل هذا المصير بدلاً من المسيح بعد أن وعده المسيح أن تكون له الجنة دون تحديد لهذا الشخص بشيء سوى أنه واحد من أتباعه :

ويقول بعضهم : إنه واحد من حراس المسيح .

وأنت تعرف يا صاحبى أنه يلزم تحديد شخص واحد بعينه ألقى الله عليه شبه سيدنا

عيسى . وعدم تحديد شخص واحد بعينه يفسد هذا الادعاء تماماً من الناحية الشكلية البحتة . ولو مات رجل قتيلاً إثر طعنة سكين . ويريد أحد أن يدافع عن أحد المتهمين بأن شخصاً آخر غير المتهم هو الذى طعنه بالسكين ، لوجب عليه أن يحدد من هو هذا الشخص الآخر تحديداً قاطعاً . ولو تعددت الاحتمالات لأفضى ذلك إلى عدم تحديد القاتل وكان ذلك من مصلحة المتهمين جميعاً مهما كان عددهم كبيراً .

ولا ريب أن تضارب آراء المفسرين على هذا النحو بصدد رأيهم ونظريتهم القائلة بإلقاء شبه المسيح على شخص آخر غير المسيح يضعف من نظريتهم هذه إلى حد الانهيار .

وخامس الأسباب الدالة على فساد نظرية إلقاء الشبه هذه هو أن أى مفسر لا يستطيع أن يقول أو يدعى أنه شاهد شبه المسيح يلقيه الله سبحانه وتعالى على شخص آخر . ولو زعم أحدهم هذا الزعم لكان زعمه باطلاً بطبيعة الحال . ويزداد هذا الزعم ضعفاً وانهياراً لو لم يملك من يزعمه أى دليل على صحته .

إن هذا الزعم المتداعى إلى حد الانهيار التام يضعف موقف المسلمين الجدلى بشأن هذه المسألة إزاء من يجادلهم من غير المسلمين . تقول لشخص غير مسلم إن المفسرين يقولون : إن الله قد ألقى شبه المسيح على شخص آخر ، فيقول لك على الفور : وهل شهد المفسرون المسلمون ذلك ، إنهم لم يكونوا موجودين بالمكان ولم يكونوا موجودين فى الزمان إذ تفصل مئات السنين بينهم وبين هذا الحدث . ما مصدرهم فيما يقولون ؟ إنهم لم يكونوا من شهود الحدث .

ولو قلت : إن الله فى القرآن قد أخبرهم بذلك ، يقول لك دون أى خجلٍ أو وَجَلٍ وهو غير مسلم طبعاً : القرآن الكريم كاذب فى هذا الخبر .

وهكذا يفضى التمسك بهذه النظرية إلى إضعاف وجهة النظر الإسلامية إزاء هذا الحدث بعينه . وهذا هو السبب يا صاحبى فى أن خصوم الإسلام قد دسوا هذا الرأى الخاطئ على المفسرين المسلمين الأوائل . لقد زرع خصوم الإسلام يا صاحبى بذور هذه الأخبار الكاذبة بخصوص نهاية شأن المسيح مع قومه فى أرض المسلمين منذ قرون كثيرة مستغلين حاجة المفسرين المسلمين إلى معرفة حقيقة ما حدث للمسيح إذا كان أعداؤه لم يقتلوه ولم يصلبوه ، وأثمرت بذور هذه الأخبار الكاذبة التى دسوها أينع الثمار . ولسوف أكشف لك بعد قليل عن حجم وخطورة هذه الثمار فى موضع آخر .

وأكتفى هنا بالإشارة إلى غرض خصوم الإسلام الخبيث من دس هذا الخبر الكاذب

على أوائل المفسرين المسلمين ، وهو رغبة خصوم الإسلام فى إرباك الموقف الجدلى للمسلمين فى أى موضوع ، وكان موضوع قتل وصلب المسيح موضوعاً نموذجياً لغرضهم الخبيث يحقق هدفهم الماكر فى إرباك موقف المسلمين إزاء خبر من أخبار القرآن الكريم .

قال صاحبى : هل توجد أسباب وأدلة أخرى تدل على فساد وخطأ القول بنظرية إلقاء الشبه على شخص آخر غير المسيح عليه السلام ؟

قلت : نعم يا صاحبى . السبب السادس فى ذلك هو الضمائر ، أقصد ضمائر الغائب الكثيرة الموجودة فى الآية الكريمة التى نجتهد فى محاولة الوقوف على ما تحويه من معان صحيحة بالغة الإعجاز فى صحتها ودقتها .

قال صاحبى : ما شأن ضمائر الغائب الكثيرة الموجودة بالآية الكريمة ؟ وكيف تدل على خطأ المفسرين فى القول بنظرية إلقاء شبه المسيح على شخص آخر غير المسيح عليه السلام ؟

قلت : نعرف جميعاً أن ضمائر الغائب المفرد لا بد من إرجاعها إلى شخصٍ تعودِ عليه ضمائر الغائب . والمعقولية شرط لصحة إرجاع ضمير الغائب إلى من يفترض رجوع ضمير الغائب إليه .

قال صاحبى : هذا صحيح تماماً ، فماذا بشأنه ؟

قلت : اختلف المفسرون الإسلاميون بشأنه اختلافاً كبيراً ولم يصب أحدهم الرأى الصواب فى إرجاع هذه الضمائر إلى من تعود عليه بشكل قاطع حتى الآن . إنهم جميعاً يرجحون إرجاع ضمير الغائب المفرد الذى تكرر كثيراً فى هذه الآية الكريمة إلى المسيح عليه السلام . إن إرجاعِ ضمير الغائب إلى المسيح عليه السلام فى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ** ﴾ صحيح تماماً . ولكن الاستمرار فى إرجاع ضمير الغائب إلى المسيح فى بقية الآية الكريمة خطأ وغير معقول ويربك المعنى الصحيح للآية الكريمة .

قال صاحبى : كيف ؟

قلت : إرجاع ضمير المفرد الغائب فى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وما قتلُوه وما صَلَبُوه** ﴾ إلى المسيح عليه السلام صحيح تماماً ، ولا وجه لإرجاع ضمير الغائب الذى تكرر مرتين فى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وما قتلُوه وما صَلَبُوه** ﴾ إلى أى شخص آخر كما أشار بذلك بعض المفسرين .

القضية قد حددها الله سبحانه وتعالى بأنها قضية قتل عيسى ابن مريم رسول الله بصدر الآية الكريمة إذ قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله** ﴾ وسيدنا عيسى عليه السلام هو أقرب اسم يعود إليه ضمير الغائب إعمالاً لقاعدة أن الضمير يعود إلى أقرب اسم إليه بشرط عدم التعارض مع المعقولية . والمعقولية متوفرة كل الوفرة فى إرجاع ضمير الغائب المفرد إلى المسيح عليه السلام . إن أعداء المسيح لم يقتلوا المسيح صلباً كما يزعمون ويدعون ذلك بالباطل . هذا صواب لا مراء فيه ، والله أعلم بمراده ، ولا وجه لأى احتمال آخر يذكره هذا المفسر أو ذاك مع بالغ الاحترام لكل من بذلوا الجهود الهائلة فى محاولتهم تفسير كلام الله فى القرآن الكريم . إننا نتكلم بصدد مسألة محددة معينة دون غيرها من المسائل . بطبيعة الحال . ويجوز بالطبع أن يصيب المفسر ، أى مفسر فى تفسيره ، ويجوز أن يخطىء . إننى أحترم جهود المفسرين المسلمين يا صاحبى كل الاحترام . ولكن الحق يعلو ولا يعلى عليه .

فإذا وصلنا إلى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً** ﴾ أرجو منك يا صاحبى أن نحدد ضمائر الغائب المفرد فى هذا الموضع من الآية الكريمة .

قال صاحبى : إن ضمائر الغائب المفرد كثيرة فى هذا الموضع من الآية الكريمة .

قلت : أرجعها المفسرون المسلمون كلها إلى المسيح عليه السلام وراجع يا صاحبى كتب التفسير موجزة ومطولة لتتحقق من ذلك .

ولقد اختلف المفسرون أيضاً فى المعنى عند إرجاعهم ضمير الغائب المفرد إلى المسيح فى هذا الموضع من الآية الكريمة وذكروا فيه « وجوهاً » على عادتهم فى ذكر وجوه المعنى . وليس هذا صواباً .

قال صاحبى : وما هو الصواب من وجهة نظرك فى إرجاع ضمير الغائب المفرد المتكرر فى هذا الموضع ؟

قلت : إننى لا أبخل ولا أتردد فى أن أقول إن ضمائر الغائب المفرد المتكررة فى هذا الموضع تعود إلى اختلافهم ، أى اختلاف أهل الكتاب من اليهود والنصارى فى مسألة أن المسيح قد مات على الصليب أم أنه لم يمت على الصليب . هذه المسألة اختلفوا فيها . هذا الشأن « اختلفوا فيه » وبدءاً من ضمير الغائب المفرد الموجود بآخر حرف الجر هنا تعود الضمائر على الشأن الذى « اختلفوا فيه » ولا تعود إلى المسيح عليه السلام . هل اختلفوا فى أن الشخص الذى حاكموه وقبضوا عليه هو المسيح أو هو

شخص آخـر ؟ هذا احتمال ضعيف جـداً وبالغ الضعف ومعدوم المعقولية . ويلزم أن يكون الرأى السليم سليماً فى نظر « كل الناس » وليس فى « نظر المسلمين وحدهم » يا صاحبى .

وما أسهل أن يقول خصوم الإسلام : إن أعداء المسيح لو كانوا قد اختلفوا بشأن شخص المسيح وهل هو الشخص الذى حاكموه وقبضوا عليه ووضعوه على الصليب لكان الأقرب إلى المعقولية أن يتحروا ويدققوا ويحققوا هذه المسألة كل التحرى والتدقيق والتحقيق . وليس من المعقول طبعاً أن يكون هدف أعداء المسيح هو قتل المسيح صلباً ثم يقبلون بسهولة وبساطة وسذاجة أن يقتلوا ويصلبوا شخصاً آخر غيره . لو اختلفوا فى شخص المسيح لكان الأقرب إلى الصواب والمعقولية أن يوقفوا إجراءات تنفيذ الحكم ليتحققوا من شخص الإنسان الذى يقومون بتنفيذ الحكم عليه ريثما يستطيعون أن يتحققوا من شخصه . وهذا التحقق سهل ميسور لهم . وليس هناك أسهل من أن يحاوروا ويناقشوا الشخص الموجود بين أيديهم ليكتشفوا حقيقته ، خصوصاً أن اليهود لم يعمدوا إلى قتـل المسيح غيلة ، بل إنهم استصدروا حكماً بقتله صلباً من الحاكم الرومانى بيلاطس .

يجوز فى حالات القتل غيلة أن يتعرض للقتل شخص آخر غير الشخص الذى يريد القتلة اغتياله . ولكن فى حالة تنفيذ حكم قانونى واجب النفاذ نجد أنه من السهل تماماً اكتشاف حقيقة الشخص الذى تتم إجراءات تنفيذ حكم الإعدام صلباً ضده . إنه موجود بين أيديهم . يستطيعون أن يناقشوه وأن يحاوروه ، ولو لم يقطعوا الشك باليقين بشأن حقيقة شخصه يلزمهم أن يوقفوا إجراءات تنفيذ الحكم حتى يتم لهم هذا التحقق بأى طريقة وبأى وسيلة .

إن مصلحتهم تفرض عليهم ذلك . إنهم يريدون قتل وصلب شخص مُعيَّن وليس قتل وصلب أى شخص آخر غيره . وهذا الشخص موجود بأيديهم .

قال صاحبى : ألا تعتقد أن الله قادر على أن يلقى شبه المسيح على شخص آخر غير المسيح ليأخذ أعداء المسيح الشخص الآخر ليقتلوه ويصلبوه وينجو المسيح ؟

قلت : الله قادر على كل شىء يا صاحبى . إن إيمانى بقدرة الله غير المحدودة إيمان راسخ بفضل الله وبحمده كل الرسوخ . ولكن تعالَ هنا يا صاحبى . ما هو فهمك لقدرة الله غير المحدودة بحدود عندما تقول إن الله قادر على كل شىء ؟

قال صاحبى : الله قادر على كل شىء بما فى ذلك إلقاء شبه المسيح على شخص

آخر أخذوه على أنه المسيح وقتلوا هذا الشخص الآخر وصلبوه .

قلت : هذا فَهْمٌ غير صحيح لقدرة الله غير المحدودة . إن خصوم الإسلام يرتكزون بالفعل على هذا الفهم غير الصحيح لتزييف كثير من المعتقدات الخاطئة لديهم بشأن المسيح . يقولون مثلاً : إن الله قد شاء وأراد أن يجعل المسيح إلهاً على صورة الإنسان . أليس الله بقادر على ذلك ؟ ألا تؤمن بأن قدرة الله لا يحدها حد ؟ وتقول لهم : لا . لا يجوز ذلك لأنه يتنافى مع وجوب تنزيه الله وكماله وجلاله .

وعندما يقول قائل : إن الله يستطيع ويقدر أن يخلق إلهاً آخر ، نقول له : لا . يلزم تنزيه الله عن ذلك التصور الخاطئ غير اللائق لأنه يتنافى مع ضرورة توحيد الله . ولو تصورنا أن الله قد استطاع أن ينفذ مشيئته فيما تزعم من أنه سبحانه قد شاء وأراد أن يخلق إلهاً آخر لقلنا لك : لا . إن هذا يستلزم أن يكون فى العالم أكثر من إله وهو محال لأنه يتنافى مع ضرورة توحيد الله .

ولو قال قائل : ألا يستطيع الله أن يأكل طعام البشر وأن يشرب شرابهم وأن ينجب ولداً .. و .. و .. و ... نقول له : لا . يلزم تنزيه الله وجوباً عن كل ما لا يتفق وكل ما لا يليق بوحدانية الله وكماله وجلاله وعدله وحكمته .

قال صاحبى : فما رأيك بشأن معجزات الأنبياء وهى أمور خارقة للعادة وغير مقيدة بالمعقولية ولا بما أَلِفَه الناس فى بابها أجراها الله بقدرته على أيدى أنبيائه ورسله ؟

قلت : إن هذه المعجزات قد نص الله على وقوعها بقدرته ، وأنه سبحانه وتعالى قد أجراها على يد من شاء من أنبياء الله ورسله . والقرآن الكريم هو الذى يشهد بصحة هذه المعجزة أو تلك . إذا كانت معجزة معينة من المعجزات قد ذكرها الله فى القرآن الكريم يلزم أن يقر ويعترف كل مسلم بصحة هذه المعجزة ونسبتها إلى من أجراها الله على يده من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام . والمعجزة ملزمة لمن شهدها ، وقد كفر كثير من الناس بمعجزات أنبياء ورسل رغم شهودهم لها فى كثير من الأحيان .

وجاءت معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد ﷺ معجزة خالدة حوَتْ كلَّ المعجزات السابقة ، ولن يجىء نبى أو رسول بعد سيدنا محمد ﷺ ، ولن تظهر معجزة على يد أحد من البشر بعد خاتم الأنبياء والمرسلين أبداً .

ولو شاهدنا أمراً خارقاً للعادة يتم ويحدث على يد أحد من أولياء الله الصالحين لكان هذا داخلاً فى باب « الكرامات » وليس فى باب المعجزات ، وليس الغرض منه هو إثبات نبوة أو رسالة من الله بعد سيدنا محمد ﷺ كما هو الهدف والغرض من المعجزات .

صرح الله فى القرآن الكريم لنا ـ نحن المسلمين ـ بكل المعجزات السابقة وذكر من المعجزات لسيدنا عيسى عليه السلام ، مثلاً ، كثيراً من المعجزات الكبرى التى لم يذكرها أهل الكتاب فى كتبهم المقدسة لديهم مثل معجزة كلام المسيح فى المهد . كيف يذكرونها وهو يوضح للناس فيها حقيقة شأنه من أنه عبد الله ؟

صرح القرآن الكريم لنا ـ نحن المسلمين ـ بالمعجزات السابقة . ونحن ملزمون بتصديقها والإيمان بنبوة ورسالة الأنبياء والرسل الذين أجرى الله هذه المعجزة أو تلك على أيديهم . وهذه المعجزات أدلة وشواهد على قدرة الله . ولكن من الضرورى أن ننزه الله وجوباً فى فهمنا لقدرته غير المحدودة عن كل ما لا يتفق مع وحدانية الله وكماله وجلاله وعدله وحكمته لأن هذا التنزيه الواجب لله سبحانه وتعالى يزيد من قدرة الله ولا ينقص منها . كيف تكون قدرة الله كاملة غير محدودة عندما يتصور كافر قدرة الله على خلق إله آخر ؟ ألن يشاركه هذا الإله الآخر فى الألوهية ويجوز أن تتعارض قدرة الإله الآخر وإرادته مع قدرة الله ومشيئته ؟

إن هذا التصور الخاطئ لقدرة الله يقلل من قدرة الله ولا يضيف إليها ، بينما تنزيه الله عن مثل هذا التصور الكافر الخاطئ المشرك يجعل قدرة الله مطلقة غير محددة بقدرة ومشيئة إله آخر لا مجال لتصوره إلا لدى المشركين بالله سبحانه وتعالى .

ولا ينبغى أن يُعوِّلَ مسلمٌ على قدرة الله أبداً فى تبرير الأمور غير المعقولة أو المستساغة. خصوم الإسلام هم الذين يعمدون إلى هذه المغالطة الكافرة المفضية إلى الكفر ذاته .

إننى مؤمن بقدرة الله الكاملة غير المحدودة يا صاحبى ، ولو قال الله فى القرآن الكريم: « أنا ألقيت شبه عيسى على شخص غيره » لآمنت وصدقت بذلك دون أى تردد . ولم يقل الله بشأن قتل المسيح صلباً هذا القول . إن الله سبحانه وتعالى قد قال فى هذا الشأن : ﴿ **ولكن شُبِّهَ لَهم** ﴾ ومن الضرورى يا صاحبى أن نتدبر المعنى الصحيح لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ولكن شُبِّهَ لَهُم** ﴾ فى سياق كلام الله الذى وردت فيه ، وأن لا نخطئ فى تفسير معناه بقصد أو بغير قصد .

ولقد ذكرنا أسباباً كثيرة لخطأ القول بنظرية إلقاء شبه المسيح على غيره تفسيراً لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ولكن شبّه لَهم** ﴾ وكان سادس هذه الأسباب هو الخطأ فى إرجاع ضمير الغائب المفرد المتكرر فى الآية الكريمة اعتباراً من قوله تعالى : ﴿ **وإنَّ الَّذينَ اخْتلفُوا فِيه لَفى شَكٍّ مِنهُ ما لَهُم بهِ مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتّباعَ الظنِّ وَما قَتلُوهُ يَقيناً** ﴾ .

قال صاحبى : فيما يتعلق بمسألة إرجاع ضمائر الغائب المفرد فى هذا الموضوع من

الآية الكريمة ، ما الذى يجعلك ترجح إرجاع ضمائر الغائب المفرد فى هذا الموضع إلى اختلافهم بشأن موت المسيح أو عدم موته على الصليب ، وتنفى أن ترجع هذه الضمائر إلى المسيح كما ذهب إلى ذلك جمهرة المفسرين ؟

قلت : ذكرت لك تفاصيل أسباب إرجاع أول ضمائر المفرد الغائب فى قوله تعالى : ﴿ **وإنّ الّذين اختلفُوا فيه** ﴾ إلى اختلافهم ، أى اختلاف من أرادوا قتله بشأن موت أو عدم موت المسيح على الصليب ، ولا يعود الضمير على المسيح عليه السلام . وطال بنا الحديث فى هذه المسألة بخصوص هذا الضمير وحده .

ولا بأس يا صاحبى من أن نوضح قدر استطاعتنا معقولية أو عدم معقولية إرجاع بقية الضمائر بإيجاز .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ما لَهُم به مِنْ عِلْمٍ** ﴾ وضمير الغائب الملحق بحرف الجر « به » يجعل المعنى ـ والله أعلم بمراده ـ هو : ما لهم بشأن موته أو عدم موته على الصليب من علم . وهذا طبيعى جداً ومعقول جداً يا صاحبى . وأنت تذكر أنه قد تم لنا دحر ما يتشدق به خصوم الإسلام فى هذا الشأن من شهادة شهود العيان عندما قلت لهم لن نهدر شهادة شهود العيان التى تحتجون بها وتعتمدون عليها فى تكذيب القرآن الكريم بشأن أن أعداء المسيح ما قتلوه وما صلبوه . أنتم قد جعلتم هذه المسألة محل تصديق أو تكذيبكم للقرآن الكريم فى هذا الصدد . لن نهدر شهادة شهود العيان . ولكن ماذا شاهدوا ؟ قالوا شاهدوا المسيح يحاكم أكثر من مرة ويقبض عليه ويوضع على الصليب . قلت : لكم ذلك وماذا شاهدوا أيضاً : قالوا شاهدوا أنه مات على الصليب فأنزله القائمون على تنفيذ حكم القتل صلباً . قلت : انتظروا هنا . أنتم تقولون أن شهود العيان قد شاهدوا أن المسيح قد مات على الصليب فأنزلوه ودفنوه ؟ قالوا : نعم . شاهد شهود العيان المسيح وقد مات على الصليب فأنزلوه ودفنوه . قلت لهم : من من شهود العيان استطاع أن يرى روح المسيح تفارق جسمه على الصليب ؟ وسكتوا .

إن شأن الموت وعدم الموت بالنسبة لأى شخص فى الوجود يا صاحبى ليس من اختصاص البشر ، لكنه من اختصاص الله سبحانه وتعالى . الله سبحانه وتعالى هو الذى يحدد بالضبط الوقت الذى تفارق فيه روح الإنسان جسم الإنسان . وذلك مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ **وَما كانَ لِنَفْسٍ أن تَمُوتَ إلاّ بِإِذْنِ اللهِ كِتاباً مُؤجّلاً ومَن يُرِدْ ثوابَ الدُّنيا نُؤْتِه مِنهَا**

ومَن يُرِدْ ثوابَ الآخرةِ نُؤْتِه منها وسَنجْزِى الشاكِرينَ ﴾ . (سورة آل عمران : ١٤٥)

قال صاحبى : ألا يستطيع البشر أن يحددوا ما إذا كان شخص من الأشخاص قد توفاه الله أم لم يتوفه الله ؟ وإذا كان هذا التحديد ممكناً ، فكيف يكون ممكناً ؟

قلت : سؤال وجيه يا صاحبى : فور حدوث وفاة أى شخص لا يستطيع أحد أن يقطع على وجه اليقين ما إذا كان هذا الشخص قد مات فعلاً أم لم يمت . إن هم إلا يظنون أنه قد ماتَ . ويجوز فى حالات كثيرة أن يكون الشخص فاقد القدرة على الإحساس والشعور ، وفاقد القدرة على الحركة ويحسبه من يراه على هذا النحو أنه قد مات ويكون فى حقيقة الأمر لم يمت . وفى كثير من الحوادث العرضية يفقد شخص الشعور والقدرة على الحركة لساعات كثيرة وربما لأيام ، ويتم نقله إلى مستشفى ، ويظل تحت الملاحظة ويسأل أهله الأطباء فيقول لهم الطبيب المختص انتظروا لمدة أربع وعشرين ساعة مثلاً ، وإذا لم تبد عليه مظاهر الحياة لا أمل فى بقائه على قيد الحياة . إنه لا يستطيع أن يقطع برأى . إنه يحتاج وقتاً لكى يستطيع أن يقطع برأى .

وأنت تعرف يا صاحبى أنه قد حدث مراراً وتكراراً أن كتب أطباء محترفون متخصصون شهادات وفاة لأشخاص ودفنوا ثم استردوا الحياة بعد دفنهم أو قبل دفنهم أثناء تجهيزهم للدفن . ويحوى كتاب مسألة صلب المسيح للشيخ أحمد ديدات صوراً كثيرة لما نشرته الصحف الأجنبية من صور فوتوغرافية لأشخاص ظن الأطباء المختصون أنهم قد ماتوا ولكنهم عادوا إلى الحياة .

ومنه يتضح يا صاحبى أن كلام الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة بالغ الحكمة والدقة ﴿ ما لَهُم به مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتِّباعَ الظنِّ ﴾ .

ما هو هذا الشأن ، أو مَنْ هو ذلك الشخص الذى ما لهم به من علم ؟ هل يعود الضمير على شخص من الأشخاص أم يعود على شأن من الشئون ؟

قال المفسرون يا صاحبى : إن ضمير المفرد الغائب هنا يعود على المسيح ، ما لهم به من علم . هل هذا معقول ؟ أفلا يكون من حق خصوم الإسلام المكذبين للقرآن الكريم فى هذا الشأن بالذات أن يقولوا : كيف يكون ذلك كذلك ؟ كيف يكون شهود العيان الموجودون حول الصليب الذى صُلب عليه المسيح ما لهم بالمسيح من علم ؟ هل يكون المفسرون المسلمون الذين لم تطأ قدم أحدهم فى الغالب الأعم مكان الصلب ، أعلم بالمسيح وبما لو كان هو الشخص الموجود على الصليب ممن كانوا شهود عيان لهذا الحدث التاريخى العظيم ؟ لقد مضت قرون وقرون بين الزمان الذى ولد فيه أولئك

المفسرون وبين وقت هذا الحدث العظيم ؟

أما عندما يعود ضمير المفرد الغائب فى هذا الموضع على شأن من الشئون هو عدم معرفة أعداء المسيح ما إذا كان المسيح قد مات على الصليب أم أنه لم يمت على الصليب ، نجد أن المعنى يتضح ويستقيم ويصبح معنى معقولاً مقبولاً والله أعلم بمراده ، ولا يكون ثمة وجه لاعتراض خصوم الإسلام وادعائهم وتكذيبهم لخبر أخبرنا به الله فى القرآن الكريم . نعم يا صاحبى . إن أعداء المسيح الذين سعوا إلى قتله صلباً كانوا يتبعون الظن فى قول بعضهم إنه قد مات على الصليب . لا تقطعوا رجليه وأنزلوه هو الآخر عن الصليب لندفنه مع رفيقيه قبل أن ينتصف الليل الموجود بين نهار الجمعة ونهار السبت . إن رفيقيه قد ماتا بعد أن قطعنا ساقى كل منهما ، أما المسيح فلا حاجة بنا إلى قطع رجليه لأنه قد مات . ذلك هو ما بدا لهم وغلب على ظنهم . وذلك هو ما تصرفوا على أساسه فى الواقع الفعلى .

وتلك هى طريقة الله سبحانه وتعالى فى إنقاذ المسيح من كيد أعدائه ، فوق خشبة الصليب ، وليس بالبستان الذى قبض بداخله جنود الرومان على المسيح . لا خلاف بيننا يا صاحبى على صدق الخبر الذى أخبرنا به الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم بالآية ١٥٧ من سورة النساء من أن أعداء المسيح عليه السلام ما قتلوه وما صلبوه . لقد أنقذه الله . والخلاف الموجود بيننا هو أين ومتى وكيف أنقذ الله رسوله المسيح فلم يقتلوه ولم يصلبوه كما أخبرنا بذلك الله سبحانه وتعالى . ويعود ضمير الغائب المفرد إلى المسيح مرة أخرى فى قول الله سبحانه وتعالى بآخر الآية : ﴿ **وَمَا قَتَلُوه يَقِيناً** ﴾ .

ومن الواضح يا صاحبى أن القضية هى قضية قتل المسيح ، وأن حكم الله بشأنها هو أنهم ما قتلوا المسيح يقيناً . ظنوا أنهم قتلوه وأعلنوا ذلك . ولكنهم فى حقيقة الأمر وعلى وجه اليقين ما قتلوه صلباً . ومن الأفضل أن نفهم انتفاء الصلب هنا بأنه « عدم الموت على الصليب » إذ أن عدم الموت على الصليب يعنى انتفاء القتل صلباً ، كما أن عدم الموت تحت الماء يعنى انتفاء القتل إغراقاً .

ولعل من الأهمية بمكان يا صاحبى أن نذكر ونتذكر أن أعداء المسيح تعجلوا فى إنزاله عن الصليب لدفنه قبل انتصاف الليل عقب نهار الجمعة الذى صلب فيه . ولم تكن المدة التى قضاها المسيح على الصليب كافية لوفاته وإزهاق روحه . كان زميلاه اللذان صلبا معه فى نفس الوقت لم يموتا فى ذات المدة ولذلك قرروا قطع رجلى كل منهما ليعجل النزيف بموت كل منهما ، وعندما أرادوا قطع رجلى المسيح على

الصليب قال قائلهم : لقد مات . لا حسّ فيه ولا حركة . وطعنه أحدهم بالحربة فى جنبه ، ويجوز أنها كانت طعنة خفيفة تكفى لبيان ما إذا كان فاقد الشعور والإحساس أم أنه لا يزال قادراً على الشعور والإحساس وتحريك الأطراف . وعندما لم يبد المسيح حراكاً « ظنوه » قد مات وأنزلوه عن الصليب حيّاً دون قطع رجليه بفضل الله ورعايته وعنايته إذ ألقى فى روعهم وظنهم ما ألقى ، ونجا المسيح من القتل صلباً على الرغم من استطاعة أعدائه أن يستصدروا حكماً بإعدامه صلباً ، وعلى الرغم من استطاعة أعدائه أن يضعوه بالفعل على الصليب ، وهذا أغرب وأكثر تعبيراً عن أن مكر الله قد غلب وقهر مكر أعداء الله وأعداء المسيح عليه السلام .

ومن الأهمية بمكان أيضاً يا صاحبى أن نذكر أيضاً وأن نتذكر ما ذكره أهل الكتاب فى كتابهم المقدس لديهم ولا يزال موجوداً فى كتابهم المقدس بحالته الراهنة عن حالة ووصف المدفن الذى تم دفن المسيح فيه . إنهم لم يغيروا كل شىء . ولا تزال بقايا من الحقائق موجودة فى كتابهم المقدس .

لقد جاء ذكر ووصف المدفن الذى دفن فيه المسيح عليه السلام بالكتاب المقدس لدى أهل الكتاب كما يلى بالحرف الواحد : « وكان فى الموضع الذى صُلب فيه بستان وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط . فهناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود لأن القبر كان قريباً » . (يوحنا ١٩ : ٤١ ـ ٤٢)

كان القبر الذى دفنوا فيه المسيح قبراً جديداً فى بستان . وكان الشخصان اللذان قاما بدفنه فى ذلك القبر هما « يوسف الذى من الرامة » وشخص آخر اسمه «نيقوديموس» ، وهما من أتباع المسيح الذين لم يظهروا الولاء له خوفاً من اليهود . « والاستعداد » الذى جاء ذكره فى هذا النص الوجيز إنما كان استعداداً لاحتفال اليهود بيوم السبت ، ويبدو أن ذلك اليوم من أيام السبت كان قد صادف عيداً من أعياد اليهود ، ولم يكن أى سبت . يهمنا فحسب أن نعرف أن المسيح بعد أن أنزلوه عن الصليب دفنوه فى قبر جديد فى بستان بواسطة شخصين من أتباعه المحبين له بعد استئذانهما الحاكم الرومانى بيلاطس فى ذلك . وذلك طبقاً لما جاء فى إنجيل يوحنا بالموضع الذى أشرنا إليه .

وبشأن المدفن الذى تم دفن جثمان المسيح فيه بعد إنزاله عن الصليب يقول إنجيل متى بالحرف الواحد :

« ولـمَّا كان المساءُ جاء رجلٌ غنى من الرامَة اسمه يُوسفُ . وكان هو أيضاً تلميذاً ليسوعَ . فهذا تقدَّمَ إلى بيلاطُس وطلب جسدَ يسوع فأمر بيلاطسُ حينئذ أنْ يُعْطَى الجسدُ . فأخذ يوسفُ الجسدَ ولفَّه بكتَّان نَقيٍّ . ووضعه فى قبره الجديد الذى كان قد نَحتَه فى الصخرة ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر ومضى » . (إنجيل متّى ٢٧ : ٥٧ ـ ٦٠)

كان قبر المسيح إذن منحوتاً فى صخرة كبيرة تطل على بستان مملوك لأحد تلاميذه أو أتباعه المخلصين الذين لم يهربوا يوم محاولة صلب المسيح .

وكونُ القبر الذى دُفن فيه المسيح محفوراً فى الصخر يجعل طَمْرَ المسيح فى التراب مستحيلاً . وهذا شأن ضرورى لنجاة المسيح عندما يكون لا يزال على قيد الحياة عند دفنه فى ذلك القبر المنحوت فى الصخر .

وهكذا يتضح يا صاحبى أن المدة التى مكثها المسيح على الصليب كانت سويعات ، قالوا ثلاثة ، وقالوا ستة ، وقالوا تسع ساعات ، والراجح هو ثلاث ساعات . وهى مدة غير كافية لموت أى مصلوب بطريقة الصلب البطىء . ويتضح أيضاً يا صاحبى أن أعداء المسيح لم يقطعوا رِجلَيه كما فعلوا مع اللصين اللذين كانا مصلوبين معه فى نفس الوقت .

وعدم قطع الساقين مهم لشخص ظنوه قد مات على الصليب وكان فى حقيقة الأمر لم يمت عليه . ويتضح يا صاحبى أن الشخصين اللذين قاما بدفنه وهما يوسف الذى من الرامة وشخص آخر يدعى نيقوديموس كانا من تلاميذه أو أتباعه المخلصين الذين لم يهربوا يوم محنة المسيح . ويتضح أيضاً يا صاحبى أنهما قد دفناه فى قبر جديد محفور فى صخرة تطل على بستان مملوك لتلميذه وتابعه يوسف الذى كان رجلاً غنياً من الرامة كما يقرره إنجيل متّى بالموضع المشار إليه .

وعندما يلاحظان أى إشارة إلى أن المسيح لا يزال على قيد الحياة لا يترددان فى كتمانها . ومن وضع حجراً على مدخل المدفن يستطيع أن يحرك الحجر من مكانه ، فلماذا العجب عندما تجد مريم المجدلية فى فجر يوم الأحد أن الحجر قد تدحرج من مكانه ؟ ولماذا تندهش مريم المجدلية عندما تجد أن جسد المسيح غير موجود فى مكانه وتجد أن كفنه كان خالياً من الجثمان ؟ ولماذا تسأل الرجلين اللذين كانا يلبسان ملابس بيضاء عن سيدها وليس عن الجثة فيقولان لها : لماذا تبحثين عن الحى بين الأموات ؟

ولماذا لا تتعرف مريم على سيدها وهو متنكر في زيّ وملابس أحد عمال البساتين في بداية الأمر ، وعندما يناديها باسمها تتعرف على صوته « فالتفتت له وقالت له : ربوني الذي تفسيره يا معلِّم » على حد قول إنجيل يوحنا (٢٠ : ١٦) ؟

ولماذا يدخل المسيح تلك الحجرة العلوية التى كان يجتمع بها مع حوارييه بمنزل أحد تلاميذه فى أورشليم إذ لم يكن المسيح يمتلك بها منزلاً ، ففزع تلاميذه لدى رؤيتهم له يمشى على قدميه بعد أيام قليلة من محاولة قتله صلباً ، إذ كانوا « يظنونه » قد مات علي الصليب وتم دفنه كما كان أعداؤه يظنون ذلك أيضاً ، حيث إنهم ﴿ **مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتِّبَاعَ الظنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً** ﴾ كما يخبرنا بذلك القرآن الكريم حقاً وصدقاً ، وصدق الله العظيم يا صاحبى .

هل تريد يا صاحبى بياناً لأسباب اعتقادنا أن معنى قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **وَمَا صَلَبُوهُ** ﴾ هو عدم موت المسيح على الصليب ، وليس عدم وضع المسيح على الصليب كما هو شائع على سبيل الخطأ ؟ إن هذا الرأى هو مفتاح القضية كلها ، ووجود إمكانية لنفى الصلب مع وضع الشخص على الصليب وعدم موته على الصليب هو الذى يفتح مغاليق هذه المسألة ، ولقد اتفقنا على صحة هذا المعنى يا صاحبى فلا حاجة بنا إلى تكرار أسباب ومبررات وأدلة وأسانيد وجهة نظرنا . لقد أسهبنا فى بيان ذلك كله أيما إسهاب نظراً لأهميته فى فتح مغاليق هذه القضية .

قال صاحبى : هل قرأت كل تفاسير المفسرين للآية ١٥٧ من سورة النساء ووجدت أن المفسرين لم يوفقوا فى تفسيرها وإرجاع ضمير الغائب المفرد بها إلى « مَنْ » أو إلى « ما » تعود إليه هذه الضمائر ؟ ألا يوجد بينهم مفسر واحد تتطابق وجهة نظره مع جهة نظر سيادتك كما عرضتها فى غضون حوارنا الممتع هذا ؟

قلت : أنت تريد أن تحكم الحصار حول وجهة نظرى فى هذه المسألة ، مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه ، هل قتلوه وصلبوه أم أنهم ما قتلوه وما صلبوه . إننى أتفق معك ومع جمهرة المفسرين المسلمين فى لب القضية كما أخبرنا بها الله سبحانه وتعالى بالآية ١٥٧ من سورة النساء . والبحث عن نقاط الاتفاق أولى وأحرى بنا كمسلمين من البحث عن نقاط الاختلاف فى الرأى ووجهات النظر . أقول يا صاحبى ولا بأس من أن أكرر هذا الذى أقول لأهميته البالغة ، أقول : إننى أتفق معك ومع جمهرة المفسرين المسلمين فى لب القضية موضوع البحث والحوار بيننا كما وردت بدقة فى الآية ١٥٧ من سورة النساء .

ولقد اطّلعت بطبيعة الحال على تفسير جمهرة المفسرين لها . أتفق معك ومعهم ومع كل المسلمين فى أن المسيح لم يقتله أعداؤه صلباً ، وربما أختلف معك وربما مع غيرك ، بل إننى بالفعل أختلف معك ومع غيرك فى محاولة الوقوف على معرفة مكان وزمان وكيفية نجاة المسيح عليه السلام مما أراده له أعداؤه من القتل صلباً . هل تم ذلك فى البستان الذى ذهبوا للقبض عليه فيه بإلقاء شبه المسيح على غيره ، أم تم ذلك بعد أن وضعوا المسيح بالفعل على الصليب ؟ ولقد قرأت معظم إن لم يكن كل ما كتبه المفسرون المسلمون بشأن هذه القضية وهذه الآية فى كتب التفسير المختصرة الوجيزة ، وفى كتب التفسير المطولة وبحجرة مكتبى منها الكثير : الجلالين والطبرى وابن كثير والقرطبى والبيضاوى والألوسى والفخر الرازى ، وهم جميعاً من أئمة التفسير الذين نقدر علمهم كل التقدير ونحترمهم كل الاحترام ، فجزاهم الله خيراً لقاء ما بذلوه من جهود فى تحصيل المعارف والعلوم التى تؤهل كلاً منهم لمحاولة تفسير كلام الله فى القرآن الكريم . ولا شك أنك متأكد من أننى أعرف كم يقتضى التأهيل لمحاولة التفسير من جهود لا تتاح إلا لمن قيّضهم الله لمثل هذه المهام .

ولقد أعجبنى يا صاحبى تفسير (مفاتيح الغيب) المسمى بالتفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ، وهو من أوسع وأعمق كتب التفسير المرموقة ، ويقع فى عشرين مجلداً ، بينما يقع تفسير القرطبى ـ كما هو موجود بحجرة مكتبى ـ فى عشرة مجلدات ، طبعة الشعب ، ويقع تفسير ابن كثير فى أربعة مجلدات ، طبعة دار الكتب ببيروت .

قال صاحبى : ماذا أعجبك من تفسير الإمام الفخر الرازى بشأن هذه الآية الكريمة موضوع بحثنا ؟

قلت : هيا نقتبس سطوراً مما كتبه الإمام الفخر الرازى فى تفسيره لهذه الآية الكريمة.

بدءاً من صفحة (٥١٥) بالجزء الخامس من طبعة دار الغد العربى بالقاهرة فى تفسيره (مفاتيح الغيب) يقول الإمام الفخر الرازى ما نصه :

﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم** ﴾ « اعلم أنه تعالى لما حكى عن اليهود أنهم زعموا أنهم قتلوا عيسى عليه السلام كذّبهم الله فى هذه الدعوى وقال سبحانه : ﴿ **وما قَتَلُوه وما صَلَبُوه ولكنْ شُبِّهَ لهم** ﴾ .

« وفى الآية سؤالان : السؤال الأول : قوله تعالى : ﴿ **شُبِّهَ** ﴾ مسند إلى ماذا ؟ إن جعلته مسنداً إلى المسيح فهو مشبَّه به وليس بمشبَّه ، وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذِكر .

والجواب من وجهين : الأول : أنه مسند إلى الجار والمجرور ، وهو كقولك : خُيِّل إليه ، كأنه قيل : وقع لهم الشبه . والثاني : أن يسند إلى ضمير المقتول لأن قوله ﴿ وما قتلوه ﴾ يدل على أن وقع القتل على غيره فصار مذكوراً بهذا الطريق فحسن إسناد ﴿ شُبِّهَ ﴾ إليه » ا.هـ .

ويحسن يا صاحبى أن نتوقف هنا لنفكر سوياً فى هذا الذى قدّمه لنا الفخر الرازى بصدد موضوعنا .

إن أول ملاحظة لنا تتمثل فى أن الإمام الرازى قد ذهب أول ما ذهب إلى قول الله ﴿ ولكن شُبِّهَ لهم ﴾ ولم يلتفت أى التفات ولم يشر أى إشارة إلى عبارة مهمة مثل عبارة ﴿ وما صلبوه ﴾ وكأنها ليست بحاجة إلى تدبُّر وتفكر وتفسير . ولقد عرفنا كيف أن تدبُّر معنى هذه العبارة وتمحيصها يقدم لنا بالفعل المفتاح الذى يفتح مغاليق فهم الآية الكريمة كلها ، وذلك على الرغم من أن تفسير الإمام الرازى هو أكبر وأطول التفاسير وأكثرها إفاضة واستفاضة وإسهاباً .

وعلى كل حال نلاحظ ثانياً يا صاحبي أن الإمام الرازى قد استهل تفسيره للآية الكريمة ببحث الإسناد فى قوله تعالى ﴿ شُبِّهَ ﴾ وتساءل : مسند إلى ماذا ؟

ولتكون فكرة الإسناد واضحة يا صاحبى دعنى أنشط ذاكرتك لنفهم بوضوح المقصود بالإسناد الذى يشير إليه الإمام الرازى . لو قلت : « ضرب عمرو زيداً » فالضرب مسند وعمرو مسند إليه ، ولما كان فعل « شُبِّه » فى الآية فى صيغة المبنى للمجهول ، وحسب نظرية إلقاء الشبه التى سبق أن أشرنا إليها وإلى فسادها لا بد من وجود الحيرة وعدم القدرة على الفهم .

وها هو ذا الإمام الرازى لا يملك إلا أن يتساءل تساؤلاً هاماً فرض نفسه على ذهنه الذكى اللماح بفطرته عندما يقول فى محاولة الإجابة عن التساؤل الذى فرض نفسه على ذهنه ، يقول : « إن جعلته مسنداً إلى المسيح فهو مشبَّه به وليس بمشبَّه ، ولو أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجرِ له ذكر » حيرة وورطة دون ريب .

والسؤال بصيغة أخرى يمكن أن يُصاغ هكذا : « إذا كان أعداء المسيح حول الصليب قد شُبِّه لهم ، فماذا شبه لهم بالضبط ؟ هل شُبِّه لهم أنهم قتلوا شبيه المسيح على الصليب ، وبذلك يكون الأمر قد اختلط عليهم مرتين لا مرة واحدة ، اختلط عليهم الأمر فى المرة الأولى إذ خُيِّل إليهم وظنوا أن الله قد ألقى شبه المسيح على غيره ، وخيل لهم فى المرة الثانية وظنوا واحتاروا ولم يستطيعوا أن يقطعوا برأى فيما إذا كانوا قد

قتلوا شبيه المسيح أم قتلوا المسيح ؟

وإن أفاد ذلك شيئاً يا صاحبى فهو إنما يفيد شدة حيرتهم واختلاط الأمر عليهم فيما كانوا بصدده من قتْلِ وصلْب المسيح عليه السلام .

ولا تظن يا صاحبى أننى أُقحم كلمات « تخيّلوا ، وظنّوا ، واختلط عليهم الأمر » على تفسير الإمام الرازى ، وهو ليس موجوداً عنده ، إنه سيذكر ذلك بنفسه بذكائه الخارق اللماح بعد قليل ، حيث يقول رحمه الله وأثابه وجعل تفسيره للقرآن الكريم فى ميزان حسناته ، سيذكر الإمام الرازى ذلك فى قوله : « والجواب من وجهين : أنه مسند إلى الجار والمجرور ، وهو كقولك « خُيِّل إليه » كأنه قيل : « وقع لهم الشبه » وتعبير الإمام الرازى الذى يقول فيه « هو كقولك : خُيِّل إليه » [1] كأنه قيل : وقع لهم الشبه يجعل الإمام الرازى يقترب إلى حد الاتفاق مع وجهة نظرنا المتواضعة بهذا الصدد .

ولكن الإمام الرازى يستمر فى تقليب الأمر على وجوهه فيقول : « والثانى : أن يُسند إلى ضمير المقتول لأن قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ ﴾ يدل على أنه وقع القتل على غيره فصار مذكوراً بهذا الطريق ، أى طريق وقوع القتل على هذا الغير فحسن إسناد ﴿ شُبِّهَ ﴾ إليه » .

أى أن الإمام الرازى يرجح القول بوقوع القتل على شبيه المسيح وليس على المسيح انحيازاً للتفسير الشائع ، وإن كان قد أشار إلى معنى آخر .

حيرةٌ بالغةٌ أفضتْ يا صاحبى إلى غموض شديد واضح فى تفسير الإمام الفخر الرازى لقول الله : ﴿ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ على هذا النحو . إن التفسير على هذا النحو يحتاج إلى تفسير للتفسير دون ريب فى ذلك .

وسبب الغموض والحيرة والاضطرار إلى ذكر أكثر من وجه هو أن الإمام الرازى لم يلتفت ولم يمحص قول الله تعالى : ﴿ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾ التمحيص الكافى باعتبار أن لها معنى واحداً ظاهراً هو نفى الصلب عن المسيح عليه السلام . ولو اتضح له المعنى الآخر الذى أشرنا إليه من أن عدم موت شخص على الصليب « يكفى » لنفى الصلب عنه ، ولو كان هذا الشخص قد وضع على الصليب .

وحسبنا من تفسير الإمام الرازى على هذا النحو أنه أشار إلى أن ألفاظاً استخدمناها

---

(١) استخدم الإمام الرازى تعبير « خُيِّل إليه » ولم يقل « خيِّل إليهم » كما كان ينبغى ، لأنه يبدو أنه لا يريد أن يتبادر معنى أن أعداء المسيح « خيِّل إليهم » أن المسيح قد مات وكان فى حقيقة الأمر لم يمت ، حتى لا يحيد عن التفسير الشائع .

تتمثل فى قوله : « وهو كقولك : خُيِّل إليه » ولو كان الإمام الرازى قد تمسك بهذا الخيط لوصل إلى استقامة الفهم للمعانى الموجودة فى الآية الكريمة كلها دون ريب ، ولكنه رحمه الله عدل عن الإمساك بهذا الخيط وانحاز إلى الرأى الشائع .

إن ذيوع وانتشار نظرية إلقاء شبه المسيح على غيره قد حجبت الرؤية تماماً عن تفسير هذه الآية ، وزاد من غموض الأمر عـدم تمحيص معنى قول الله : ﴿ **وما صَلَبُوه** ﴾ وهى سابقة على قول الله : ﴿ **ولَكن شُبِّه لهُم** ﴾ ، وها نحن أولاء قد رأينا أن الإمام الرازى قد مضى قدماً إلى تعبير ﴿ **ولَكن شُبِّه لهُم** ﴾ دونما أى التفات إلى تعبير ﴿ **وما صلبُوه** ﴾ السابق عليه .

كان ذلك يا صاحبى فيما يتعلق بشأن الإسناد فى قول الله ﴿ **ولَكنْ شُبِّه لهُم** ﴾ وهو السؤال الذى أثاره الإمام الفخر الرازى كما أسلفنا . ولقد ذكرنا نص تفسيره وموقفه من هذا السؤال ولو كان لديك فَهْم أفضل له ، هاته فتح الله عليك .

وينتقل الإمام الرازى إلى ما يسميه السؤال الثانى وهو على جانب كبير من الخطورة والأهمية أيضاً ، إذ يقول الرازى فى الموضع المشار إليه من تفسيره بالحرف الواحد ما يلى مباشرة بعد ما سبق لنا اقتباسه عنه ، يقول :

« والسؤال الثانى : أنه إن جاز أن يقـال : إن الله تعالى يلقى شبه إنسان على إنسان آخـر فهذا يفتح باب السفسطة ، فإن رأينا زيداً فلعله ليس بزيد ، ولكن ألقى شبه زيد عليه ، وعندئذ لا يبقى النكاح والطلاق والملك موثوقاً به ، وأيضاً يفضى إلى القدح فى التواتر لأن خبر التواتر إنما يفيد العلم بشرط انتهائه فى الآخرة إلى المحسوسات . فإذا جوّزنا حصول هذه الشبهة فى المحسوسات توجّه الطعن فى التواتر ، وذلك يوجب القدح فى جميع الشرائع ... إلخ » ا. هـ .

ونقف عند هذا القـدر من صياغة الإمام الرازى للسؤال الثانى يا صاحبى ، ولعله يذكرك بما سبق أن ناقشناه من ضرورة عدم إهدار شهادة شهود العيان دون مبررات قوية مشروعة توجب تنحية شهادتهم وعدم الأخذ بها ، وذكرنا أن حادثاً مثل القبض على شخص بواسطة جنود أو حضور شخص أمام قضاته أو أمام أحد الحكام ، أو وضع شخص على الصليب إنما هي وقائع بسيطة ولا يشتمل أى منها على تفاصيل كثيرة بحيث يكون الشهود عليها عرضةً للتناقض ، ولقد ماتوا منذ مئات السنين ولا سبيل إلى القدح فى شهادتهم ، وهم ليسوا شاهدين فقط ، بل إنهم عشرات ومئات الشهود .

ويلزم ـ والحال هذه ـ البحث عن مخرج آخر لما يواجهنا به خصوم الإسلام الذين

يريدون إثبات الكذب فيما يتعلق بخبر مهم من أخبار القرآن الكريم، ولا يتم ذلك بمجرد الإهدار الفج الساذج لشهادة شهود العيان . ومن غير المقبول اتهامهم بالتواطؤ على الكذب فى هذه الوقائع البسيطة غير المعقدة إذ لا مصلحة لهم فى ذلك . هل تم وضع المسيح على الصليب أم لم يوضع ؟ مسألة بسيطة لا تحتمل سوى إجابة واحدة بالإثبات أو بالنفى . ولقد شهد عديد من شهود العيان بأنه قد تم وضع المسيح على الصليب .

ونظرية إلقاء شبه المسيح على غيره مردودة ويرفضها بالفعل خصوم الإسلام من الناحية العقائدية بكل جرأة ودون تردد . ويلاحظ يا صاحبى أننا لا نجادل بالتى هى أحسن المسلمين وحدهم . إن الجدل فى هذه المسألة مع خصوم الإسلام من أهل الكتاب يجرى على قدم وساق منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها شئنا ذلك أم أبينا ، سواء تم ذلك من خلال حوار على شكل كلام أو جرى الكلام فى الأذهان مع صمت اللسان . الحوار موجود وسيظل موجوداً إلى ما شاء الله .

والقول بنظرية إلقاء شبه المسيح على غيره لا يثْبُت لتمحيص بيننا كمسلمين ، ولا يثبت لجدل بيننا وبين خصوم الإسلام ، وقد أوضحنا أسباب ذلك بالتفصيل فيما سبق ، وما يذكره الفخر الرازى عن خطورة الطعن فى التواتر يذكرنا به بطبيعة الحال .

ومعنى ذلك يا صاحبى أن الإمام الفخر الرازى يشير وينبه إلى خطورة واستحالة الطعن فى التواتر وإلى انعدام المعقولية فى ذلك . ويصبح السؤال هو :

لماذا يهدر المسلمون شهادة شهود العيان بشأن وَضْع المسيح على الصليب وموت المسيح على الصليب ... إلخ ؟!

إن من مصلحة خصوم الإسلام أن يجعلوا المسلمين يكذبون ما لا سبيل ولا معقولية لتكذيبه فيما يتعلق بأمور ثابتة لديهم مثل القبض على المسيح ووضعه على الصليب ، فإذا اتضح فساد وخطأ هذا الموقف من الإنسان المسلم ، يسهل بعد ذلك أن يدعى خصوم الإسلام دعاوى باطلة كموت المسيح على الصليب وقيامته من بين الموتى وأنه إله وأنه رفع حيّاً إلى السماء بجسمه وروحه ... إلخ ، ومن السهل عليهم أن ينسبوا عدم قبول المسلمين لهذه المعتقدات إلى مجرد عناد المسلمين وعدم قبولهم للحقائق وتمسكهم بدعاوى لفّقها لهم محمد فى القرآن الكريم ، والدليل على ذلك من وجهة نظرهم هو أن المسلمين يرفضون الإقرار والاعتراف بأن جند الرومان قبضوا على المسيح ووضعوه على الصليب ، ويقول المسلمون بنظرية إلقاء شبه المسيح على غيره ، وهى نظرية غير معقولة وغير مقبولة ، ولأن القرآن يقول لهم : ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ** ﴾

ويتظاهرون أمام أتباعهم وأثناء جدلهم مع بعض المسلمين بأنهم رجال المعقولية ، لا يهدرون شهادة شهود العيان ولا ينكرون التواتر وهو أساس العلم واليقين فيما تواتر إلى البشر من أخبار السابقين .

أثار الإمام الفخر الرزاى مشكلة ضرورة عدم إهدار وإنكار التواتر ، ونتفق معه تماماً في ذلك ، ولكن الإمام الفخر الرازى لم يقدم لنا حلاً للمشكلة التى أثارها ، ونتفق معه على وجودها وخطورتها ، وهى مشكلة ضرورة عدم إهدار التواتر لأنه أساس العلم واليقين . ونضيف إلى ذلك ضرورة عدم إهدار شهادة شهود العيان دون مبررات كافية .

اكتفى الإمام الفخر الرازى بذكر مجموعة من الآراء المتعارضة المتقاربة سبق أن أشرنا إلى محتواها دون اطلاع على ما ذكره الإمام الرازى عندما قررنا تضارب وتعارض الآراء فيمن ألقى الله شبه المسيح عليه وكيفية ذلك . ويقول الإمام الرازى بعد استعراضه لهذه الآراء المختلفة : يهوذا ، وطيطانوس ، ومنافق ، وأحد الحراس ، وذلك الذى اشترى الجنة عندما تطوع أن يلقى شبه عيسى عليه ، يقول الإمام الرازى بعد استعراضه لهذه الآراء المتضاربة تعليقاً عليها ما نصه حرفياً بالموضع المشار إليه كما يلى : « وهذه الوجوه متعارضة متدافعة ـ والله أعلم بمراده » .

ورغم ذلك يا صاحبى يتمسك الإمام الرازى بنظرية إلقاء شبه المسيح على شخص آخر غير المسيح ، قبضوا عليه وقتلوه وصلبوه بدلاً من المسيح ، ولم يبذل الإمام الرازى أى جهد لرفع وإزالة التعارض والتدافع بين هذه الوجوه المتعارضة .

ولقد فسّر الإمام الرازى قول الله سبحانه وتعالى ﴿ **وإنَّ الَّذين اخْتلفُوا فيه لَفي شَكٍّ منهُ مَا لهُم به منْ علْمٍ إلاَّ اتّبَاعَ الظَّـنِّ** ﴾ بأنه اختلاف النصارى بين النسطورية والملكانية واليعقوبية . هذا هو الذى اختلفوا فيه .

وفى تفسيره لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ يَقيناً** ﴾ يذكر الإمام الرازى رأياً مطابقاً لرأينا تماماً ويذكر رأياً آخر عندما يقول بالحرف الواحد : « واعلم أن هذا اللفظ يحتمل وجهين : أحدهما : يقين (عدم القتل) والآخر : (يقين عدم الفعل) ، فعلى التقدير الأول يكون المعنى : أنه تعالى أخبر أنهم شاكُّون [1] فى : هل قتلوه أم لا ؟ ثم أخبر الله سيدنا محمداً ﷺ بأن اليقين حاصل بأنهم ما قتلوه .

---

(١) هذا بالضبط هو رأينا يا صاحبى . يقول الفخر الرازى بجواز رأينا فى أن أعداء المسيح كانوا يظنون ويشكُّون : هل قتلوه أم لا . وقلنا إنهم ظنوه قد مات وشكَّ بعضهم فى ذلك ، وذلك أيضاً هو اختلافهم .

وعلى التقدير الثانى : المعنى أنهم شاكون فى أنهم قتلوه هو ؟ ثم أكد ذلك بأنهم قتلوا ذلك الشخص الذى قتلوه لا على يقين أنه عيسى عليه السلام ، بل حينما قتلوه كانوا شاكين فى أنه هل هو عيسى أم لا ؟ والاحتمال الأول أولى ... إلخ » ا. هـ .

ومنه يتضح يا صاحبى أن الرأى الذى نقول به ليس بدعاً ابتدعته ابتداعاً . لقد اتضح لك أن الإمام الفخر الرازى يجيز الرأى الذى أوضحت صحته كما أوردنا نص كلامه فى هذا الصدد . ولكننا كنا قد توصلنا إلى رأينا هذا دون الاطلاع على ما يفيد إجازة الإمام الفخر الرازى للرأى الذى نعتقد صحته فى هذا الموضوع . كان اعتمادنا أولاً وأخيراً على تأمل وتدبر معانى كلام الله فى الآية الكريمة التى تحدد كيفية نهاية شأن المسيح مع قومه وهل قتلوه صلباً .

والإمام الفخر الرازى قد ذكر هذا الرأى ضمن آراء أخرى لم يرجح منها رأياً بعينه ، وبالتالى لم يقدم أى أدلة أو براهين أو أسانيد ترجح رأياً على الآخر بوجه عام . ولكن الإمام الرازى لم يهمل ما لا سبيل إلى إهماله ولم يهدر ما لا سبيل إلى إهداره عندما أشار إلى ضرورة الحفاظ على مصداقية التواتر كمصدر للعلم واليقين .

قال صاحبى : وماذا عن رفع سيدنا عيسى ؟ هل رفعه الله بالروح فقط أم رفعه حيّاً بالجسم والروح ؟

قلت : ما لنا يا صاحبى ولمسألة رفع سيدنا عيسى ؟ إنها ليست ضمن مسائل موضوعنا . فموضوعنا وموضوع المناظرة ينحصر فى بيان : هل مات المسيح على الصليب أم أنه لم يمت ؟ والآية ١٥٧ من سورة النساء تحدد بالقطع أن أعداء المسيح لم يقتلوه صلباً ، ولم يمت المسيح على الصليب .

ومسألة صلب المسيح وما سبقها من محاكمة المسيح عدة مرات والقبض عليه ، كل مسألة من هذه المسائل قائمة بذاتها مستقلة تمام الاستقلال عن غيرها ، درسناها وناقشناها برجاء أن يساعدنا الله فى اكتشاف وجه الحق بشأن كل منها .

ومسألة رفع سيدنا عيسى مسألة أخرى قائمة بذاتها ، وهى ليست داخلة فى موضوع المناظرة أو موضوعنا .

قال صاحبى : هذا صحيح . وتستطيع أن تعتبر أن موضوع المناظرة تحسمه من وجهة النظر الإسلامية الآية الكريمة رقم (١٥٧) من سورة النساء . ولك الحق فى أن تتوقف مع انتهاء هذه الآية ، ولكن محاكمة المسيح والقبض عليه ووضعه على الصليب وعدم موته على الصليب وظن أعدائه أنه قد مات على الصليب واختلافهم فى ذلك ،

وكذلك مسألة رفع سيدنا عيسى ، هذه كلها حلقات فى سلسلة موضوع واحد أطلقت عليه سيادتك اسم مسألة صلب المسيح ، أو نهاية شأن سيدنا عيسى مع قومه . وأحسب أن سيادتك توافق على مناقشة وتمحيص مسألة رفع سيدنا عيسى لتكتمل حلقات السلسلة ، أرجو ذلك .

قلت : لا مانع عندى من ذلك يا صاحبى بشرط أن ننظر إلى كل واقعة من الوقائع التى أشرت إليها : المحاكمات ، وعملية القبض على المسيح ، وعملية وضعه على الصليب ، ومسألة موته المزعوم على الصليب ، ومسألة رفعه ، بحيث تكون كل واقعة من هذه الوقائع أو كل حادثة من هذه الحوادث مستقلة بذاتها سواء كان وقوعها قد حدث فعلاً أو توهم بعض الناس وقوعه وحدوثه ولم يحدث كما زعموا .

قال صاحبى : لا بأس من ذلك فأنا لا أحب خلط المسائل والأمور ، ولا أحب إدخال مسألة فى ثنايا مسألة أخرى . أرجو أن ننتقل إلى مسألة رفع سيدنا عيسى عليه السلام .

قلت : الرفعُ رفْعُ منزلة ومكانة .

قال صاحبى : إن لم يكن الله قد رفع المسيح حيّاً بالجسم والروح ، فكيف سينزل المسيح آخر الزمان ليقتل المسيح الدجال ، ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويعلن أن الإسلام هو الدين الصحيح ؟

قلت : أرجو يا صاحبى ألا تعتقد أن ما سوف أقوله لك به أى سخرية . إننى أقصد الدلالة لا السخرية . ورداً على سؤالك اسمح لى ببعض الأسئلة : إذا كان المسيح لم يصعد بجسمه حيّاً إلى السماء فكيف سينزل آخر الزمان ؟ ولم يأت ذكر للمسيح الدجال فى القرآن الكريم ، وأى خنزير سيقتل فى حين أنه يوجد بالعالم ملايين الخنازير ؟ وما جدوى قتل خنزير من بين ملايين الخنازير ؟ وأى صليب سيكسر من بين ملايين الصلبان ؟ وهل الإسلام بحاجة إلى شهادة شاهد يشهد بصحته آخر الزمان ؟ وما هو قولك فى أن اليهود يقولون إنه سيشهد بصحة دينهم ، والنصارى يقولون : إنه سيشهد بصحة دينهم ؟ ألا يدل هذا وذاك وكله على أن هذا الكلام بذرة إسرائيلية زرعها أهل الكتاب فى أرض الإسلام فأثمرت أخطر الثمار ؟ ألاَ يستوجب ذلك منا الحذر والتدقيق والتمحيص ؟

وعلى كل حال يا صاحبى ، فإذا كنت تصر على أن المسيح سينزل آخر الزمان وتنسب إليه آخر الزمان ما تنسب ، دعنى أذكرك بقدرة الله غير المحدودة . ألا تعتقد أن الله قادر على كل شيء ؟ لقد بررت إلقاء شبه المسيح على شخص غيره أخذوه وقتلوه

وصلبوه وكأن الصلب شيء آخر غير القتل ، وكأن للصلب نتيجة أخرى غير القتل ، وكأن الصلب حدث مستقل عن حدث القتل ، وكأننا بصدد حدثين : حادث قتّل ، وحادث صلْب ، ولسنا بصدد حدث واحد ونتيجة واحدة ، بررت ذلك كله يا صاحبى بقدرة الله . تقبلون ما لا سبيل إلى قبوله ، وعندكم حجة جاهزة تسع جميع الأمور غير المعقولة عندما تعولون على قدرة الله غير المحدودة !!

ولقد سبق أن ذكرت لك يا صاحبى أننا كمسلمين يلزمنا تنزيه الله عن كل ما لا يليق بوحدانيته وكماله وجلاله وعدله وحكمته ، ولا داعى لذكر الأدلة الدالة على وجوب ذلك إذ أننى ذكرتها فى موضع سابق من حوارنا . ولايجوز أبداً أن نقبل ما لا يعقل فيما يتصل بالعقائد الدينية ما لم يدل على ضرورة قبوله نصٌ صريح فى القرآن الكريم .

القرآن الكريم ، بكل ما يحويه بين دفتيه من كلام الله سبحانه وتعالى هو المصدر الأول الذى يعلو ولا يُعلى عليه للعقائد والشرائع الإسلامية ، والمصدر الثانى للعقائد والشرائع فى الإسلام هو السنة النبوية الشريفة الصحيحة المطهرة الخالية من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة والمدسوسة مما يستوجب الحذر والحيطة عند الاستناد إليها . والمصدر الثالث للتشريع هو الرأى عن طريق النظر فى محتمل القرآن والسنة ، والنظر فى إلحاق ما لم ينص على حكمه بما ينص فى حكمه . ويتضمن ذلك بطبيعة الحال القياس الذى يجعله بعضهم مصدراً رابعاً للشريعة والعقيدة فى الإسلام ، ويرى بعضهم الآخر أن القياس يندرج تحت الرأى من حيث إنه يتم نتيجة إعمال الرأى .

ومن أهم المبادئ والقواعد المجمع عليها عند اللجوء إلى المصدر الثالث من مصادر العقيدة والشريعة فى الإسلام المبادئ والقواعد الآتية ، نذكرها لتنير لنا طريق بحثنا فى موضوعنا هذا ، وهى :

- الأصل فى الأشياء هو الإباحة ، والمنع أو الحظر لسبب .
- قاعدة حفظ المصالح .
- قاعدة اليسر ورفع الحرج .
- قاعدة إزالة الضرر .
- قاعدة سد ذرائع الفساد .
- قاعدة أن الضرورات تبيح المحظورات .
- قاعدة أن الضرورات تقدَّر بقدرها .

ـ قاعدة أن دفع الضرر مقدّم على جلب المنافع .
ـ قاعدة تحمُّل أخفّ الضررين .
ـ قاعدة أن الضرر لا يُزال بالضرر .
ـ قاعدة أن الشأن الذى نزل فيه نص من القرآن يُؤخذ فيه بنص القرآن ولا يُلتفت إلى سواه .
ـ قاعدة تحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام .
ـ وأهم قاعدة هى تقوى الله .

ومنه يتضح يا صاحبى أن إعمال الرأى محكوم بطبيعة الحال بالمصدرين السابقين عليه وهما القرآن والسنة ، ومحكوم أيضاً بقواعد صارمة ذكرنا بعضها ، ويوجد أيضاً غيرها مما أقره علماء وأئمة الإسلام ، ليحظى بإجماع المسلمين . وإجماع المسلمين مسألة فقهية فيها نظر .

إنك تريد يا صاحبى أن تعتقد أن سيدنا عيسى قد رفعه الله إليه بموجب نص الآية ١٥٨ من سورة النساء ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ بَل رَّفعَهُ اللهُ إليهِ وكانَ اللهُ عزيزاً حكيماً ﴾ . (سورة النساء : ١٥٨)

تريد ياصاحبى أن نعتقد أن سيدنا عيسى قد رفعه الله إليه بموجب نص هذه الآية الكريمة ، وأنا لا أمنعك من ذلك ، ولا سلطة لى عليك ولا سلطان أستطيع بهما أن أمنعك من أن تعتقد ذلك ، ولكننى فحسب أرجو أن تسمح لى أن ألفت نظر سيادتك إلى أنك تضيف إلى كلام الله فى الآية الكريمة كلاماً من عندك كما فعل المغضوب عليهم عندما أضافوا إلى كلام الله كلاماً من عند أنفسهم وليس من عند الله .

قال صاحبى : كيف ذلك بالله عليك ؟

قلت : ماذا تقول بشأن رفع سيدنا عيسى ، هات نص كلامك ، لقد جعلتنى يا صاحبى أقول الكثير مما كنت لا أودُّ أن أقوله إعمالاً لقاعدة أنه ليس كل ما يعرف يُقال . اسمح يا صاحبى أن أسألك عمّا تقوله أنت بلسانك فى شأن رفع سيدنا عيسى كما فهمته أنت من الآية ١٥٨ من سورة النساء التى سبق ذكرها .

قال صاحبى : أقول إن الله سبحانه وتعالى قد رفع سيدنا عيسى إليه فى السماء حيّاً بجسمه وروحه ، وأنه حى عند الله فى السماءِ ، وأنه سينزل آخر الزمان فيعلن أن الإسلام هو الدين الصحيحِ عند الله ، وسيقتل المسيحَ الدجالَ عند باب لد ، وسيقتل الخنزير ، وسيكسر الصليب .

قلت : ما شاء الله يا صاحبي . يفعل الله ما يشاء يا صاحبي . الآية الكريمة رقم ١٥٨ من سورة النساء تقول : ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إليه وكَان اللهُ عَزيزاً حكيماً ﴾ .

انظر فحسب يا صاحبي إلى الكلمات التي أضفتها إلى كلمات الله في الآية الكريمة . لقد أضفت بالضبط الكلمات الآتية : سيدنا عيسى .. حيّاً بجسمه وروحه .. وهو حي عند الله في السماء ... الخ .

وإضافتك كلمتي « سيدنا عيسى » مقبول ومعقول ولا غبار عليك في إضافتهما لأن ضمير المفرد الغائب يعود بكل معقولية ودون أي لبس أو غموض إلى سيدنا عيسى عليه السلام . ولكنك لم تكتف بذلك يا صاحبي بل أضفت كلمات خطيرة وذات دلالة كبيرة إلى كلام الله مثل كلمات : « حياً بجسمه وروحه ، وهو حي عند الله في السماء » هذا هو ما يسمونه بالضبط تحميل الكلام فوق ما يحتمل . وعندما يكون الكلام هو كلام الله سبحانه وتعالى يكون هذا العيب خطأ جسيماً ، ويثير مشاكل خطيرة ربما لا تدري أنت مداها وخطورتها .

قال صاحبي : ما هي المشاكل الخطيرة التي ذكرت لي سيادتك أن كلماتي القليلة التي أضفتها إلى كلام الله في الآية الكريمة يترتب عليها مثل هذه المشاكل ؟

قلت : لقد ذكرت يا صاحبي أن المسيح عليه السلام لا يزال حيّاً عند الله في السماء بجسمه وروحه ، وإليك المشاكل التي تترتب على ذلك :

١ ـ كيف يأكل ويشرب ويخرج فضلات الطعام والشراب .

٢ ـ تقول ما معناه : إن سيدنا عيسى موجود عند الله ، وأنه حي بجسمه وروحه ، والجسم لكي يكون موجوداً فلا بد من وجوده في مكان معين ، ويترتب على ذلك أن الله سبحانه وتعالى موجود في مكان معيّن هو الذي رفع إليه سيدنا عيسى ، وأضفت أنت كلمة « عنده » أي عند الله ، هل الله في مكان معيّن رفع إليه سيدنا عيسى بجسمه وروحه إليه أم أن سيدنا عيسى عليه السلام موجود في كل مكان ؟

٣ ـ عندما تقول إن المسيح حي يكون اعتقادك هذا مطابقاً لاعتقاد المسيحيين إذ أن المسيحيين يعتقدون ويعلنون صراحة أن المسيح حي ، وذلك لأنهم يعتقدون بألوهيته . وعندما يضطر شخص مسيحي أن يحلف فإنه يقول : « والمسيح الحي أنا صادق فيما أقول » .

٤ ـ يُضعف اعتقادُك هذا موقفَ أصحاب العقيدة الإسلامية أمام أصحاب العقائد غير الإسلامية ، إنه يضعف الحجج الإسلامية التي تدحض ألوهية المسيح دحضاً تاماً مثل

الاحتجاج بصدد نفى ألوهية المسيح بأن المسيح عليه السلام كان يأكل الطعام ويشرب وكان يحدث ، أى أنه كان يخرج فضلات الطعام والشراب .

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى محكم آياته دليلاً قاطعاً على أن المسيح كان يأكل الطعام وذلك لنفي ودحض الادعاء بألوهية المسيح . نفى الله ألوهية المسيح ونفى عقيدة التثليث ، وقدم الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم الدليل الواضح على بطلان ألوهية المسيح وفكرة التثليث ، إذ قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ لَقد كفرَ الَّذين قالُوا إنَّ اللهَ هُو المسيحُ ابنُ مَرْيمَ وقال المسيحُ يا بَنى إسْرائيلَ اعْبُدُوا اللهَ ربِّى وربَّكُم إنَّه مَنْ يُشرِكْ باللهِ فقد حرَّم اللهُ عليه الجنَّةَ ومأواهُ النارُ وما للظَّالمينَ منْ أنصارٍ * لقد كفرَ الَّذين قالُوا إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ وَما منْ إلهٍ إلا إلهٌ واحدٌ وإن لَم يَنتَهُوا عمَّا يَقولُونَ لَيَمسَّنَّ الَّذين كَفرُوا مِنهُم عَذابٌ أليمٌ * أفلا يَتوبُونَ إلى اللهِ ويَسْتَغفِرُونَهُ واللهُ غَفورٌ رَّحيمٌ * ما المسيحُ ابنُ مريمَ إلاَّ رَسولٌ قد خَلَتْ مِن قَبْلِه الرُّسلُ وأُمُّه صدِّيقةٌ كانا يأكُلانِ الطَّعامَ انْظُرْ كيف نُبيِّنُ لَهمُ الآياتِ ثُمَّ انظُرْ أنَّى يُؤْفكُونَ ﴾ . (سورة المائدة : ٧٢ ـ ٧٥)

ألا ترى يا صاحبى أن الله قد دلل على خطأ تأليه السيد المسيح والعذراء مريم على حد سواء ، وذلك بأنهما كانا ـ المسيح وأمه ـ يأكلان الطعام ؟

وعندما تقول الآن يا صاحبى أن المسيح حى عند الله فى السماء ، ألا تخشى أن يسألك شخص مسيحى : كيف يأكل المسيح ويشرب ويحدث ، أى يخرج فضلات الطعام والشراب ؟ هل يجوز ذلك فى عقيدتكم ولا يجوز فى عقيدتنا ؟ فماذا أنت قائل ؟ أفلا تكون قد أبطلت دليلاً برهن به الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم على كفر القائلين بألوهية المسيح وعلى كفر القائلين بالتثليث ؟ ولقد أشار نبى الإسلام محمد ﷺ إلى ذلك الدليل الحاسم فى مناظرته مع وفد نصارى نجران فى العام العاشر من الهجرة الموافق لعام ٦٣١ الميلادى .

قال صاحبى : بلى .. لم أكن أحسب أن كلماتى القليلة التى أضفتها إلى كلام الله تفضى إلى هذه العواقب الوخيمة .

قلت : وهذا بالضبط هو ما سعى خصوم الإسلام إلى دسّه وزرْعه فى أرض الإسلام منذ قرون عديدة بدءاً من إلقاء شبه المسيح على غيره كطريق وحيد وطريقة وحيدة لتحديد مصير المسيح إذ لم يقتل ولم يصلب ، وانتهاءً بالقول بأن الله قد رفعه حياً بجسمه وروحه إليه ، عنده فى السماء كما تقول .

٥ ـ يُضاف إلى ذلك يا صاحبى أنك إذا قلت إن الله قد رفع المسيح إليه حياً بجسمه وروحه إلى السماء بعد أن قلت طبعاً فى مرحلة سابقة إنه لم يمت إذ ألقى الله شبهه على شخص غيره ، تماماً كما يريدك خصوم الإسلام أن تقول ، بعد أن قلت الذى قلت تكون مخالفاً لصريح القرآن الكريم .

قال صاحبى : هل عندما أقول إن المسيح حى عند الله فى السماء وسينزل آخر الزمان أكون مخالفاً لصريح القرآن الكريم ؟

قلت : أنت تقول إن المسيح حى فى السماء ، ويقول الله سبحانه وتعالى : إن الله قد توفاه ، توفى الله رسوله المسيح . مات المسيح . ذلك هو ما يصرح به الله فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع ، مثل قوله سبحانه وتعالى عندما يجعل المسيح يشهد بحقيقة أمره وأمر دعوته إلى الله يوم القيامة ، ويخبرنا الله أن المسيح عليه السلام سيقول :

﴿ ما قلتُ لهم إلاّ ما أمرتَنى به أنِ اعبُدوا اللهَ ربّى وربّكم وكنتُ عليهم شهيداً ما دُمْتُ فيهم فلمّا توفّيتنى كنتَ أنتَ الرّقيبَ عليهم وأنتَ على كلّ شىءٍ شَهيدٌ ﴾ .

(سورة المائدة : ١١٧)

مات المسيح يا صاحبى . توفاه الله بكل ما تحمله كلمة « الوفاة » من معان بموجب هذه الآية الكريمة . ولا عبرة البتة بمحاولات من يريدون الانفلات من صريح معنى كلمة « الوفاة » بأنها مثل النوم ، إذ شتان بين الوفاة والنوم . بعد النوم يستطيع الإنسان بإرادته أن يستيقظ ويسترد مشاعره ، وبعد النوم يستيقظ الإنسان ويسترد حواسه ومشاعره لو أيقظه آخر بإحداث صوت أو نداء أو ملامسة . هل يستيقظ شخص توفاه الله بإحداث صوت أو نداء أو ملامسة ؟

وأثناء النوم يتنفس الإنسان شهيقاً وزفيراً وتعمل الحركة الدموية فى جميع أنحاء جسمه عملها ولا يتوقف قلبه عن النبض ، فهل الشخص الذى توفاه الله يتنفس شهيقاً وزفيراً ، وتعمل الحركة الدموية فى جميع أجزاء جسمه ولا يتوقف قلبه عن النبض ؟ ويحتاج الشخص النائم إلى هواء وطعام وماء ، وربما استيقظ لمجرد أن يشرب ، وليس هذا من شأن شخص توفاه الله .

ومن العبث أيضاً يا صاحبى أن يزعم أحد أن المسيح قد تحول إلى الطبيعة الملائكية ، أى أنه صار مثل الملائكة ، أى أنه صار بغير حاجة إلى طعام أو شراب أو إخراج فضلات . وهذا ادعاء زائف إذ يستحيل أن يتغير أحد من طبيعة خلقه الله عليها إلى طبيعة أخرى . الإنسان إنسان ولا يتحول أبداً إلى ملاك على سبيل الحقيقة . والملاك

ملاك ليس به عظم ولا دم ولا يأكل طعام البشر . ولو قبلت ذلك يا صاحبى فلماذا لا تقبل أن يكون المسيح قد تحوّل إلى الطبيعة الإلهية ؟

وإذا كان التحول من طبيعة إنسانية بشرية إلى الطبيعة الملائكية ممكناً وجائزاً ، فلماذا يستحيل أن يتحول الله من الطبيعة الإلهية إلى الطبيعة الإنسانية ؟! والعكس أيضاً صحيح ! فيتحول الإنسان من الطبيعة الإنسانية إلى الطبيعة الإلهية ، وتستمر الحركة التبادلية بين اللاهوت والناسوت بالضبط كما يريد لك النصارى أن تقول !!

لا تَحوُّل البتة من طبيعة إلى طبيعة يا صاحبى . هكذا شاء الله ، وهو ما نجده فيما جرت به سنّة الله فى خلْقه ، ولن تجد لسنة الله فى خلقه تبديلاً . احذر يا صاحبى أن تقول ما يقول به غير المسلمين فى عقائدهم : لهم دينهم ولنا دين .

وتوجد يا صاحبى نصوص أخرى فى القرآن الكريم تفيد أن الله تعالى قد توفى المسيح عليه السلام ، وذلك مثل قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ إذْ قالَ اللهُ يا عيسى إنّى مُتوفِّيكَ ورافِعُكَ إلىّ ومُطهِّرُكَ مِنَ الّذين كفَرُوا وجَاعِلُ الّذين اتّبعُوكَ فوقَ الّذين كفرُوا إلى يومِ القيامةِ ثُمّ إلىّ مَرْجعُكُم فأحْكُمُ بينكُم فيما كُنتُم فيه تَختلِفُونَ ﴾ . (سورة آل عمران : ٥٥)

والوفاة هى الوفاة بكل ما تحمله الكلمة من معنى . الوفاة هى قبض الروح ونزْعُها من الجسم بأمر الله وقدرته بعد أن يستوفى الإنسان أجله ورزقه بلا زيادة أو نقصان ، ولا توجد نصف وفاة أو ربع وفاة .

والرفع : رَفْعُ منزلة ومكانة والله أعلم بمراده ، ومن تحميل كلام الله فوق ما يحتمل إلى حد إضافة كلام البشر إلى كلام الله سبحانه وتعالى أن يقول قائل : إن الله قد رفع المسيح إليه ، فى السماء حياً ، بجسمه وروحه .

وإن قلنا له : وما قولك فى وفاة المسيح التى ورد ذكرها قبل **﴿ رافعُك ﴾** قال : إن الله سيتوفى المسيح بعد نزوله آخر الزمان ، والله لم يتوف المسيح حتى الآن **﴿ وما قَتلُوه وما صلَبُوه ولَكن شُبِّهَ لهُم ﴾**، ويظن أنه يستدل بكلام الله على صحة زعمه وظنه وفاسد رأيه.

نعم .. صدق الله العظيم القائل : **﴿ وَمَا قَتلُوه وَمَا صلبُوه ولَكن شُبِّه لهُم ﴾** وإننى أنفى قتلَ المسيح وأنفى صلْبَ المسيح مثله تماماً بشرط أن ندرك أن نَفْىَ الصلب له طريقتان يتحقق بواحدة منهما : ينتفى الصلب إذا كان المسيح لم يوضع على الصليب أصلاً ، وينتفى أيضاً لو وُضع المسيح على الصليب ولم يمتْ عليه .

لا خلاف بيننا كمسلمين فى أن المسيح عليه السلام لم يُقتل ولم يُصلب . ويختلف الرأى بيننا فحسب حول الطريقة التى أنقذ الله بها المسيح من القتل صلباً . هل تم ذلك بإلقاء شبه المسيح على غيره ، أم توهّم أعداؤه وشُبّه لهم أنه مات وكان حينئذ فى حقيقة الأمر لم يمت . وهذا هو التفسير الأقرب للسداد ، لقول الله ﴿ وما صَلَبُوهُ ﴾ وما تنطوى عليه ذات الآية الكريمة من أن أعداء المسيح كانوا فى شك من موته على الصليب ، وليس لهم بالموت من علم إلا اتباع الظن ، وفيما تنطوى عليه الآية الكريمة من كلام الله فى ذات نص الآية ما يرجح كل الترجيح ويوضح كل التوضيح أن تلك كانت هى طريقة الله لإنقاذ المسيح مما أراده له أعداؤه من قتلٍ وصلبٍ . ولا حاجة بنا البتة إلى التمسك بنظرية قال بها المفسرون ولم يقل بها الله سبحانه ، وهى نظرية إلقاء شبه المسيح على شخص آخر أخذوه وصلبوه بدلاً من المسيح . ولقد سبق لنا يا صاحبى أن بسطنا الحجج والأسانيد والأدلة التى ترجح رأينا . والله أعلم .

ولنعُد الآن ـ يا صاحبى ـ إلى نص الآية الكريمة الخامسة والخمسين من سورة آل عمران . وقول الله : ﴿ يا عيسى إنّى مُتوفّيكَ ورَافِعُكَ إلىَّ ومُطَهِّرُكَ مِنَ الّذين كفرُوا ﴾ يحتاج إلى تفكير وتأمل وتدبر يا صاحبى ، وفيه دلالات هامة توضح حقيقة شأن المسيح وكيفية انتهاء شأنه مع قومه .

متوفيك . رافعك . مطهرك . وكل منها اسم فاعل ، وهى تدلنا على كيفية انتهاء شأن المسيح مع قومه بكل تحديد ووضوح . وأسماء الفاعل الثلاثة فى سياق واحد ، ويبرز لنا سؤال مهم هو : لماذا يتعجل القائلون بأن المسيح قد رفعه الله حيّاً بجسمه وروحه إلى السماء « الرفع » ويؤجلون الوفاة ؟

يذكرون أن الرفع ـ رفع المسيح ـ قد تم : ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إليه ﴾ ويذكرون أن التطهير قد تم . أنصف الله نبيه المسيح مما اتهمه به خصومه وأعداؤه من تهم شنيعة بالحطّ من شأنه ، كاتهام اليهود له بأنه ابن سفاح وزنى ، وبأنه كان مشاغباً للسلطات الحاكمة الرومانية ، ومهيجاً للشعب اليهودى ضد الرومان ، فقبض عليه الرومان وقتلوه صلباً ، وانتهى شأنه .

بالغ اليهود على النحو السالف بيانه فى الحطّ من شأن المسيح عليه السلام . وبالغ النصارى فى رفع شأن المسيح فجعلوه إلهاً يعبدونه تارة ، وأقنوماً ضمن أقانيم ثلاثة يتكون منها الله تارة أخرى ، أى أنهم جعلوا المسيح ثالث ثلاثة .

وأعاد الله بما أوحاه فى القرآن الكريم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ، النبى الأمى ،

محمد ﷺ ، أعاد الله للمسيح عليه السلام اعتباره وكرامته كنبى مرسل من أنبياء الله المرسلين ، وأمه مريم الصديقة العذراء لم تحمل من سفاح بل بأمر الله وقدرته ليكون ميلاد المسيح على هذا النحو معجزة تجعل قومه يؤمنون بنبوته ورسالته ، ولكنهم للأسف الشديد لم يأبهوا للمعجزة التى شهدوها وأهدروا دلالتها الحقيقية ورموا مريم أم المسيح بتهمة الزنى ، ولا يزالون يتهمونها ولا يعترفون بنبوة ورسالة المسيح عليه السلام .

ونفى الله فى القرآن الكريم أن يكون المسيح قد ادّعى الألوهية أو دعا الناس إلى عبادته . برّأ الله رسوله المسيح فى القرآن الكريم مما أحاطه به خصومه وكالوه له من تهم باطلة شنيعة ، وهكذا طهّره الله فعلاً منذ نزول القرآن الكريم مبرّئاً ومطهّراً للمسيح من كل هذه الاتهامات والأكاذيب .

أى تطهير إلهى ، وأى تكريم إلهى ، وأية رفعة شأن هذه التى « رفع » الله إليها المسيح يا صاحبى ؟

ألا تكون الوفاة قد تمت ؟ ألا تكون الرفعة قد تحققت ؟ ألا يكون التطهير قد اكتمل ؟ تمّت وفاة المسيح ، وتحقق رفع المسيح وتأكدت رفعته ، واكتمل تطهير المسيح من الاتهامات الظالمة بنزول القرآن الكريم معلناً حقيقة أمر المسيح عليه السلام ، وموضحاً لحقائق كيفية حياة المسيح بين قومه ، ومفصحاً عن حقائق دعوة المسيح لقومه أن يعبدوا الله ولا يحرّفوا كلام الله عن مواضعه متمسكين بظاهر الشريعة مهدرين جوهرها .

ونزل القرآن الكريم أيضاً موضحاً لكيفية نهاية شأن المسيح مع قومه داحضاً لما كانوا يدعونه من أنهم قتلوا المسيح وصلبوه ، وكانوا يتبعون الظن فى ذلك ، إذ أنه ليس لهم علم بالموت وتحققه ولا بالميلاد وتحققه ، فالله هو الذى يقر فى الأرحام ما يشاء . والله هو الذى يتوفى الأنفس بعد أن يستوفى كلّ نفسٍ أجَلَها .

أليس عجيباً يا صاحبى أن نجد أناساً ينادون بأعلى أصواتهم أن المسيح قد رفعه الله حيّاً بجسمه وروحه إليه ، عنده فى السماء ، وأنه سينزل آخر الزمان ليفعل ويفعل ؟

لماذا يعجل هؤلاء الناس برفع المسيح على النحو والكيفية التى تصوروها ؟ ولماذا يؤجلون وفاة المسيح ؟ قال الله : ﴿ **يا عيسى إنّى مُتوفّيكَ ورَافعُكَ** ﴾ لماذا يكون التوفى مؤجلاً والرفع معجلاً ؟ لماذا تم الرفع وتأجلت الوفاة ؟ إن الاشتقاق اللغوى واحد : (متوفيك) اسم فاعل ، و (رافعك) اسم فاعل ، والسياق واحد ، والأقرب إلى استقامة الفهم هو أن نعتبر أن وفاة سيدنا عيسى قد تمّت ، ورفع سيدنا عيسى قد تم ، وتطهير سيدنا عيسى قد تم .

ومن الانحراف بالمعانى عن الصواب أن يعتبر الناس أن رفع عيسى قد تم ، وأن تطهيره قد تم ، ولكن وفاته لم تتم ولم تتحقق . يتصورون رفع سيدنا عيسى كما يحلو لهم ، حياً بجسمه وروحه إلى السماء . ويحددون الوقت الذى سيموت فيه سيدنا عيسى بأنه آخر الزمان .

خطأ فى معرفة كيفية إنقاذ الله لسيدنا عيسى ، وعدم معرفة المفسرين على وجه التحديد لكيفية نجاته جرّ وأفضى إلى قبولهم نظرية إلقاء شبه المسيح على غيره .

وخطأ فى معرفة مصير المسيح كشخص ، كرجل ، كواحد من البشر ، بعد عملية الصلب أدى إلى أن يقولوا إن الله قد رفعه حيّاً بجسمه وروحه إلى السماء ، وإلا ، فماذا حدث للمسيح ؟ وأين جسده ؟ وماذا كان مصيره ؟ مشكلة تخبّط الكثيرون فى محاولات إيجاد حل لها .

ولا ينبغى يا صاحبى التهرب من المشكلة ، أى مشكلة . ليس التهرب من المشكلة حلاً للمشكلة ، خصوصاً إذا لم يكن ثمة مهرب من حل المشكلة .

قال صاحبى : عفواً . انتظر من فضلك . مصير المسيح بعد عملية الصلب بالفعل غامض . ماذا حدث للمسيح بعد عملية الصلب ؟

قلت : المسألة بسيطة وواضحة . فلنتفق أولاً على ما يلزمنا كمسلمين أن نتفق عليه ، ثم نبحث شأن ما نختلف حوله مجتهدين بعون الله أن نزيل كل ما يمكن إزالته من نقاط الخلاف بيننا كمسلمين .

نحن متفقون دون ريب فى الإيمان بالله ووحدانيته وقدرته وحكمته . نحن متفقون دون ريب فى الإيمان بالرسل وفى أن سيدنا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، وفى أن القرآن الكريم هو آخر وأتم وأكمل وأصح الكتب السماوية التى أنزلها الله يحوى العقيدة الصحيحة والشريعة التامة . ونحن متفقون على أن سيدنا عيسى عليه السلام نبى مرسل من أنبياء الله ورسله عليهم السلام ، بلغ رسالته وأدى أمانته ودعا قومه إلى عبادة ربه ، وصحح لهم ما حرّفوه من التوراة وما غيّروه من شريعة سيدنا موسى عليه السلام . آمن بنبوته ورسالته قليل من بنى قومه ، وكذّبه وكفر برسالته معظم بنى قومه ، وحاول أعداؤه قتله صلباً ، وأنقذه الله من مكرهم .

واختلفت وجهات النظر فى كيفية ومكان وزمان إنقاذ الله للمسيح مما أراده له أعداؤه من قتلٍ وصلبٍ على النحو الذى سبق بيانه فى حوارنا يا صاحبى . ولكن الاتفاق موجود بشأن وقوع محاولة الصلب ، والاتفاق قائم بشأن نجاة المسيح عليه السلام من

محاولة أعدائه أن يقتلوه صلباً . وهنا يجيء سؤال : ماذا حدث للمسيح ؟ وماذا كان مصيره بعد أن نجا من الموت صلباً ؟

وبناء على رأى من يرون أن الله ألقى شبه المسيح على غيره ـ وليس هذا رأياً أرتضيه ـ يكون مصير المسيح واضحاً إذ يزعمون أن الله قد رفعه حياً بجسمه وروحه إليه فى السماء . أنت تسأل عن جسم المسيح بعد عملية الصلب بطبيعة الحال . جسم سيدنا عيسى وروحه موجودان حتى الآن فى السماء وفقاً لهذا الرأى يا صاحبى .

ولو كان اجتهادنا موفقاً بعون الله عندما لاحظنا أن قول الله سبحانه وتعالى : **﴿ وما صَلَبُوهُ ﴾** يصح فى حالتين وليس فى حالة واحدة فقط : إذا كانوا لم يضعوه على الصليب أصلاً ، وإذا كانوا قد وضعوه على الصليب ولم يمت عليه ، كما أوضحنا سابقاً . وعندئذ يا صاحبى ينفتح أمامنا طريق واسع مضىء واضح لمسير أحداث ووقائع نهاية شأن المسيح مع قومه .

ظنوه مات على الصليب . واختلط أمر الموت والبقاء على قيد الحياة فى نظرهم ، وشُبِّه لهم ، وتشابه أمر الموت وأمر البقاء على قيد الحياة فى نظرهم كما تشابه البقر على قوم موسى عليه السلام من قبل إذ لم يكونوا يعرفون البقرة المطلوبة من البقر غير المطلوب . وشأن الموت والحياة فيما يتعلق بأعمار البشر من أمر الله ، لم يكن لهم به من علم إلا اتباع الظن .

وقد أخبرنا الله أنهم لم يقتلوه يقيناً ، وإذا لم يقتلوه يقيناً فهُم لم يصلبوه يقيناً . إنهم وجدوا أنفسهم فى خاتمة المطاف **﴿ وما قَتَلُوه وما صَلَبُوه ﴾** فيا لحسرة أعداء المسيح ! وما أضيع وأضعف مكرهم إزاء مكر الله ، والله خير الماكرين !

وتستطيع أن تتخيل فى سهولة ويُسر ووضوح يا صاحبى حقيقة ما حدث للمسيح ، وما حدث من المسيح بعد إنزاله حياً عن الصليب .

استأذن بعض أتباعه من الحاكم الرومانى بيلاطس أن يدفنوا المسيح ، وتم دَفْنُ المسيح فى قبر مريح ، لم تكن رجلاه قطعتا . والمدفن منحوت فى الصخر المطل على حديقة أحد أغنياء بنى إسرائيل من أتباع المسيح . ويوجد حجر يسد مدخل المدفن . وإذ نؤمن يا صاحبى أن الله قد أنقذ المسيح من القتل صلباً فهل يعزُّ علينا أن نتصور أن المسيح قد قيَّض الله له مَنْ دحرج الحجر عن مدخل القبر أو أن نتصور أن المسيح قد استطاع أن يزيح الحجر عن مدخل القبر ليخرج منه ثم ليمضى فى الحياة ما شاء الله أن يمضى حتى يستوفى أجله فى مكان ما ، وفى زمان ما ، وفقاً لمشيئة الله .

ولم يكن من المعقول أن يعاود المسيح عليه السلام الظهور بين أعدائه ليعودوا إلى محاولة قتله إذ كان أعداؤه قد شرعوا فى قتله صلباً من قبل . ويقال إنه ظهر أمام أتباعه ففزعوا لمرآه ، إذ كانوا يظنونه قد مات صلباً حتى أنه قال لهم : لماذا تخافون ؟ إننى لست شبحاً . جسونى . إن لى عظاماً وليس للشبح عظام . هاتوا شيئاً آكله أمامكم والملائكة والأشباح لا يأكلون طعام البشر . وأعطوه ـ فيما يقال ـ خبزاً وشيئاً من السمك وشيئاً من العسل ، فأكل أمامهم . لقد أكل أمامهم لأنه ليس شبحاً . بل كان هو المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .أكل أمامهم لأنه لم يكن قد مات بعد . كان لا يزال حياً .

لم يكن من المعقول يا صاحبى أن يعاود المسيح عليه السلام الظهور أمام أعدائه حتى لا يعاودوا الشروع فى قتله ، ولم يكن معقولاً أن يستمر فى الوجود مع أتباعه حتى لا يشاع ولا يذاع أمر نجاته من القتل صلباً فيجدُّ أعداؤه فى طلبه من جديد .

ومن الطبيعى أن يسعى المسيح فى أرض الله الواسعة ، حتى استوفاه الله أجله ، فمات المسيح كيفما وحيثما وحينما أراد الله .

قال صاحبى : هل مات المسيح ؟ هل توفى الله رسوله المسيح ؟ ألم يرفع الله رسوله المسيح إليه عنده فى السماء ؟ ألن ينزل المسيح آخر الزمان ليقتل المسيح الدجال ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويعلن أن الدين عند الله هو الإسلام ؟

قلت : يا صاحبى .. لقد قال الله سبحانه وتعالى منذ قرون عديدة فى القرآن الكريم :
﴿ إنَّ الدِّين عند اللهِ الإسلامُ وما اختْلَفَ الَّذين أوتُوا الكتابَ إلاَّ مِن بَعدِ مـا جاءهُم العِلْمُ بَغْيـاً بينهُم ومَن يكْفُرْ بآياتِ اللهِ فإنَّ اللهَ سريعُ الحسابِ ﴾ . (آل عمران : ١٩)

ومنه يتضح يا صاحبى أن الإسلام ليس بحاجة إلى من يشهد بأن الدين عند الله الإسلام . ولقد أوضحت لك من قبل يا صاحبى أن المسيح قد مات . لقد توفاه الله ، وذكرت لك صريح آيات القرآن الكريم التى تدل صراحة على أن المسيح قد مات .

قال صاحبى : هل سينزل آخر الزمان ؟

قلت : هل ينزل من لم يصعد ؟

قال صاحبى : والسنة النبوية ؟ ألا يكون لها اعتبار عند النظر فى مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه ؟

قلت : السنة النبوية الشريفة لها كل الاعتبار فى كل ما يتصل بالشريعة والعقيدة .

القرآن الكريم أولاً ، والسنة النبوية الشريفة الصحيحة ثانياً يا صاحبى . وأرجو ألا تتغاضى عن أن تكون السنة النبوية صحيحة .

قال صاحبى : ذكرتَ ما يدل على أن المسيح عليه السلام قد توفاه الله وأنه ليس حياً فى السماء من آيات القرآن الكريم ، وأوضحت دلالة آيات القرآن الكريم على ذلك بكل وضوح . هل فى السنة النبوية الصحيحة ما يدل على ذلك ؟

قلت : جميل أنك لم تنس أن السنة النبوية الشريفة يلزم وصفها أيضاً بأن تكون صحيحة لأهمية ذلك فى موضوعنا .

وتحضرنى يا صاحبى فى هذا الصدد مناظرة النبى ﷺ مع وفد نصارى نجران . واسمح لى أن أنشّط ذاكرتك يا صاحبى .

قبل ظهور الإسلام فى مطلع القرن السادس الميلادى كان العالم المعمور الذى تواترت إلينا أخباره ووقائع تاريخه يقع فى نطاق أو تحت نفوذ امبراطوريتين كبيرتين هما: الامبراطورية الفارسية فى الشرق وعاصمتها تقع فيما نعرفه الآن باسم العراق فى التاريخ الحديث ، والامبراطورية الرومانية ، شمال وشرق البحر المتوسط ، وعاصمتها بيزنطة ، وهى روما التى نعرفها فى التاريخ الحديث .

وكان نفوذ الامبراطورية الفارسية يمتد غرباً ليصل إلى بعض الأجزاء المتاخمة للعراق من شبه الجزيرة العربية مثل إمارة الحيرة وما جاورها ، كما كان نفوذ الرومان يمتد ليشمل الشام وفلسطين ومصر ، بل كان النفوذ الرومانى يمتد جنوباً ليصل إلى اليمن وإلى الحبشة التى كان أهلها يدينون بالمسيحية .

وكان امبراطور الرومان بعد القرن الثالث الميلادى يعتبر نفسه راعى المسيحية . ولقد استثمر امبراطور الرومان اعتناقه للمسيحية أفضل استثمار فى بسط نفوذه وهيمنته على أوسع نطاق ، وبعد أن كان المسيحيون يناوئون النفوذ الرومانى فى الولايات والمستعمرات الرومانية إلى حد أرهق سيوف الرومان وأزعج أباطرتهم ، أعلن امبراطور الرومان تحوُّله من الوثنية إلى المسيحية ، وأعلن أنه عاهل وحامى حمى المسيحية ، وكان يعقد المجامع المسيحية تحت إشرافه وتحت حراسة جنوده لتسوية الخلافات وفض المنازعات بين أصحاب المذاهب المسيحية المتعارضة إلى حد التناقض التام ، مثل مجمع « نيقية الأول » عام ٣٢٥م ، ومجمع « صور الأول » عام ٣٨١م ، ومجمع « إفسس الأول » عام ٤٣١م ، ومجمع « إفسس الثانى » عام ٤٤٩م ، ومجمع « خلقدونية » ، ومجمع « القسطنطينية » عام ٥٥٣م ، ومجمع « القسطنطينية الثانى » عام ٦٨١م ، وتوالت

المجامع المسكونية المسيحية تحت رعاية امبراطور الرومان وتحت حراسة جنوده لتسوية الخلافات وفض المنازعات بين أصحاب المذاهب المسيحية المتعارضة إلى حد فرض القرارات بالقوة أحياناً ، وبالتلويح بالمناصب الدينية أحياناً أخرى .

ونستطيع أن نخلص من ذلك إلى أنه من الثابت تاريخياً أنه كانت هنالك هيمنة رومانية على الحبشة واليمن . وكان كبار رجال الدين المسيحى فى الحبشة وفى اليمن يقاسمون حاكم الحبشة أو حاكم اليمن النفوذ فى إدارة شئون الحبشة أو اليمن .

ومن الثابت تاريخياً يا صاحبى أن نبى الإسلام محمد ﷺ كان قد أشار على بعض أتباعه الذين دخلوا فى الإسلام وتعرضوا للتعذيب وللاضطهاد فى مكة أن يهاجروا إلى الحبشة إذ أن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وكان النجاشى حاكم الحبشة هو المقصود بذلك .

ويبدو أن النجاشى قد اطلع على تعاليم الإسلام . ومن الثابت تاريخياً يا صاحبى أنه قد جرت مناظرة بين عمرو بن العاص قبل أن يدخل فى الإسلام وبين جعفر بن أبى طالب أمام النجاشى ، وبسط عمرو بن العاص دواعى وأسباب طلبه إرجاع المسلمين المهاجرين إلى الحبشة إلى ذويهم فى مكة ، وبسط جعفر بن أبى طالب دواعى وأسباب هجرتهم إلى الحبشة ، كما بسط مبادئ الإسلام وطلب استمرار بقاء المهاجرين المسلمين فى كنف وعدل النجاشى . وإذ كان موقف عمرو بن العاص ضعيفاً فقد طلب من النجاشى أن يسأل عن موقف المسلمين من المسيح .

عجيب يا صاحبى شأن ذلك الجدل الفكرى بين دين ودين ! ماذا كانت أهداف عمرو بن العاص والوثنيين فى مكة من إرجاع المهاجرين المسلمين من الحبشة إلى مكة ؟ هل كانوا يخشون انتشار الإسلام فى الحبشة ، وكانوا يخشون انتشار الإسلام فى أقطار أخرى غير الحبشة ، بحيث يجدون أن الإسلام يحاصر وثنيتهم فى مكة فى كل الأقطار المحيطة بها ، فلا تنشط لهم تجارة ، ولا يقر لهم قرار فى مكة ؟ ربما كانت مطامع الدنيا هى مآربهم فى ذلك ، وربما كانت لهم مآرب أخرى .

ومن الثابت تاريخياً يا صاحبى أن المسيحيين بعد تحوُّل امبراطور الرومان إلى المسيحية ، وبالرغم من ذلك لم يكفوا عن مناوأة النفوذ الرومانى عموماً ، والمذهب الملكانى الرومانى فى المسيحية خصوصاً .

كان الامبراطور الرومانى يعقد المجامع الدينية المسيحية تحت إشرافه ، وبلغت أهميتها حداً جعله يحضرها بنفسه وهو يأمل أن يخرج بقرارات بشأن العقائد المسيحية يتم له

تعميمها ولو بقوة السلاح فى كل أنحاء الامبراطورية الرومانية ، فتستقر الأمور ، وتستتب الأحوال فى أنحاء الامبراطورية .

ولكن هيهات هيهات . كان كبار رجال الدين المسيحى فى الشام وفلسطين ومصر يرفضون قرارات المجامع الكنسية التى كان يعقدها امبراطور الرومان تحت إشرافه . ومن هنا ظهرت المذاهب المسيحية الرئيسية المتعددة المتعارضة : الملكانية واليعقوبية والأرثوذكسية وغيرها ، وحملت الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر لواء المعارضة لقرارات الكنيسة الرومانية التى تطورت لتصبح هى الكنيسة الكاثوليكية . ووصل الأمر إلى حد أن كبار القساوسة فى مصر كانوا يشاركون حكام الأقاليم الرومان فى مصر النفوذ والسيطرة بالاتفاق أو بالمناوأة التى وصلت إلى حد أن القساوسة فى الإسكندرية اعترضوا مركبة الفيلسوفة الهلنستية الشهيرة (هباسيا) إذ هاجموها بحشد من رهبان وادى النطرون ، وأنزلوها من المركبة ومزقوا جسمها أشلاء باعتبارها وثنية وليست مسيحية . وبنفس الطريقة هاجم الرهبان المسيحيون عربة الحاكم الرومانى لمدينة الإسكندرية نفسه ، وكاد يلقى مصير (هباسيا) ، ولم يفلت إلا بصعوبة من المصير الذى لقيته .

وعندما أظهر حاكم الحبشة النجاشى تعاطفاً واضحاً مع المهاجرين المسلمين ، لم يرضَ عن ذلك المراقبون لتصرفاته من رجال الدين المسيحى بالحبشة ، وأبلغوا امبراطور الرومان عن تعاطف النجاشى مع العرب المسلمين المهاجرين عنده .

وحتى ظهور الإسلام كانت هناك فرق ومذاهب مسيحية لم تبتعد عن حقيقة تعاليم المسيح . ولم ترتض كل الفرق المسيحية قرارات المجامع الكنسية التى كان يستصدرها امبراطور الرومان ، وربما كان النجاشى ملك الحبشة واحداً من أولئك المسيحيين الذين لم يبتعدوا عن حقيقة تعاليم المسيح ، وكان ذلك هو السبب الرئيسى فى تدبير انقلاب ضد النجاشى وانتزاع حكم الحبشة عنوة من بين يديه .

كان ذلك هو الجو العام السياسى والدينى الذى كان يحيط بمناظرة النبى ﷺ مع وفد نصارى نجران . ومن المعروف أنه فى العام السادس الهجرى الموافق للعام ٦٢٨ هـ ، كان نبى الإسلام ﷺ قد أرسل برسالة إلى هرقل امبراطور الروم ، وتسلم هرقل رسالة نبى الإسلام عليه السلام أثناء قيامه بالحج إلى بيت المقدس ، إذ كان قد نذر أن يحج إليه ماشياً على قدميه إن انتصر على الفرس واسترد منهم الصليب الأعظم المقدس لدى النصارى والرومان .

وكان نص رسالة نبى الإسلام إلى هرقل كما يلى : « بسم الله الرحمن الرحيم ..

من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد .. أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرّتين ، وإن تتولّ فإن عليك إثم الأكارين » والأكارون هم الفلاحون ، وكان الفلاحون يشكلون غالبية رعايا وسكان الامبراطورية الرومانية ، إذ كان العاملون بالتجارة والصناعة قلة آنذاك ، وكان الفلاحون مغلوبين على أمرهم تماماً لا يكادون يعرفون إلا الكد والإرهاق فى مزاولة أعمال الزراعة وحصد المحاصيل ، ليأكل المترفون فى جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية .

وكان جواب هرقل امبراطور الرومان لحامل رسالة رسول الإسلام ﷺ رداً مهذباً ، إذ استمهله فى الرد لدراسة الأمر .

ووصل ردُّ امبراطور الرومان هرقل على رسالة نبى الإسلام ﷺ التى سبقت الإشارة إليها بعد أربع سنوات فى العام العاشر الهجرى ، على شكل وفد نصارى نجران .

خلال هذه السنوات الأربع كان الإسلام قد استقر فى شبه الجزيرة العربية إلى حد كبير ، وتم فتح مكة فى العام الثامن للهجرة عام ٦٣٠م وازداد الإسلام انتشاراً بطريقة بدأت تلفت نظر الدولتين الكبيرتين آنذاك : دولة الفرس ودولة الروم ، وكانت دولة الرومان أشد التفاتاً وأكثر اهتماماً بظهور وسرعة انتشار هذا الدين الجديد ، دين التوحيد ، وهو دين الإسلام .

وبدأ الاحتكاك العسكرى بين المسلمين والرومان فى غزوة تبوك فى شهر رجب من العام التاسع للهجرة الموافق لشهر أكتوبر عام ٦٣٠م . وتقع (تبوك) هذه بين وادى القرى والشام . ودخل رسول الله ﷺ (تبوك) فى ثلاثين ألف من المسلمين ، وكان عدد الخيل فى هذه الغزوة عشرة آلاف ، ويقال : إن امبراطور الرومان هرقل كان موجوداً بمدينة حمص بالشام عندما سار نبى الإسلام ﷺ إلى (تبوك) .

ولم يعد من الممكن إهمال رسالة الإسلام . ولا بد أن امبراطور الرومان قد اهتم بشأن هذا الدين الجديد ، دين الإسلام . ماذا عساه أن يكون هذا الدين الجديد ؟ وما حقيقة شأن هذا النبى المرسل ؟ هل هو نبى مرسل يوحَى إليه من الله فعلاً ؟ هل دين الإسلام أفضل أم المسيحية التى يدين بها امبراطور الرومان ، ويدين بها معظم رعيته ؟

ومن الغريب حقاً أن نبى الإسلام نبى أمىٌّ لا يقرأ ولا يكتب ، وكان امبراطور الرومان يهيمن على نصارى اليمن ، ويتكلم نصارى اليمن اللغة العربية ، وكنيسة اليمن يشرف عليها نخبة ممتازة من كبار قساوسة المسيحية الذين يتحدثون اللغة العربية كتابة وقراءة ومحادثة ، ولديهم إلمام دقيق بتفاصيل تاريخ المسيح عليه السلام ، ولديهم إلمام بتفاصيل

تطورات المسيحية ، ولديهم إلمام دقيق بالمنطق الأرسطى وبأساليب الجدل والسفسطة . وكان ذلك كله يغرى بخطة ذكية تقتلع هذا الدين الإسلامى الوليد من جذوره فى منابتها ، فيما خطط كرادلة وكبار قساوسة المسيحية الذين كانوا يحيطون بالامبراطور الرومانى هرقل آنذاك ، وربما أغنت غزوة فكرية أيديولوچية ناجحة عن حرب عسكرية دموية مظفرة .

وصدرت الأوامر البيزنطية إلى كبار قساوسة نجران أن يشكلوا وفداً من أكثر القساوسة علماً وحنكة ودراية وسياسة وكياسة يمضى قدماً إلى المدينة المنورة ، حيث يقيم نبى الإسلام لمناقشته فى شأن دينه ، وإفحامه وإقناعه أمام أتباعه أن المسيحية هى أفضل الأديان ، وذلك بمناظرته والحوار معه علناً أمام أتباعه . وماذا عسى ذلك النبى الأمى أن يعرف عن المسيح وعن دين المسيح ؟ وماذا عساه أن يعرف من شئون دينه الجديد ، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ؟ وماذا عساه أن يعرف من قواعد وأصول الفلسفة والمنطق والجدل والسفسطة ، ووفد نصارى نجران يجيد ذلك كله ؟!

وتحدثنا كتب التفسير ، وتحدثنا كتب أسباب النزول ، وتحدثنا كتب السيرة النبوية الشريفة يا صاحبى عن مناظرة النبى ﷺ مع فد نصارى نجران فى العام العاشر الهجرى ، ويجمع علماء أسباب النزول على أن عشرات الآيات القرآنية الكريمة فى صدر سورة آل عمران إنما نزلت فى وفد نصارى نجران الذى جاء إلى مدينة رسول الله ﷺ فى العام العاشر الهجرى وكانت عدّته ستين راكباً يرتدون أفخر الثياب ويمتطون أفضل الجياد لمجادلة نبى الإسلام فى مضمون دين الإسلام ، ولإفحامه فى عقر داره بين أتباعه .

وأمر نبىُّ الإسلام بإنزال أعضاء وفد نصارى نجران بأكرم مكان فى المدينة ألا وهو مسجد الرسول ﷺ ، وأمر بإكرام وفادتهم ، وكانوا يصلون صلواتهم الخاصة بهم فى مسجد الرسول متجهين بوجوههم نحو بيت المقدس ، وأراد بعض المسلمين منعهم من ذلك فقال نبى الإسلامﷺ لهم : اتركوهم .

ومكث أعضاء وفد نصارى نجران بمسجد الرسول ﷺ بضعة أيام . وأنزل الله سبحانه وتعالى على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ أكثر من ستين آية قرآنية كريمة فى صدر سورة آل عمران أخبر فيها الله رسوله محمداً ﷺ بأدق تفاصيل حياة سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام وأمه العذراء مريم ، وأبيها عمران ، وزوج خالتها زكريا ، وابن خالتها يحيى ، عليهم جميعاً السلام ، إلى حد إخبار الله رسوله الصادق الأمين ﷺ عمّا كان يدور بخاطر أم العذراء مريم، وما كان يدور بخاطر زوج خالتها زكريا عليه السلام

من خواطر نفسية مثل دعاء سيدنا زكريا أن يهبه الله غلاماً يرثه ويرث علمه ويرث كل تراث آل عمران ، وكان ذلك عندما رأى امرأة عمران وقد رزقها الله بمريم بعد أن كان قد تقدم بها العمر ، ورأى اللهَ يرزق مريم وهى فى المحراب بالفواكه فى غير أوانها ، وعندئذ دعا زكريا ربّه أن يرزقه غلاماً . وأحاط الله سبحانه وتعالى رسوله الصادق الأمين محمداً ﷺ بكل أخبار سيدنا عيسى عليه السلام ، وبكل أخبار آل عمران ، وبكل المعلومات المتعلقة بحقيقة سيدنا عيسى عليه السلام وبحقيقة دعوته إلى قومه .

وأُسقط فى أيدى أعضاء وفد نصارى نجران !! النبى الأمىُّ يعرف كل شىء عن المسيح وعن أم المسيح ، وعن حقيقة شأن المسيح ، وعن حقيقة ما كان يدعو إليه المسيح ، وكانوا يحسبونه لا يعرف من ذلك شيئاً . إنه نبى صادق النبوة !!

كيف السبيل إلى المناظرة مع نبى الإسلام محمد ﷺ وآيات نبوّته قد أصبحت بادية للعيان لدى أعضاء وفد نصارى نجران ؟

وبدأت مناظرة أعضاء وفد نصارى نجران مع نبى الإسلام ﷺ . ويبدو أنهم قد أسهبوا فى القول بألوهية المسيح ، وأنه قد صلب ومات على الصليب ليفدى البشرية بدمه ، وأنه قام من بين الأموات ، وأنه رفع إلى السماء وأنه حى فى السماء ، إلى آخر معتقداتهم (١) بشأن المسيح عليه السلام .

ويبدو أيضاً أنهم لم يجدوا بينهم شخصاً يستطيع أن يواجه نبى الإسلام ﷺ فى المناظرة . كانوا كلما طلبوا من أحدهم أن يقوم بمناظرة النبى ﷺ يقول لهم : ولماذا أنا ؟ ليكن شخص غيرى ، ويبدو أنهم فى النهاية استأذنوا النبى عليه السلام فى أن يقوم بمناظرته شخصان لا شخص واحد ، وأذن لهم النبى ﷺ فى ذلك تقديراً منه لاستحالة أن يقوى رجل واحد منهم على مواجهته فى المناظرة .

قال صاحبى : ما دليلك على ذلك ؟

قلت : دليلى على ذلك أن النبى ﷺ استهلّ كلامه فى المناظرة بقوله : « أسْلما » ، وهو بذلك كان يخاطب شخصين هما اللذان انبريا لمناظرته ، إذ ليس من المعقول أن يتكلم جميع أعضاء وفد نصارى نجران الستين فى مناظرة مع النبى ﷺ . وقد جرى العرف فى المناظرات على أن تكون بين شخص واحد وشخص آخر بمفرده . ومن الضرورى إذن يا صاحبى أن النبى ﷺ كان يخاطب شخصين ولم يكن يخاطب شخصاً

(١) لم يورد المؤرخون المسلمون ما ذكره أعضاء وفد نصارى نجران من مزاعم عقيدتهم ، ربما إهمالاً لشأنها من جانبهم واكتفوا بما قاله النبى عليه السلام لهم .

واحداً أثناء هذه المناظرة ، وكان المسلمون بالمسجد ، وباقى أعضاء وفد نصارى نجران ، يشاهدون ويسمعون .

قال صاحبى : الدليل واضح حاسم ، والاستنتاج صحيح تماماً . كان النبى ﷺ يناظر شخصين من وفد نصارى نجران ، ولم يكن يخاطب شخصاً واحداً ، كيف جرت هذه المناظرة الهامة الحاسمة ؟

قلت : استهل النبى ﷺ كلامه في مناظرة وفد نصارى نجران بقوله للقسّين اللذين انبريا لمناظرته بقوله : « أسلما » ، قالا : أسلمنا قبلك ، قال لهما ﷺ : « كذبتما ، منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير » ، قالا : إن لم يكن عيسى ولَدَ الله فمن أبوه ؟ قال ﷺ : « ألستم تعلمون أنه لا يكون ولدٌ إلا ويشبه أباه ؟ » قالوا : بلى ، قال ﷺ : « ألستم تعلمون أن ربنا حى لا يموت وأن عيسى أتى عليه الفناء ؟ » قالوا : بلى ، قال ﷺ : « ألستم تعلمون أن ربنا قيّم على كل شيء يحفظه ويرزقه ؟ » قالوا : بلى ، قال ﷺ : « فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً ؟ » قالوا : لا ، قال ﷺ : « ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ، ثم غذّى كما يغذّى الصبية ثم كان يطعم ويحدث ؟ [1] » قالوا : بلى ، قال ﷺ : « كيف يكون هذا كما زعمتم ؟ »

ولم يجد وفد نصارى نجران عند ذلك جواباً . ودعاهم النبى ﷺ أيضاً إلى المباهلة ، أى أن يفوّض كلٌّ من طرفى المناظرة مسألة الألوهية فى الإسلام والمسيحية إلى الله ، ويفوّض كل من طرفى المناظرة مسألة حقيقة دعوة المسيح ومسألة نهاية شأن المسيح مع قومه إلى الله بحيث تكون لعنة الله على الكاذبين . وطلب أعضاء وفد نصارى نجران مهلة من الوقت للتشاور والاتفاق على رأى واحد .

وبشأن اقتراح نبى الإسلام المباهلة مع وفد نصارى نجران نزل قول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم :

﴿ إنَّ مَثَلَ عيسى عند اللهِ كمثَلِ آدمَ خلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قال له كُنْ فيكونُ * الحقُّ من ربِّك فلا تكُن مِنَ المُمْتَرِينَ * فمَنْ حَاجَّكَ فيه من بعدِ ما جاءَكَ مِنَ العلْمِ فقُلْ تعالَوْا نَدْعُ أبْناءَنا وأبْناءَكُم ونِساءَنا ونِساءَكُم وأنفُسَنا وأنفُسَكُمْ ثُمَّ نبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ على

(١) يُحدث بضم الياء وتسكين الحاء وكسر الدال : يُخرج فضلات الطعام والشراب ، وهو ما يستحيل حصوله من إله بداهة .

الكاذبين * إنَّ هذا لَهُوَ القَصَصُ الحقُّ وما مِن إلهٍ إلاَّ اللهُ وإنَّ اللهَ لَهُوَ العَزيزُ الحكيمُ ﴾ .
(آل عمران : ٥٩ ـ ٦٣)

وللإيجاز يا صاحبى دعنى أَقُلْ لك إن أعضاء وفـد نصارى نجـران رفضوا المباهلة ، إذ كان فيهم من يعرف عاقبتها من هلاك محقق لمن يرفض الحق ويكفره . وطلب أعضاء وفد نصارى نجران أن يصطحبوا معهم إلى نجران رجلاً من المسلمين يزيدهم إيضاحاً لحقائق الإسلام ، وهى لفتة بارعة ماكرة تجعلهم يظهرون بمظهر من ينقصهم المعلومات اللازمة لكى يصلوا إلى قرار فى مسألة خطيرة ، فيكون ذلك هو السبب فى عدم إعلان قرارهم الدخول فى الإسلام أو الرجوع من مدينة الرسول ﷺ وهم على دينهم . وأرسل معهم نبى الإسلام أبا عبيدة بن الجراح . وهكذا كان انسحابهم من المناظرة انسحاباً منظماً .

وتبقى المناظرة بوقائعها وتفاصيل ما قاله النبى ﷺ فيها مفعمة بالمعانى والدلالات القوية الحاسمة .

ألم يقل النبى ﷺ لأعضاء وفد نصارى نجران بالحرف الواحد : « ألستم تعلمون أن ربنا حى لا يموت وأن عيسى أتى عليه الفناء ؟ » قالوا : بلى .

أليس هذا دليلاً حاسماً ـ يا صاحبى ـ من « حديث النبى ﷺ » يؤكد أن سيدنا عيسى قد أتى عليه الفناء ؟ إن هذا الحديث النبوى الشريف يا صاحبى يؤكد أن سيدنا عيسى عليه السلام قد مات . توفاه الله قبل مجىء نبى الإسلام ﷺ بزمان لا يعلم مقداره إلا الله . أيقول نبى الإسلام ﷺ إن سيدنا عيسى قد أتى عليه الفناء ثم يجوز ويصح أن يقول مسلم واحد إنه لا يزال حياً فى السماء ؟

ولقد برهن نبى الإسلام ﷺ فى حوار بسيط صريح واضح أيضاً على عدم ألوهية سيدنا عيسى عليه السلام عندما ذكر لوفد نصارى نجران أن سيدنا عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ، ووضعته كما تضع المرأة ولدها ، ثم غُذِّى كما يُغذَّى الصبية ، ثم كان يَطْعم ويحدث . وسألهم نبى الإسلام ﷺ : « فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ » أى : كيف يكون عيسى عليه السلام إلهاً كما زعمتم أيها النصارى النجرانيون ؟ ولم يجب أحد من أعضاء وفد نصارى نجران ، ولم ينكر أحد من الوفد شيئاً مما ذكره نبى الإسلام ﷺ عن سيدنا عيسى عليه السلام . ولم يسأل أحد من أعضاء الوفد النبى ﷺ عمَّا إذا كان سيدنا عيسى حياً فى السماء الآن كما يفعل المناورون الخبثاء من خصوم الإسلام اليوم .

وعلى كل حال لقد قرر النبى ﷺ فى موضع سابق من مناظرته مع وفد نصارى نجران أن سيدنا عيسى قد أتى عليه الفناء . وهذا يدل دلالة صريحة قاطعة على وفاة سيدنا عيسى فى وقت لا يعلمه إلا الله ، بعد أن استوفاه الله أجله . لم يقتله أحد ولم يصلبه أحد ، بمعنى أنه لم يسبب له أحد الوفاة على الصليب ، ورفعه الله إليه بتطهيره مما اتهمه به أعداؤه اليهود ، وبتطهيره مما نسبه إليه من زيفوا ديناً باسم المسيح أسموه المسيحية ، ونسبوا إلى المسيح الألوهية ، طهّره الله من هذه الاتهامات الزائفة التى لا تمتُّ إلى الحقيقة بأى صلة فيما أخبرنا الله فى القرآن الكريم ، وفيما صحّ من أحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين كما سبق أن أشرنا وأوضحنا .

وسيقول سيدنا عيسى يوم القيامة أمام كل الناس كما أخبرنا الله فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ ما قُلْتُ لهُم إلاَّ ما أمرتَنى به أنِ اعْبُدوا اللهَ ربِّى وربَّكم وكنتُ عليهم شَهيداً ما دمتُ فيهم فلمَّا توفَّيْتَنى كنتَ أنتَ الرَّقيبَ عليهم وأنتَ على كلِّ شئٍ شَهيدٌ ﴾ .

(المائدة : ١١٧)

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ما المسيحُ ابنُ مريمَ إلاَّ رَسولٌ قدْ خلَتْ مِن قبْله الرُّسُلُ وأُمُّه صدِّيقةٌ كانا يأكُلانِ الطَّعامَ انظُرْ كيفَ نُبيِّنُ لهُمُ الآياتِ ثُمَّ انظُرْ أنَّى يُوفَكُونَ ﴾ .

(المائدة : ٧٥)

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وقَوْلِهِم إنَّا قَتَلْنا المسيحَ عيسَى ابنَ مريمَ رسُولَ اللهِ وما قَتَلُوهُ وما صلَبُوهُ ولكن شُبِّهَ لهُم وإنَّ الَّذين اختَلفُوا فيه لَفى شكٍّ منهُ ما لهُم به مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتِّباعَ الظنِّ وما قتَلُوهُ يقيناً * بل رَفعهُ اللهُ إليه وكان اللهُ عزيزاً حكيماً ﴾ .

(النساء : ١٥٧ ، ١٥٨)

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إذْ قالَ اللهُ يا عيسى إنِّى مُتوفِّيكَ ورَافعُكَ إلىَّ ومُطهِّرُكَ مِنَ الَّذينَ كَفرُوا وجَاعِلُ الَّذين اتَّبعُوكَ فوق الَّذين كفَرُوا إلى يوم القيامةِ ثُمَّ إلىَّ مَرْجِعُكُم فأحكُمُ بينكُم فيما كُنتُم فيه تَختلفُونَ ﴾ . (آل عمران : ٥٥)

ولقد توفى الله رسوله عيسى عليه السلام بصريح القرآن الكريم كما ترى يا صاحبى ورفعه إليه وطهره من الذين كفروا بنفيِ اتهامات وادعاءات اليهود والنصارى بشأنه فى القرآن الكريم . ومن الخطأ الجسيم أن يعجّل أحد بالرفع ويعتبره قد تمّ فى الماضى وأن يؤجّل الوفاة ويعتبرها حدثاً سيقع فى المستقبل . تحققت هذه الأمور الثلاثة كلها فى

الماضي : وفاة عيسى ، ورفعة شأنه ، وتطهيره من التهم التي كانت توجه إليه . بل إن قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إنِّي متوفِّيك ورافعُك إليَّ ومُطهِّرك من الذين كفروا** ﴾ يجعل الرفع رفع منزلة ومكانة دون ريب ، إذ إن ورود لفظة ﴿ **ومُطهِّرك** ﴾ مباشرة بعد لفظة ﴿ **ورافعُك** ﴾ يفيد ويعني ويدل على كيفية الرفع ووسيلته وكيفية تحققه ، وذلك أن الرفع إنما هو بالتطهير من اتهامات أعدائه ، ولقد كانت اتهامات أعدائه موغلة في الفحش ، وموغلة في الكفر ، فأيُّ رِفْعة تلك التي رفعها الله للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام إذ أظهر الله حقيقته ، وحقيقة دعوته إلى الناس ، وحقيقة نهاية شأنه مع قومه ، وحقيقة أنه نبي من المرسلين .

لا ينبغي يا صاحبي الانصراف عن التدبر في معاني كلام الله لنعرف ما إذا كان الكلام على سبيل الحقيقة أم أنه على سبيل المجاز ، وهو أمر ممكن وسهل وميسور بالنسبة لكلام الله ، إذ وهبنا الله سبحانه وتعالى العقل الذي يمكننا به من التمييز بين الحقيقة والمجاز . إن الخلط بين الحقيقة والمجاز عن عمد وقصد أو بغير عمد وقصد قد أفضى بأمم قبلنا إلى الزيغ عن العقيدة السليمة التي يرتضيها الله . ولا ينبغي أن نخلط بين الحقيقة والمجاز في الكلام أبداً .

كيف يكون الرفع رفعاً لسيدنا عيسى بالروح والجسد حياً عند الله ؟ ما هذه الزيادات والإضافات التي يضيفها من يقول هـذا القول إلى كلام الله . إنهم يُحمِّلون كلام الله ما لا يحتمل .

في ذات الآية الكريمة يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وجاعل الَّذين اتَّبعُوكَ فوق الَّذين كفرُوا إلى يوم القيامة** ﴾ ما معنى الفوقية هنا يا صاحبي ؟ هل يجوز أن يفهم أحد أن الذين اتبعوا المسيح نستطيع أن نجدهم وأن نراهم « فوق » والذين كفروا « تحت » بالمعنى الحسيِّ للفوقية والتحتية كما نستخدم هذين الظرفين من ظروف المكان بشأن المحسوسات عندما نقول مثلاً : الكتب « فوق » المنضدة والكرسي « تحت » الحقيبة ؟

وما هو معني قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ومَن يَخرُجْ من بيته مُهاجراً إلى الله ورسُوله ثُمَّ يُدْرِكْهُ الموتُ فقد وقَعَ أجرُه على الله وكان الله غفُوراً رحيماً** ﴾ . (النساء : ١٠٠)

وما هو معنى قول الله سبحانه وتعالى بشأن سيدنا إبراهيم : ﴿ **فأرادُوا به كَيْداً فَجعلْناهُم الأسفَلينَ * وقال إنِّي ذاهبٌ إلى ربِّي سيَهْدِينِ** ﴾ . (الصافات : ٩٨ ، ٩٩)

هل كان أعداء سيدنا إبراهيم عليه السلام أسفل وكان سيدنا إبراهيم أعلى بالمعنى الحسي المكاني ؟ وعندما قال سيدنا إبراهيم : ﴿ **وقال إنِّي ذَاهبٌ إلى ربِّي** ﴾ هل يستطيع

أحد أن يزعم بحق أن سيدنا إبراهيم قد مشى فى « طريق » بالمعنى الحسى الجغرافى للطرق ليذهب إلى ربه ؟ كلا يا صاحبى . الرفع رفع منزلة ومكانة وذهاب سيدنا إبراهيم إلى ربه هو لجوء سيدنا إبراهيم إلى كنف ربه وعنايته وهدايته وحمايته ، وهجره لضلالات أعدائه الكافرين بدعوته إلى الله سبحانه وتعالى .

ولا يجوز أبداً يا صاحبى أن يصرف أحد النظر عن قول نبى الإسلام ﷺ لوفد نصارى نجران : « ألستم تعلمون أن ربنا حى لا يموت وأن عيسى قد أتى عليه الفناء ؟ » قالوا : بلى . متى قال نبى الإسلام عليه السلام لأعضاء وفد نصارى نجران إن سيدنا عيسى قد أتى عليه الفناء ؟

قال صاحبى : لقد ذكرتَ أن ذلك كان فى العام العاشر الهجرى .

قلت : نعم يا صاحبى .. قال نبى الإسلام ﷺ لوفد نصارى نجران : إن سيدنا عيسى عليه السلام قد أتى عليه الفناء فى العام العاشر الهجرى . وتعلم يا صاحبى أن نبى الإسلام قد توفاه الله وانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ ، الموافق ٧ يونيو سنة ٦٣٢م ، أى أن مناظرة النبى لوفد نصارى نجران وقعت قبل عام واحد من وفاة نبى الإسلام ﷺ . والسؤال هو : لماذا لم يذكر أحد من وفد نصارى نجران أو غيرهم بين يدى نبى الإسلام ﷺ أن المسيح حى بجسمه وروحه فى السماء آنذاك أو أنه سينزل آخر الزمان ؟ ولماذا لم يسأل أحد أعضاء وفد نصارى نجران نبى الإسلام وقد نفى النبى ألوهية المسيح بدليل أن المسيح كان يطعم ويحدث ، فلماذا لم يسأله أحدهم كيف يطعم المسيح ويحدث وهو فى السماء ؟

قال صاحبى : حقاً لماذا لم يثر أحد أعضاء وفد نصارى نجران هذا السؤال الخطير عن كيفية أكل سيدنا عيسى الطعام وإخراجه فضلات الطعام ، وقد اعتمد نبى الإسلام فى نفى ادعائهم ألوهية المسيح على هذا الدليل ؟ ولو كان أحدهم قد سأله هذا السؤال لانهارت حجة نبى الإسلام فى نفى ادعائهم ألوهية عيسى .

قلت : السبب فى ذلك يا صاحبى هو أن الزعم بأن المسيح حى بجسمه وروحه فى السماء حتى وقت المناظرة المشار إليها لم يكن موجوداً ، ولم يكن أحد من المسلمين ينادى به على وجه الإطلاق ، وكان ذلك هو الحال فى العام العاشر الهجرى . ولقد ذكر نبى الإسلام لأعضاء وفد نصارى نجران أن سيدنا عيسى عليه السلام أتى عليه الفناء ، فتقررت بذلك وفاة عيسى قبل مجىء نبى الإسلام . وحتى ذلك الحين لم يكن اليهود ولم يكن النصارى قد دسوا أفكاراً مثل إلقاء شبه سيدنا عيسى على شخص آخر ،

ولم يكن اليهود ولا النصارى قد دسوا على أحد من المفسرين أن سيدنا عيسى قد رفعه الله إلى السماء حياً بجسمه وروحه ، ولم يكن اليهود ولا النصارى قد ألّفوا الأحـاديث الموضوعة المدسوسة بشأن نزول عيسى عليه السلام آخـر الزمان ، ولم يكونوا قد نسبوا هذه الأحاديث الغريبة المحتوى عن نزول عيسى ، وعن أنه حى فى السماء زوراً إلى نبى الإسلام ﷺ .

قال صاحبى : مهلاً مهلاً . قف هاهنا . أنت تقول إن جمهور المفسرين الإسلاميين قد أخطأوا ، وتجيز لنفسك تفسير القرآن الكريم وفقاً لرأيك أنت ، وتنكر الأحاديث النبوية الشريفة عن نزول عيسى عليه السلام وهى موجودة فى صحيح البخارى فى باب نزول عيسى ، والتشكيك فى تفسير المفسرين الإسلاميين الكبار وهم يحظون باحترام المسلمين ويحظون بقبولهم لما جاء فى تفسيرهم لكلام الله فى القرآن الكريم ، وكذلك التشكيك فى السنة الشريفة وأحاديث النبى ﷺ الواردة فى صحيح البخارى يفتح باب الشك فى تفسير المفسرين وصحيح ما أقر بصحته علماء الحديث . وتجىء أنت لتخطّئ تفسير كبار المفسرين ، وتشكك وتضعف أحاديث نبوية شريفة عن نزول سيدنا عيسى آخر الزمان ؟

قلت : مهلاً مهلاً يا صاحبى . قف هاهنا .

أولاً : لقد اتفقنا أن يكون حوارنا بالأدب فى الحوار ، ولست مضطراً على الإطلاق يا صاحبى للاستمرار فى الحوار ما لم يكن الأدب متوفراً .

قال صاحبى : وهل أسأت الأدب فى الحوار حتى الآن ؟ إننى أقـول لك مـا يعنيـه كلامك فى حوارنا الذى استدرجتك إليه .

قلت : إنك يا صاحبى قد أسأت الأدب فى كـلامك معى على هذا النحو ، وهذا إخلال جسيم بشرط أساسى لاستمرار الحوار بيننا . وأنت لم تستدرجنى إلى قول ما لم أكن أريد قوله . وأنت لم تستدرجنى إلى قـول مـا لا يصح ولا يليق . وسأوضح لك ذلك حالاً ، ولكن يستحيل يا صاحبى أن نقول كل شىء فى لحظة واحدة أو فى جملة واحدة ، وأنا أحب النظام فى الكلام والأدب فى الحوار والصراحة والوضوح وأحرص على ذلك كله . لقد خلدت وبقيت على وجه الزمان محاورات سقراط كما سجّلها تلميذه أفلاطون لأنها كانت تتم فى إطار من الأدب والصراحة والرغبة فى الوصول إلى الحقيقة . ولقد نجحت إلى حد كبير مناظرات الشيخ أحمد ديدات مع كبار قساوسة المسيحية لأنها تمت فى إطار من الأدب وفى ظل نظام حضارى راق سليم . لقد قلت

بطريقة غير مؤدبة جملة أشياء ، أو فلنسمّها جملة اتهامات خطيرة ، تتعلق بتفسير المفسرين الإسلاميين ، وبحديث علماء الحديث المسلمين . ومن حقى يا صاحبى تفنيد اتهاماتك المتعددة الواحد منها بعد الآخر . ويستحيل أن يتم ذلك دفعة واحدة . ومن الأدب يا صاحبى أن تتيح لى الفرصة للرد على اتهاماتك الباطلة دون أن تقاطعنى ودون أن تتكرر منك إساءة أدب فى الحوار .

قال صاحبى : أكرر أننى لم أقصد إساءة أدبى فى الحوار .

قلت : أنت إذن لا تدرى ما إذا كنت قد أسأت أدبك أو لم تسئ . عندما تقول لى : قال جمهرة المفسرين ، وقال المحدثون وتجيء أنت لتقول ، يحمل كلامك هذا على هذا النحو استخفافاً بشأنى من جهة ، ويحمل كلامك على هذا النحو إساءة فهمى واتهامى بما لا يصح لأحد أن يتهمنى به .

أما من ناحية إساءة الأدب فى قولك لى : قال جمهرة المفسرين وقال المحدثون ثم تجيء أنت وتقول ، فلا ريب أنه استخفاف واضح بشخصى وبإمكاناتى وبكرامتى . وأنا لم أستخفَّ يا صاحبى بشخصك ولا بإمكاناتك ولا بكرامتك ، وليس من حقك ، وليس من أدب الحوار أن يصدر منك ذلك . وأنت تسألنى ، وأنا أجتهد فى أن أجيب عن أسئلتك ولا أبخل عليك بما أعرف قَدْرَ استطاعتى ، ثم تأتى فى النهاية لتقول لى كما قال شاعر يهجو شاعراً آخر :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنَّك مِنْ نُميْرٍ فـلا كَعْبـاً بَلَغْتَ ولا كِلابا

هذا استخفاف بشأن الآخرين ، وهو آفة من آفات طريقتنا فى الحـوار وداء من الأدواء التى تعصف بإمكانات التفاهم بيننا بوجه عام . تَعلَّم الأجانب أن يحترم الواحد منهم الآخر ويستخف على الدوام الواحد منا بالآخر للأسف الشديد .

إننى لا أحب الغرور وأتجنبه ، وأحرص دائماً يا صاحبى على التمسك بكل أهداب التواضع ، وذلك على الرغم من أن لى أكثر من عشرين كتاباً مطبوعاً ومنشوراً وهى من أكثر الكتب رواجاً ، وتحت الطبع يا سيدى أكثر من خمسة عشر كتاباً . ولكننى أعتبرِ أننى لم أُوتَ من العلم إلا قليـلاً . وماذا عساها بالفعـل أن تكـون كتبى التى قمـت بتأليفـها أو ترجمتها بالمقارنة إلى الكتب والمجلدات التى قام غيرى بتأليفها فى سائر العلوم والآداب ؟

أحبُّ التواضع ولكننى لا أفرط أبـداً فى الاحتفاظ بكـرامتى بفضل الله وتوفيقه ،

ولا أفرط أبداً فى ثقتى بنفسى ما دام قلبى عامراً بتقوى الله وبالحرص على دينى وإسلامى . والإسلام هو أكبر نعمة فى الوجود يا صاحبى .

ثانياً : ماذا قلته لك يا صاحبى لو شئنا أن نوجزه فى النهاية ولو أردنا أن نخلص إلى خلاصته ؟ موضوعنا أصلاً هو مسألة صلب المسيح ، وهل مات المسيح على الصليب ؟ وهو موضوع المناظرة . ولقد قلت لك يا صاحبى إن ما أخبرنا به الله بهذا الشأن فى القرآن الكريم فى الآية الكريمة رقم ١٥٧ من سورة النساء صحيح تماماً . وقلت لك : علينا فحسب أن نتدبر وأن نفهم كلام الله الفهم الصحيح باعتبار أن الله سبحانه وتعالى يأمرنا بذلك ؛ يأمر الله المسلمين جميعاً بذلك ولم يأمر به كبار المفسرين وحدهم ، إذ يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **أفلا يَتدبَّرونَ القُرآنَ ولو كان مِنْ عندِ غيرِ الله لَوجَدُوا فيه اختِلافاً كثيراً** ﴾ . (النساء : ٨٢)

وقلت لك يا صاحبى إنه يوجد فى هذا الصدد رأيان فى شأن أن المسيح عليه السلام لم يقتل ولم يصلب كما يدّعى ذلك اليهود والنصارى مع اختلاف بينهم فى دواعى القتل والصلب وما تم بعدهما . والرأيان متفقان عند المسلمين فى نفى القتل والصلب ، ومختلفان فحسب فى بيان كيفية نجاة المسيح وإنقاذ الله له من كيد أعدائه .

الرأى الأول يقول : إن الله ألقى شبه المسيح على شخص غيره أخذه أعداء المسيح فقتلوه صلباً . ونجا المسيح . وبقيت أمامهم مشكلة هى إذا كان الله قد ألقى شبه عيسى على غيره ، ونجا سيدنا عيسى مما أراده له أعداؤه فماذا حدث لسيدنا عيسى ؟ وماذا حدث لجسمه ؟ وإزاء ذلك اضطر أصحاب هذا الرأى إلى القول برفع المسيح حياً بجسمه وروحه إلى السماء . ويقول تفسير ابن كثير إنه قد صعد [1] من روزنة فى سقف المنزل الذى كانوا يحاصرونه بداخله . وقلت لك إن هذا هو رأى جمهور المفسرين والمسلمين فى كيفية إنقاذ الله للمسيح مما أراده به أعداؤه . صعدوا به إلى السماء بجسمه وروحه حيّاً .

والرأى الثانى يقول : إن المسيح لم يُقتل ولم يُصلب . ولو تأملنا قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وما صَلَبُوه** ﴾ وجدنا أن نفى الصلب يتحقق ويصح إذا كان أعداء المسيح لم يضعوه أصلاً على الصليب . ويتحقق نفى الصلب أيضاً إذا كان أعداء المسيح قد نجحوا فى أن يضعوه على الصليب وأن المسيح عليه السلام لم يمت على الصليب كما

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ، للإمام الجليل الحافظ ابن كثير : جـ ١ ، ص ٤٩٣ ـ ط : دار القلم ببيروت .

أرادوا وخططوا لأى سبب من الأسباب .

وقلت إن هذا هو ما شُبِّه لهم ، وهذا هو ما اختلفوا فيه ، وهذا هو ما ليس لهم به من علم ، وهذا ما لم يكن لهم به من علم إلا اتِّباع الظن وما قتلوه يقيناً . وبذلك تكون نجاة المسيح عليه السلام من القتل صلباً قد تمت عن طريق هذا الظن الذى ألقاه الله فى روع أعداء المسيح الذين كانوا قد شرعوا فعلاً فى محاولة قتله صلباً ، فأنزلوه بأنفسهم ودفنوه فى مدفن صخرى فوق سطح الأرض . وكانت تلك هى طريقة الله فى نجاة المسيح مما أراده له أعداؤه ، قيَّض الله الأسباب ، وما شاء فعل .

وإذا كنت أفضِّل شخصياً الرأى الثانى فأنا لا أمنعك ولا أمنع غيرك من الأخذ بالرأى الأول لو شئت أنت أو شاء غيرك ، وقلت لك بالحرف الواحد فيما سبق من حوارنا : إننى لا سلطان لى عليك ولا على غيرك لأفرض عليك رأياً دون رأى أو تفسيراً دون تفسير ، وأنت الذى تضطرنى إلى تكرار لا أحبذه ، ولعل فى التكرار إفادة .

وليس من الغرور فى شىء يا صاحبى أن أقول لك إننى أول من اكتشف وجود أكثر من معنى لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وما صلبوه ﴾ وعلى رفوف مكتبتى المتواضعة جميع كتب التفسير الموجزة والمطولة تقريباً ، ولم يشر أحد من المفسرين إلى معنى ثانٍ لقول الله تعالى ﴿ وما صلبوه ﴾ .

صحيح يا صاحبى أن بعض علماء الإسلام قد سبقونى إلى رفض الرأى القائل بأن المسيح قد رفعه الله بجسمه وروحه حياً إلى السماء ، وليس صحيحاً ما اتهمتنى به من أننى الوحيد الذى أرفض هذا الاعتقاد ، وهو ما يتضح من قولك « ثم تأتى أنت ... » .

لا يا صاحبى . لست وحدى . ربما كنت أنا ـ واسمح لى أن أستخدم ضمير المتكلم المفرد هاهنا ـ أول من اجتهد فى تأصيل هذا الرأى اعتماداً على القرآن والسنة النبوية المطهرة الشريفة الصحيحة بتوسع غير مسبوق ، وهو ادعاء غير جزافى ، إذ أننى لا أقول قولى فى هذا الصدد فى الهواء ، بل هو مسجل مكتوب فى كتاب تجده بين يديك . وعلى وجه القطع « أنا » الذى اكتشفت وجود معنى ثان لتعبير ﴿ وما صلبوه ﴾ ولا يخفى عليك يا صاحبى أن هذا المعنى الثانى الذى لم يذكره أحد قبلى هو مفتاح مغاليق معضلة نهاية شأن المسيح مع قومه .

لا يا صاحبى لست وحدى .

يقول الدكتور أحمد شلبى فى كتابه « المسيحية » فى سلسلة كتبه القيمة عن مقارنة الأديان ، يقول ما نصه فى الصفحات ٤٦ ـ ٥٨ ما يلى :

« أما جمهور المفكرين المسلمين فيرون أن عيسى بعد أن نجا من اليهود عاش زمناً حتى استوفى أجله ، ثم مات ميتة عادية ورفعت روحه إلى السماء مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء ، وقد ورد النص برفع عيسى ـ مع أن روحه سترفع بطبيعة الحال لأنه نبى ـ تكريماً لمكانته بعد التحدى الذى واجهه من اليهود ، فذكر الله نجاته ، ثم كانت مكانته التى استلزمت رفع روحه .

وقبل أن نورد أسماء هؤلاء العلماء وأدلتهم يجدر بنا أن نسوق ردودهم على أدلة الفوج الأول من العلماء الذين يرون أن عيسى رفع بجسمه وروحه .

فعن الآية الكريمة ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إليه ﴾ يرى هؤلاء العلماء أنها تحقيق الوعد الذى تضمنه قوله تعالى : ﴿ إنّى مُتوفِّيكَ ورَافِعُكَ إلىَّ ومُطهِّرُكَ مِنَ الّذين كفرُوا ﴾ (آل عمران : ٥٥) فإذا كان قوله تعالى : ﴿ بل رَفَعَهُ اللهُ إليه ﴾ خلا من ذكر الوفاة والتطهير واقتصر على ذكر الرفع فإنه يجب أن يلاحظ فيها ما ذكر فى قوله : ﴿ إنّى مُتوفِّيكَ ... ﴾ جمعاً بين الآيتين .

ويرى هؤلاء العلماء أن الرفع معناه رفع المكانة ، وقد جاء الرفع فى القرآن بهذا المعنى ، قال تعالى :

- ﴿ فى بُيُوتٍ أذِنَ اللهُ أن تُرْفَعَ ﴾ . (النور : ٣٦)
- ﴿ نَرفعُ دَرجاتٍ مَّنْ نَشاءُ ﴾ . (الأنعام : ٨٣)
- ﴿ ورَفعْنا لكَ ذِكْرَكَ ﴾ . (الانشراح : ٤)
- ﴿ ورَفعْناهُ مكاناً عَليّـاً ﴾ . (مريم : ٥٧)
- ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الّذين آمنُوا منكُم والّذين أُوتُوا العِلْمَ دَرجاتٍ ﴾ . (المجادلة : ١١)

وإذن التعبير بقوله : ﴿ ورافعُـكَ إلىَّ ﴾ وقوله : ﴿ بل رَفعهُ اللهُ إليه ﴾ كالتعبير فى قولهم : « لحق فلان بالرفيق الأعلى » ، وفى ﴿ إنَّ اللهَ معَنـا ﴾ (التوبة : ٤٠) ، وفى ﴿ عندَ مَليكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ (القمر : ٥٥) ، وكلها لا يفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول فى الكنف المقدس [١] .

وهناك آية كريمة أقوى دلالة من آيات الرفع ، ولكنها مع هذا لا تعنى سوى خلود الروح لا الجسم ، وهى قوله تعالى : ﴿ ولا تَحْسَبَنَّ الّذين قُتِلُوا فى سَبيلِ اللهِ أمْواتاً بل أحْياءٌ عندَ ربِّهِم يُرْزَقُونَ ﴾ . (آل عمران : ١٦٩)

(١) الفتاوى ، للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت : ص ٥٦ .

فمع أن الآية قررت أنهم أحياء فليس معنى هذا حياة الجسم ، فجسم الشهيد قد ووري التراب ، ومع أنها قررت أنهم عند ربهم ، وأنهم ﴿ يُرْزَقُون ﴾ فليس المقصود هو العندية المكانية ، ولا الرزق المادى ، وإنما المقصود تكريم الروح بقربها من الله قرب مكانة والاستمتاع باللذائذ استمتاعاً روحياً لا جسمانياً .

وعن الحديثين اللذين وردا فى هذا يجيب الباحثون بإجابتين :

أولاً : هما من أحاديث الآحاد وهى لا توجب الاعتقاد ، والمسألة هنا اعتقادية كما سبق .

ثانياً : الحديثان ليس فيهما كلمة واحدة عن رفع عيسى بجسمه ، وقد فُهم الرفع من نزول عيسى ، فاعتقد هؤلاء العلماء أن نزول عيسى معناه أنه رُفع وسينزل ، وهكذا قرر هؤلاء أن عيسى رُفع لمجرد أن فى الحديثين كلمة ينزل ، مع أن اللغة العربية لا تجعل الرفع ضرورة للنزول ، فإذا قلت : نزلت ضيفاً على فلان ، فليس معنى هذا أنك كنت مرتفعاً ونزلت ، وإذا رجعنا إلى مدلول هذه الكلمة (نزل ـ وأنزل) فى القرآن الكريم وجدنا أنه لا يتحتم أن يكون النزول من ارتفاع ، بل قد يكون معناها : جعل ، قدّر ، وقع ، منح ، قال تعالى :

﴿ وأنزَلْنا الحديدَ فيه بأسٌ شَديدٌ ﴾ (الحديد : ٢٥) أى جعلنا فى الحديد قوة وبأساً .

وقال : ﴿ وقُل رَبِّ أنزِلْنى مُنْزلاً مُباركاً وأنتَ خيرُ المُنْزِلينَ ﴾ (المؤمنون : ٢٩) أى : قدّر لى مكاناً طيباً .

وقال : ﴿ فإذا نَزلَ بساحتِهم فساءَ صباحُ المُنْذَرينَ ﴾ (الصافات : ١٧٧) أى : وقع.

وقال : ﴿ وأنزلَ لكُم مِّنَ الأنعامِ ثمانيةَ أزْواجٍ ﴾ (الزمر : ٦) أى : منحكم وأعطاكم.

وهكذا يتبين لنا أن كلمة ينزِل فى الحديثين ـ لو صحّ هذان الحديثان ـ ليست إلا بمعنى يجىء ، ومن الممكن أن يحيى الله عيسى ويرسله على شريعة محمد ﷺ قبل يوم القيامة ، وليس ذلك بمستبعد على الله ، والاستنتاج الذى قال به هؤلاء خروج بالكلمات عن مدلولها ، فالرفع ليس من كلمات الحديث الشريف بل من تفكير قارئى الحديث وليس من حقهم أن يضيفوا إلى الحديث ما ليس منه وما لا تستدعيه ألفاظه .

وهناك آيتان اختلف المفسرون فى تفسيرهما ، وجاء فى بعض ما قيل عنهما أنهما تدلان على نزول عيسى فى آخر الزمان ، وهاتان الآيتان هما :

ـ ﴿ وإنْ مِنْ أهْلِ الكتابِ إلاَّ ليُؤمِنَنَّ به قبلَ موتِه ﴾ . (النساء : ١٥٩)

ـ ﴿ وإنّه لَعلْمٌ للسّاعةِ فلا تَمْتَرُنَّ بها ﴾ . (الزخرف : ٦١)

فعن الآية الأولى يرى بعض المفسرين أن الضمير فى « به » وفى « موته » عائد على عيسى ويكون المعنى على ذلك عندهم أنه ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل أن يموت عيسى أى سيؤمنون به عند عودته آخر الزمان ، ولكن هذا مردود بما ذكره مفسرون آخرون من أن الضمير فى « به » لعيسى وفى « موته » لأهل الكتاب ، والمعنى أنه ما من أحد من أهل الكتاب يدركه الموت حتى تنكشف له الحقيقة عند حشرجة الروح فيرى أن عيسى رسول ورسالته حق ، فيؤمن بذلك ، ولكن حيث لا ينفعه إيمان [١] .

وأما عن الآية الثانية ـ ﴿ وإنّه لَعلْمٌ للسّاعة ... ﴾ فيرى بعض المفسرين أن الضمير فى « إنه » راجع إلى محمد ﷺ أو إلى القرآن على أنه من الممكن أن يكون راجعاً ـ كما يقول مفسرون آخرون ـ إلى عيسى لأن الحديث فى الآيات السابقة كان عنه . فالمعنى : وإن عيسى لعلم للساعة ، ولكن ليس معنى هذا أن عيسى سيعود للنزول ، بل المعنى أن وجود عيسى فى آخر الزمان نسبياً ، دليل على قرب الساعة وشرط من أشراطها ، أو أنه بحدوثه بغير أب ، أو بإحيائه الموتى دليل على صحة البعث [٢] .

وعلى كلٍّ ، فنزول عيسى آخر الزمان ليس معناه رفعه حيّاً بجسمه كما سبق القول. ثم إن الدليل إذا تطرق له الاحتمال سقط الاستدلال به كما يقول علماء الأصول ، وفى هذه الأدلة أكثر من احتمال .

ونبدأ الآن فى إيراد الأدلة التى يذكرها العلماء الذين يرون أن عيسى نجا من اليهود ثم استوفى عمره ، ومات ميتة عادية ، ودفن فى الأرض ثم رفعت روحه إلى السماء ، وهذا الفريق من العلماء يعتمد على قوله تعالى :

﴿ إذ قال الله يا عيسى إنّى مُتوفِّيكَ ورَافِعُكَ إلىّ ومُطهِّرُكَ مِنَ الّذين كفَرُوا وجاعلُ الّذين اتّبعُوكَ فوق الّذين كفرُوا إلى يومِ القيامةِ ثُمَّ إلىّ مَرْجعُكُمْ ﴾ . (آل عمران : ٥٥)

وهذه الآية تقرر بوضوح ما سبق أن ذكرناه من وفاة عيسى وتطهيره وحمايته من أعدائه ، وتجعل عيسى ضمن أتباعه إلى الله مرجعهم .

وقوله : ﴿ ما قُلْتُ لهُم إلاّ ما أمرْتَنى به أنِ اعْبُدوا اللهَ ربِّى وربّكم وكنتُ عليهم شَهيداً

(١) فى ظلال القرآن : الجزء السادس ، ص ١٤ .

(٢) تفسير أبى السعود .

ما دمتُ فيهم فلمّا توفّيتَني كنتَ أنتَ الرّقيبَ عليهم وأنتَ على كلّ شيْءٍ شَهيدٌ ﴾ .
(المائدة : ١١٧)

وواضح من الآية وفاة عيسى عليه السلام ونهاية رقابته على أتباعه بعد موته وترك الرقابة لله .

وقوله تعالى حكاية عن عيسى :

- ﴿ والسّلامُ عليَّ يومَ وُلِدتُ ويومَ أموتُ ويومَ أُبْعَثُ حيّاً ﴾ . (مريم : ٣٣)

والآية واضحة الدلالة على أن عيسى ككل البشر يولد ويموت ويُبعث ، وكل ما يخالف ذلك تحميل للفظ فوق ما يحتمل . وقد اشترك فى هذا الرأى كثير من العلماء فى العصور الماضية وفى العصر الحديث ، وفيما يلى نسوق بعض التفاسير لهذه الآيات الكريمة كما نسوق آراء العلماء الأجلاء .

يقول الإمام الرازى [١] فى تفسير الآية الأولى : إنى متوفيك أى منهى أجلك ، ورافعك أى رافع مرتبتك ورافع روحك إلىّ ، ومطهرك ، أى : مخرجك من بينهم ومفرّق بينك وبينهم ، وكما عظّم شأنه بلفظ الرفع إليه خبّر عن معنى التخليص بلفظ التطهير ، وكل هذا يدل على المبالغة فى إعلاء شأنه وتعظيم منزلته . ويقول فى معنى قوله تعالى : ﴿ وجاعلُ الّذين اتّبعوكَ فوقَ الذين كفروا ﴾ المراد بالفوقية الفوقية بالحجة والبرهان .

ثم يقول : واعلم أن هذه الآية تدل على أن رفعه فى قوله : ﴿ ورَافعُك ﴾ هو فى رفع الدرجة والمنزلة لا المكان والجهة ، كما أن الفوقية فى هذه الآية ليست بالمكان بل بالدرجة والمكانة .

ويقول الألوسى [٢] : إن قوله تعالى : ﴿ إنّى مُتوفّيك ﴾ معناها على الأوفق : إنى مستوف أجلك ، ومميتك موتاً طبيعياً ، لا أسلط عليك من يقتلك ، والرفع الذى كان بعد الوفاة هو رفع المكانة لا رفع الجسد ، خصوصاً وقد جاء بجانبه قوله تعالى : ﴿ ومُطهّرُك من الذين كفرُوا ﴾ مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم .

ويرى ابن حزم [٣] وهو من فقهاء الظاهر أن الوفاة فى الآيات تعنى الموت الحقيقى ، وأن صرف الظاهر عن حقيقته لا معنى له ، وأن عيسى بناء على هذا ، مات ولكنه سيعود قبيل القيامة وعودته إحياء جديد .

---

(١) تفسير الفخر الرازى . (٢) انظر : روح المعانى ، للألوسى .

(٣) الفصل فى الأهواء والملل والنحل (عند الكلام عن المسيحية) .

ويقول الأستاذ الشيخ محمود شلتوت [١] : إن كلمة « توفى » قد وردت فى القرآن كثيراً بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها ، ولم تستعمل فى غير هذا المعنى إلا بجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر ، ثم يسوق عدداً كبيراً من الآيات استعملت فيه هذه الكلمة بمعنى الموت الحقيقى ، ويرى أن المفسرين الذين يلجئون إلى القول بأن الوفاة هى النوم أو أن فى قوله تعالى : ﴿ **مُتوفِّيك ورافعُك** ﴾ تقديماً وتأخيراً ، يرى أن هؤلاء المفسرين يحمِّلون السياق ما لا يحتمل ، تأثراً بالآية ﴿ **بل رَفعهُ اللهُ إليه** ﴾ وبالأحاديث التى تفيد نزول عيسى . ويَرُدُّ على ذلك بأنه لا داعى لهذا التفكير ، فالرفع رفع مكانة ، والأحاديث لا تقرر الرفع بل تقرر النزول آخر الزمان ، وهو ما يمكن بحياة جديدة على ما مرَّ شرحه .

ويقول فضيلته : إنه إذا استدل البعض بقوله تعالى : ﴿ **وَجيهاً فى الدُّنيا والآخرة ومِنَ الـمُقرَّبينَ** ﴾ (آل عمران : ٤٥) على أن عيسى رفع إلى محل الملائكة المقربين أجبناه بأن كلمة « المقربين » وردت فى غير موضع من القرآن الكريم دون أن تفيد معنى رفع الجسم ، قال تعالى :

- ﴿ **والسَّابقُونَ السابقُون * أُولئك الـمُقرَّبونَ** ﴾ . (الواقعة : ١٠ ، ١١)
- ﴿ **فأمَّا إن كانَ مِنَ الـمُقرَّبِينَ * فرَوْحٌ ورَيْحانٌ وجنَّتُ نَعيمٍ** ﴾ . (الواقعة : ٨٨ ، ٨٩)
- ﴿ **عيْناً يَشْربُ بها الـمُقرَّبُونَ** ﴾ . (المطففين : ٢٨)

على أن نزول عيسى وقتله المسيح الدجال ليست من الأمور المسلم بها على ظاهرها ، وقد تعرض الأستاذ الإمام محمد عبده إلى آيات الرفع وأحاديث النزول فقرر الآية على ظاهرها وأن التوفى هو الإماتة العادية وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الروح ، وتعرض الأستاذ الإمام إلى الحديث الذى ينسب للرسول والذى يقول إن المسيح ينزل فى آخر الزمان ويقتل المسيح الدجال ، فقال : إن هناك تخريجين لهذا الحديث :

أولهما : أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادى ، والأمور الاعتقادية لا يُؤخذ فيها إلا بالقطعى ، لأن المطلوب فيها اليقين وليس فى الباب حديث متواتر .

ثانيهما : أن الدجال ليس إلا رمزاً للخرافات والدجل ، وأن ذلك يزول بشريعة الإسلام وبالقرآن والسنة التى حلت محل ما اعتقده اليهود فى مسيح يأتى ليملأ الأرض عدلاً ونوراً [٢] .

---

(١) الفتاوى ، ص ٥٢ وما بعدها .
(٢) اقرأ تفسير المنار عند شرح الآيات السابقة .

أما السيد محمد رشيد رضا فقد أضاف إلى هذه الدراسة نقطة جديدة هى أن مسألة الرفع بالجسم والروح هى فى الحقيقة عقيدة النصارى ، وقد استطاعوا بحيلة أو بأخرى دفعها تجاه الفكر الإسلامى ، كما استطاعوا إدخال كثير من الإسرائيليات والخرافات ، وفيما يلى نص كلام هذا الباحث الكبير :

ليس فى القرآن نص صريح على أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء ، وإنما هى عقيدة أكثر النصارى ، وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهور الإسلام بثها فى المسلمين [(١)] .

ويضيف هذا الباحث قوله : وإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يصلح العالم فمن السهل أن يصلحه على يد أى مصلح ، ولا ضرورة إطلاقاً لنزول عيسى أو أى واحد من الأنبياء [(٢)] .

ويتفق الأستاذ أمين عز العرب مع اتجاهات الإمام محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا فيقول : أستطيع أن أحكم أن كتاب الله من أوله إلى آخره ليس فيه ما يفيد نزول عيسى [(٣)] .

ويثير الأستاذ محمد أبو زهرة نقطة دقيقة حول الأحاديث السابقة فيقرر : بالإضافة إلى أنها أحاديث آحاد ليست متواترة ـ لم تشتهر قط إلا بعد القرون الثلاثة الأولى [(٤)] .

ويمكن ربط هذا بما ذكره السيد محمد رشيد رضا عن محاولات النصارى ،فإنهم فى خلال هذه القرون كانوا يحاولون إدخال بعض عقائدهم فى الفكر الإسلامى بطريق أو بآخر بدليل أن هذه الأحاديث لم تشتهر فى القرون الثلاثة الأولى مع ما وصلت إليه العقيدة الإسلامية من دقة وعمق فى هذه القرون . ويختم الأستاذ محمد أبو زهرة كلامه بقوله : إن نصوص القرآن لا تلزمنا بالاعتقاد بأن المسيح رفع إلى السماء بجسده ، وإذا اعتقد البعض أن النصوص تفيد هذا وترجحه فله أن يعتقد هذا فى ذات نفسه ولكن له أن يلتزم ولا يلزم [(٥)] .

ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى : ليس فى القرآن نص صريح قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه ، وعلى أنه حى الآن بجسمه وروحه ، والظاهر

---

(١) تفسير المنار ، جـ ١٠ من المجلد الثانى والعشرين .

(٢) تفسير المنار : الجزء الثالث .

(٣) لواء الإسلام : العدد ١٠ ، ص ٢٧٠ .

(٤) المرجع السابق : ص ٢٦١ .

(٥) المرجع السابق : ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

من الرفع أنه رَفَعَ درجات عند الله ، كما قال تعالى فى إدريس : ﴿ ورَفَعْناهُ مكاناً عَلِيّاً ﴾ فحياة عيسى حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء [١] .

ويقول الأستاذ عبد الوهاب النجار [٢] : إنه لا حجة لمن يقول بأن عيسى رُفع إلى السماء لأنه لا يوجد ذكر للسماء بإزاء قوله تعالى : ﴿ ورافعك إلىّ ﴾ وكل ما تدل عليه هذه العبارة أن الله مبعده عنهم إلى مكان لا سلطة لهم فيه ، وإنما السلطان فيه ظاهراً وباطناً لله تعالى ، فقوله تعالى : ﴿ إلىّ ﴾ هو كقول الله عن لوط : ﴿ إنّى مُهاجرٌ إلى ربّى ﴾ (العنكبوت : ٢٦) فليس معناه أنى مهاجر إلى السماء بل هو على حد قوله تعالى : ﴿ ومَن يَخْرُجْ مِن بيتِه مُهاجراً إلى اللهِ ورسُولِه ... ﴾ (النساء : ١٠٠) .

ويقول الأستاذ الشهيد سيد قطب [٣] عند تفسير الآية الأولى من الآيات الثلاث السابقة : « لقد أرادوا قتل عيسى وصلبه ، وأراد الله أن يتوفاه وفاة عادية ففعل ، ورفع روحه كما رفع أرواح الصالحين من عباده ، وطهّره من مخالطة الذين كفروا ، ومن البقاء بينهم وهم رجس ودنس » .

ونجيء الآن إلى الباحث الأستاذ محمد الغزالى ، وله فى هذا الموضوع دراسة مستفيضة نقتبس منها بعض فقرات بنصوصها :

ـ أميل إلى أن عيسى مات ، وأنه كسائر الأنبياء مات ورُفع بروحه فقط ، وأن جسمه فى مصيره كأجساد الأنبياء كلها ، وتنطبق عليه الآية : ﴿ إنّك ميّتٌ وإنّهم ميّتونَ ﴾ (الزمر : ٣٠) والآية : ﴿ وما مُحمّدٌ إلاّ رسُولٌ قد خلَتْ مِن قبلِه الرُّسلُ ﴾ (آل عمران : ١٤٤) ، وبهذا يتحقق أن عيسى مات [٤] .

ومن رأيى أنه خير لنا نحن المسلمين وكتابنا (القرآن الكريم) لم يقل قولاً حاسماً أبداً أن عيسى حيّ بجسده ، خير لنا منعاً للاشتباه من أنه ولد من غير أب ، وأنه باق على الدوام ، مما يروج لفكرة شائبة الألوهية فيه ، خير لنا أن نرى الرأى الذى يقول إن عيسى مات وإنه انتهى ، وإنه كغيره من الأنبياء لا يحيا إلا بروحه فقط ، حياة كرامة وحياة رفعة الدرجة .

ـ وأنتهى من هذا الكلام إلى أنى أرى من الآيات التى أقرؤها فى الكتاب أن عيسى قد مات ، وأن موته حق ، وأنه كموت سائر النبيين [٥] .

---

(١) نقلاً عن كتاب : الفتاوى ، للشيخ شلتوت ، ص ٧٤ .

(٢) قصص الأنبياء : ص ٥١١ .

(٣) فى ظلال القرآن ، الجزء الثالث ، ص ٨٧ .

(٤) لواء الإسلام ، العدد ١٠ ، ص ٢٥٥ .

(٥) المرجع السابق : ص ٢٥٥ .

ويثير الأستاذ صلاح أبو إسماعيل نقاطاً دقيقة تتصل بالرفع فيقول : إن الله ليس له مكان حسي محدود حتى يكون الرفع حسياً ، وعلى هذا ينبغي تفسير الرفع على أنه رفع القدر وإعلاء المكانة والمنزلة ، ثم إن رفع الجسد قد يستلزم أن هذا الجسد يمكن أن يرى الآن ، وأنه يحتاج إلى ما تحتاج إليه الأجسام من طعام وشراب ومن خواص الأجسام على العموم ، وهو ما لا يتناسب فى هذا المجال [١] .

وأحب أن أجيب على من قال : إن فى مقدور الله أن يوقف خواص الجسم فى عيسى ، بأن إيقاف خواص الجسم بحيث لا يرى ولا يأكل ولا يشرب ولا يهرم ... معناه العودة إلى الروحانية أو شيء قريب منها ، وذلك قريب أو متفق مع الرأى الذى يعارض رفع عيسى بجسمه .

وبعض الناس يقولون : إن عيسى رُفع بجسمه وروحه ، فإذا سُئلوا : إلى أين ؟ وما العمل فى خواص الجسم ؟ قالوا : لا نتعرض لهذا . وهو رد ليس ـ فيما نرى ـ شافياً .

ونعود إلى الأستاذ صلاح أبو إسماعيل الذى يتساءل قائلاً : وإذا كان رفع عيسى رفعاً حسياً معجزة ، فما فائدة وقوعها غير واضحة أمام معاندى المسيح عليه السلام وجاحدى رسالته ؟ وأنا أعتقد ـ الأستاذ صلاح أبو إسماعيل ـ أن كلمة ﴿ مُتوفِّيك ﴾ تعنى وعداً من الله بنجاة عيسى من الصلب ومن القتل كما وعد محمداً ﷺ بأن يعصمه من الناس [٢] .

* * *

وبعد .. لقد أُثيرت هذه المسألة منذ سنين فى فتوى أجاب عنها الأستاذ المراغى والأستاذ شلتوت كما رأينا ، وقد قامت ضجة على إثر إذاعة هذه الفتوى ، شأن كل جديد يخرج إلى الناس ، ومرَّ الزمن ورجحت هذه الفكرة وأصبحت شيئاً عادياً يعتقده الغالبية العظمى من المثقفين ، وطالما وقف كاتب هذه السطور يرفع بها صوته فى قاعات المحاضرات بأعرق جامعة إسلامية فى العالم وهى جامعة الأزهر وبغيرها من الجامعات وقاعات المحاضرات ، وكان الناس يتقبلون هذه الآراء قبولاً حسناً ، والذى أرجوه أن يرفق المعارضون فى تلقى الآراء الجديدة ، وأن يفحصوها بروح هادئة .

وأشهد أن الإخوة فى السودان وقفوا هذا الموقف ، من اتجه هذا الرأى أو اعتنق ذاك ، وقدكان من فضلهم أن زدت هذا الموضوع شرحاً وإيضاحاً . والله يهدينا سواء السبيل .

* * *

(١) المرجع السابق : ص ٢٥٨ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٥٩ .

ونختم هذا البحث بأن نقرر أن الاعتقاد بأن عيسى عليه السلام رُفع بجسمه وروحه اعتقاد متأثر بالاتجاه المادى فى الإنسان ، ومتأثر كذلك بالفكر المسيحى الذى يرى أن عيسى هو الإله الابن نزل من السماء ثم رفع ليعود للجلوس بجوار أبيه الإله الأب . أما المسلمون الذين يعتقدون أن الله واحد ، وأنه فى كل مكان ، وليس جسماً ، فكيف يوفقون بين هذا وبين رفع عيسى ليكون مع الله ، فالله ـ مرة أخرى ـ فى كل مكان ، ولو بقى عيسى على الأرض لكان مع الله أيضاً ، وكيف يوفقون بين هذا وبين قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخُلْدَ ﴾ . (الأنبياء : ٣٤)

* * *

ويتضح مما أورده فضيلة الدكتور أحمد شلبى فى كتابه عن المسيحية ص ٤٦ ـ ٥٨ أننى لست وحدى الذى أرجح الرأى الثانى الذى يرى أن المسيح قد أنقذه الله من القتل صلباً وتوفاه الله وفاة طبيعية ، وأن الرفع رفع منزلة ومكانة ، وليس رفعاً بالجسم والروح ، وتستطيع أنت يا صاحبى أن تأخذ لو شئت بالرأى الأول الذى يرى أصحابه أن المسيح قد أنقذه الله من القتل صلباً بإلقاء شبه المسيح على شخص آخر ، ورفع الله رسوله المسيح إليه فى السماء حياً بجسمه وروحه وسينزل المسيح آخر الزمان .

ثالثاً : يتضح من كلامك فى اللقطة الأخيرة من حوارنا أنك تظن خطأ أننى أعارض وأشكك فى تفسير كبار المفسرين المسلمين للقرآن الكريم . ليس هذا صحيحاً أبداً يا صاحبى . هل قلت رأياً فى المفسرين المسلمين بوجه عام أم أننى قلت رأياً فى تفسير آية كريمة من القرآن الكريم تتعلق بموضوع معيَّن محدد هو مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه ؟ إن القرآن الكريم ١١٤ سورة تحوى الآلاف من الآيات القرآنية الكريمة .

رابعاً : ألا تعلم يا صاحبى أن القرآن الكريم لا تخلق ولا تنفد معانيه وأننا سنكتشف معانى هامة لبعض آيات القرآن الكريم لم يكتشفها من سبقنا من كبار مفسرى القرآن الكريم ؟

وتقول يا صاحبى مستخفاً بقدرتى على الفهم وقدرتى على تدبُّر معانى كلام الله ، تقول : لا يجوز تفسير القرآن بالرأى ؟ وهل يجوز تفسير القرآن الكريم بغير الرأى ؟ هل نلغى عقولنا ونوقفها عن أن تتدبر معانى القرآن الكريم ؟ وكيف نستوعب تفسير كبار المفسرين إذا ألغينا عقولنا ، وفى جهودهم العبقرية العظيمة ما يتطلب إعمال العقل لنتمكن من الفهم والاستيعاب والموازنة بين الآراء والمعانى لكلام الله كما اجتهد فى تفسيرها كبار المفسرين ؟ وما هو الشأن لو أعملنا عقولنا وفتح الله على أحدنا فوضح له

معنى غير مسبوق لآية كريمة من آيات الله فى القرآن الكريم .. ﴿ **قُلْ لو كان البحرُ مِداداً لكلماتِ ربِّى لَنَفِدَ البحرُ قبلَ أن تَنْفَدَ كلماتُ ربِّى ولو جِئْنا بمِثْلِه مَدَداً** ﴾ .

(الكهف : ١٠٩)

ومن المصادفات الغريبة فيما نحن بصدده من أن عقول المسلمين تعمل ، ولا تستطيع أنت يا صاحبى - كما لا يستطيع غيرك - أن توقفها عن العمل . إننى أقوم بالرد على ملاحظات للدكتور أنيس شروش [١] فيما يتعلق بمناظرة جرت بينه وبين الشيخ أحمد ديدات [٢] . وكان الدكتور أنيس شروش يقول فى واحدة من ملاحظاته : إن القرآن الكريم - فى نظره - تقليد للكتاب المقدس ، ومن يطلع على الكتاب المقدس - فى رأيه - سيجد أصول القرآن الكريم .

وأثناء اندماجى فى الرد على ملاحظة الدكتور أنيس شروش هذه ذكرت لسيادته أن كلام الله فى القرآن الكريم من أوله إلى آخره كلام مباشر Direct Speech بينما الكلام فى كتابه المقدس يختلط فيه الكلام المباشر بالكلام غير المباشر Indirect Speech وعندما تسألنى : كلام من هذا الموجود فى القرآن الكريم ، تكون الإجابة الفورية هى : كلام الله ، حتى لو كان الله يجرى كلاماً على لسان أحد الأنبياء مثلاً ، فهذا الكلام إنما هو كلام الله كما أوحاه إلى سيدنا محمد ﷺ ، ولم يغير سيدنا محمد ﷺ حرفاً واحداً ، ولم يحذف سيدنا محمد ﷺ كلمة مثل كلمة « قل » التى يجوز حذفها فى الكلام العادى عند نقل الكلام إلى الآخرين Reported Speech ، سواء كان ذلك بطريقته المباشرة أو غير المباشرة . إن نبى الإسلام لم يحذفها فى مثل سورة الإخلاص مثلاً إذ أوحى الله إلى محمد ﷺ أولى آيات هذه السورة هكذا : ﴿ **قُلْ هو اللهُ أحدٌ** ﴾ فقال محمد ﷺ فيما نقله عما أوحاه الله إليه فى مستهل سورة الإخلاص : ﴿ **قُلْ هو الله أحدٌ** ﴾ وكان فى حلٍّ من أن يقول : « هو الله أحد » دون إخلال بقواعد اللغة فى جميع لغات العالم ، أو كان يستطيع أن يقول « الله أحد » ، ولكن سيدنا محمداً ﷺ لم يجز لنفسه أبداً نقل محتوى كلام الله ، بل كان ملتزماً بنقل كل كلام الله كما أوحاه الله إليه بالحرف الواحد .

وخطر لى خاطر آنذاك يا صاحبى فى ليلة من ليالى هذا الشهر الكريم ، شهر رمضان

---

(١) الدكتور أنيس شروش عالم لاهوت مسيحى من أصل فلسطينى .

(٢) قام الدكتور أنيس شروش بتصوير صفحات كتابنا عن هذه المناظرة ، وعمد إلى كتابة ملاحظاته على هوامشها ، وأرسل إلىَّ كل ذلك فى مظروف كبير من أمريكا .

المبارك ، وأنا أرد على ملاحظة الدكتور أنيس شروش القديمة التى كتبها لى فى أيامنا الراهنة من أن القرآن الكريم تقليد لكتابه المقدس عنده ، أى العهد القديم (التوراة) والعهد الجديد .

ويتعلق الخاطر الذى خطر لى آنذاك بالحروف المقطعة فى القرآن الكريم . ولقد اجتهد علماء التفسير فى محاولة معرفة معنى ومغزى هذه الكلمات المقطعة مثل : (الم) أو (كهيعص) ، وذكروا آراء متعددة معروفة مشهورة ، ولكننى فوجئت بخاطر لمع فى ذهنى لمعاناً شديداً ألا وهو أنه لا توجد حروف مقطعة فى الكتاب المقدس لدى أهل الكتاب المقدس . وقلت للدكتور أنيس شروش بالحرف الواحد ضمن اعتبارات كثيرة : « هل توجد حروف مقطعة فى كتابك المقدس يا عزيزى الدكتور أنيس ؟ » . إذا كان القرآن الكريم مجرد تقليد لكتابك المقدس فلماذا لا يوجد فى كتابك المقدس حروف مقطعة ؟

واتضح لى على الفور مغزى آخر ودلالة أخرى للحروف المقطعة فى مطلع بعض سور القرآن الكريم ، إنها دليل أكيد على مصداقية القرآن الكريم Authenticity of the Holy Koran .

إن هذه الحروف المقطعة يا صاحبى تدل دلالة أكيدة لا ريب فيها على أن سيدنا محمداً ﷺ كان يقول وينطق للناس القرآن الكريم بالضبط وحرفياً كما أوحاه الله إليه ، والحروف المقطعة فى بداية بعض سور القرآن الكريم نطقها رسول الله ﷺ كما أوحاها الله إليه سواء كان معناها ومغزاها معروفاً للناس أو لم يكن معروفاً . أوحى الله إلى سيدنا محمد ﷺ مطلع سورة البقرة هكذا :

﴿ الم * ذلكَ الكتابُ لا رَيْبَ فيه هُدًى للمتَّقينَ * الَّذين يُؤْمنُونَ بالغَيْبِ ويُقيمُونَ الصَّلاةَ ومِمَّا رَزقْناهُم يُنفقُونَ ﴾ . (البقرة : ١ ـ ٣)

وقرأ سيدنا محمد ﷺ ما أوحاه الله إليه فى سورة البقرة تماماً ، ولو كان الله ـ على سبيل الافتراض لمزيد من الإيضاح ـ قد أوحى إلى سيدنا محمد ﷺ حروفاً مقطعة أخرى مثل « ألف لام ضاد » مثلاً لكان سيدنا محمد قد نقلها إلى الناس كما أوحاها الله إليه .

ومنه يتضح لنا يا صاحبى أن للحروف المقطعة معنى ومغزى هو أنها تدل على تمام مصداقية القرآن الكريم وعلى الأمانة التامة الكاملة فى نقل سيدنا محمد ﷺ لكلام الله سبحانه وتعالى إلى جميع خلق الله بالضبط كما أوحاه الله إليه بما فى ذلك هذه

الحروف المقطعة سواء كنا نـدرك معناها ومغـزاها أو كنا لا ندرك من هذا وذاك شيئاً على الإطلاق .

وهذا المعنى وهذا المغزى الذى اتضح لى فجأة فى ليلة من ليالى هذا الشهر المبارك ـ الذى لم تنقـضِ لياليه المباركة بعـد وأنا أكتـب هذه السطـور ـ أعلم يقين العـلم أنه لم يسبق له ذكر من قبل . ولقد سبق لى شخصياً أن قمت باستقصاء مذاهب علماء التفسير فى هذه الحروف المقطعة فى مستهل اضطلاعى بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية ، ودونتها ، دونت هذه الآراء كتابياً ، وليس ضمن هذه الآراء هذا الرأى الذى خطر لى فـجأة ولمع فى ذهنى فى تلك الليلة التى كنت أردُّ فـيـهـا على ادعـاء الدكتور أنيس شروش أن القرآن الكريم أصوله مستمدة من كتابه المقدس ، إذ أن القرآن الكريم ـ فى نظره ـ مجرد تقليد للكتاب المقدس عنده .

ألا تثبت هذه الواقعة الحية يا صاحبى أن القرآن الكريم لا تنفد معانيه ولا تقف عند حد . وإذا ظهر معنى جديد صحيح من معانى كلام الله فى آية من آياته هل يرفضه المسلمون لمجرد أنه لم يرد فى تفسير جمـهرة أو جمـهور المفسرين ؟ هل ظهور معنى صحيح جديد لآية مِن آيات الله يقدح ويقلل من شأن جهود كبار المفسرين ؟ أليس هذا فهماً عقيماً دون قَصد إساءة لك شخصياً يا صاحبى ، إذ أننى أقصد أن مثل هذا الفهم يكون سقيماً لو تبادر إلَى ذهن أى شخص وليس إلى ذهنك أنت وحدك .

يا صاحبى إننى أحترم جهود المفسرين الكبار المعروفين ، وأنا بفضل الله من أعرف الناس بقدر عظيم جهودهم ، أو هذا هو ما أرجوه وأنشده وأحرص عليه كل الحرص . وأنا يا صاحبى بفـضل الله وحـمـده مسلم ابن مسلم ، وإذا كنت قد ذكـرت لى فى حوارك معى أنك « سلفى المذهب » فأنا أحترم السلف الصالح كل الاحتـرام ، ولكننى يا صاحبى أرفـض الانغلاق فى أى مذهـب أو حزب أو جماعة . إننى حر الفكر طليق الذهن . لقد بلغت الستين من العمر دون أن أنتمى لأى حزب أو جماعة من الأحزاب أو الجماعات بالفعل .

إن الانتـماء لأى حزب أو جماعة إسلامية أعتبره أنا شخصياً مجـرد تشرذم فى الإسلام . حسبى يا صاجبى أن أنتمى إلى الإسلام حراً طليقاً غير مقيد بأى قيد من قيود الفكر ، وقانا الله شر قيود الفكر فهى أشد ضرراً من قيود الجسم .

يقولون لك : لو انتميت إلى حزب معين من الأحزاب الإسلامية : اعتقد كذا ، اقرأ كذا ولا تقرأ كذا. وكأن كل كلام تمت طباعته يلزم بمجرد طباعته أن يكون صحيحاً.

إن هذا خطأ شائع عندنا لا يزال منتشراً . ليس كل ما يُطْبع من كلام فى كتب مطبوعة ومنشورة صحيحاً ، ولا يلزم أن يؤمن القارئ بصحته ما لم يكن مقتنعاً بصحته اقتناعاً ينبع من داخل ذاته. من الضرورى أن يقرأ الإنسان بعينٍ ناقدة وبعقل ذكى متفتح وبذهن يقظ واع . ويقرأ كل إنسان بطبيعة الحال قَدْرَ استطاعته وطاقته وقدرته على الفهم والاستيعاب ، ويستطيع الإنسان وبسهولة أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه .

إننى أقرأ كل الكتب التى تتصل بالموضوعات التى أهتم بها . قرأت كثيراً من الكتب الإسلامية وغير الإسلامية فى المجالات الدينية ، وقرأت عن كل المذاهب السياسية ، وقرأت عن كل المذاهب الفلسفية ، وقرأت عن كل المذاهب الاقتصادية . قرأت عن الوجودية دون أن أصبح وجودياً ، وقرأت عن البوذية دون أن أصبح بوذياً ، وقرأت عن الشيوعية دون أن أصبح شيوعياً ، وقرأت القرآن وكتب تفسير القرآن الكريم ومباحث علماء المسلمين فزادنى الله إسلاماً ويقيناً بأن الدين عند الله هو الإسلام . وقرأت التوراة دون أن أصبح يهودياً ، وقرأت الإنجيل دون أن أصبح نصرانياً . ويهدى الله من يشاء ويضل من يشاء .

الإنسان الحر حقاً يا صاحبى لا ينبغى عليه أن يقبل رأياً باعتبار أنه حق ما لم يكن هذا الرأى حقاً توافرت فيه مقومات الاقتناع به . أما أساليب المغالطة السمجة التى يشيع استخدامها دون وجه حق مثل : هذا خطأ جسيم . هذا زيف . هذا بهتان . حاشا لله . أعوذ بالله . هذا رأيك أنت ... الخ ، فهى مجرد ترهات .

وعندما تقول عن رأى من الآراء : إن فيه خطأ جسيماً يتعين عليك بالضرورة أن تقول سبب أو أسباب ذلك الخطأ الذى تصفه بالجسامة أو بالضآلة . وعندما تقول لشخص « هذا رأيك أنت » ينبغى ويلزم أن تذكر أو تكون لديك على الأقل أسباب تجعل هذا الرأى خاصاً ملزماً للمخاطب وليس ملزماً لك . أى أنك عندما تقول عن رأىٍ إنه صواب ينبغى أن يكون الصواب صواباً لأسباب . وعندما تقول عن رأىٍ إنه خطأ فمن الضرورى أن يكون الخطأ خطأ لأسباب ، وبدون إبداء الأسباب لا يكون الخطأ خطأ ولا الصواب صواباً ، وتختلط الأمور على الناس خلطاً لا تستقيم معه حياتهم .

خامساً : ليس معنى عدم موافقتى الشخصية الفردية على رأى معين لجمهور المفسرين أننى أقلل من شأن قيمة جمهور المفسرين . إننى يا صاحبى أول من يعرف أننا فى القرن العشرين عيال على جهودهم العبقرية التى خلفت لنا زاداً روحياً هو أعز ما نملك فى الوجود . وأستطيع أن أقول لك يا صاحبى : إن ٩٩,٩ ٪ من آرائهم صحيحة صائبة .

نعلم أن المفسرين المسلمين ليسوا من عامة الناس ، إنهم من خاصة الخاصة فى علوم الدين واللغة . ونعلم أن علوم التفسير موسوعة تضم الكثير من علوم اللغة العربية والعلوم الدينية مجتمعة . ومن الضرورى أن يكون مفسر القرآن الكريم يجيد اللغة العربية أفضل مستويات الإجادة ، ومن الضرورى أن تكون له حاسة لغوية سليمة ، أى أنه لا بد أن تكون لديه موهبة لغوية يستطيع أن يهتدى بها إلى المعنى . ومن الضرورى أن يكون ملماً بأسباب النزول إذ أن سبب النزول فى غالب الأحيان يكون مؤثراً فى بيان المعنى . ويلزم أن يكون ملماً بعلوم الحديث النبوى الشريف لمعرفة صحيحها من ضعيفها ومتواترها من آحادها . ومن الضرورى أن يكون ملماً بكل أحداث ووقائع السيرة النبوية الشريفة . ومن الضرورى أن يكون ملماً بالناسخ والمنسوخ من الآيات المشتملة على أحكام الشريعة ... إلخ .

ولكن باب الاجتهاد فى تفسير كلام الله لم يُغلق ولن يُغلق أبداً يا صاحبى . ولو كان لكلام الله تفسير واحد لما كان لدينا أكثر من مفسر ، ولما كان لدينا أكثر من تفسير . أتحسبنى أحط من شأن جمهرة المفسرين عندما أقول كذا وكذا بخصوص مسألة ما أو رأى ما ؟ أسأت الظن بى يا صاحبى . كل ما فى الأمر أن التنبيه واجب علىَّ لا أستطيع أن أتحاشاه أو أتجنبه . وأنا أعرف جيداً أن رأيى يخصنى وحدى ، وأنا لا أفرضه أبداً على أحد ، ولا أملك أى سلطة لذلك بطبيعة الحال يا صاحبى .

إننى أقدر السلف الصالح من أئمة وعلماء التفسير كل التقدير وأحترمهم كل الاحترام ، ولكم أشعر بالسعادة لو أضفت إلى جهودهم العظيمة ولو مثقال ذرة أم أنه لا خير فينا لديننا ، ولا خير فينا لكتاب الله الذى أنزله إلينا وإلى البشر جميعاً لا ريب فيه هدى للمتقين .

ولى ترجمة متواضعة لمعانى جزء عم صدرت فى كتاب مطبوع ومنشور بعنوان : ترجمة معانى القرآن الكريم ـ جزء عم وفاتحة الكتاب . فيه كل صفحة من صفحات المصحف بجزء عم باللغة العربية كاملة كما هى فى المصحف الشريف ، وعلى هامشه تفسير لمعانى المفردات باللغة العربية اجتهدت فى جمعه وصياغته من مختلف كتب التفسير . وعلى الصفحة المقابلة ترجمة معانى الآيات باللغة الإنجليزية اجتهدت كل الاجتهاد أن تكون دقيقة لمعنى كل آية كما حددت معناها من كتب التفسير التى خلفها لنا جمهور المفسرين .

أقول هذا لا على سبيل الفخر بل تمهيداً لكى أقول إننى رفضت رأى الإمام محمد

عبده فى تفسيره للسحر والحسد فى سورة الفلق ، وأعلنت قبولى لتفسير جمهور المفسرين المسلمين من السلف الصالح . لا ينبغى أن ننحاز للجديد باعتبار أنه جديد فقط ، ولا للقديم على أنه قديم فقط .

وقلت : إن الاستعاذة من شر النفاثات فى العقد فيها إشارة إلى الحسد بالمعنى المألوف للحسد ، وليس بمجرد التمنى لزوال نعمة الغير ، كما أشار إلى ذلك الإمام محمد عبده فى تفسيره لهذه السورة الكريمة .

وقلت فى هذه الآية الكريمة ﴿ **ومِنْ شرِّ النفاثات فى العُقد** ﴾ إشارة إلى محاولة اغتيال النبى ﷺ باللجوء إلى سحر السحرة المعروف على الرغم من اعتراض الإمام محمد عبده على ذلك بقوله حرفياً فيما أذكر : « لو صح ذلك لصح قول خصوم الإسلام إذ قالوا : إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً » . وقلت : تعرض النبى ﷺ لمحاولة اغتيال بالسحر لجوءاً فعلياً إلى سحر ساحر معروف محترف كان يتقاضى أجراً نظير ما كان يقوم به من سحر وهو لبيد اليهودى . وشرع لبيد فى عمل السحر لقتل النبى فعلاً بالسحر أو للإضرار به على أى نحوٍ بحيث لا يسير سيرته الطبيعية فينصرف الناس عنه وعن اتّباع دينه . فيا له من تفكير جرىء دنىء ذلك الذى عمد إليه خصوم النبى ﷺ باللجوء إلى سحر ساحر .

وأخبر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريمْ ﷺ عن المكان الذى وضع فيه اليهودى لبيد أدوات سحره ، وتم استخراجه من المكان الذى كان قد وضع فيه ، ونجا النبى مما أراده له خصومه .

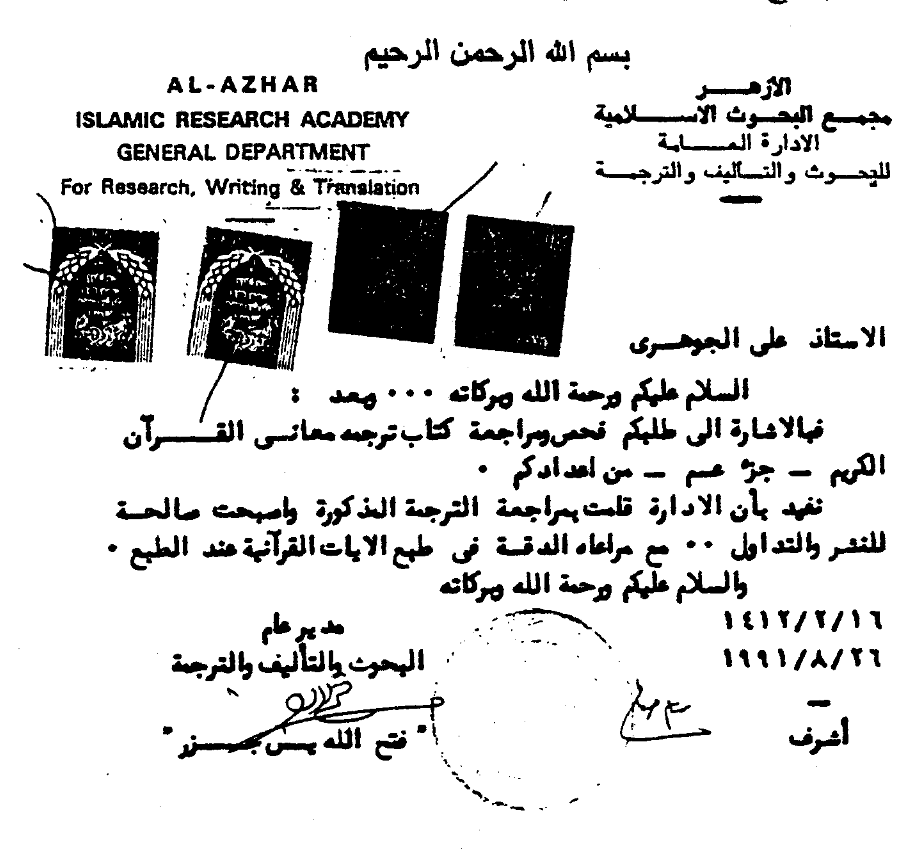
شروع فى القتل باللجوء إلى سحر الساحر ، وفشلت المحاولة ، فلا سبيل إلى صحة اتهام خصوم الإسلام للمسلمين أنهم إن يتبعون إلا رجلاً مسحوراً . لو كانت محاولة سحر لبيد اليهودى قد نجحت لجاز أن يقول خصوم الإسلام للمسلمين : « إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً » . أما وقد فشلت المحاولة فلا يحق لخصوم الإسلام أن يقولوا مثل هذه [1] المقولة .

وفيما يلى يا صاحبى صورة ضوئية مصغرة لتصريح مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف لى بطبع ونشر كتابى المشار إليه : ترجمة معانى القرآن : جزء عم وفاتحة الكتاب .

---

(١) انظر كتابنا : ترجمة معانى القرآن ، جزء عم وفاتحة الكتاب : ص ٥٦ .

لماذا حصلت بالفعل على هذا التصريح يا صاحبى ؟ لقد كنت حريصاً على الحصول على هذا التصريح لكى أطمئن أولاً وقبل كل شىء إلى سلامة تفسيرى لمعانى كلام الله من جهة ، وإلى سلامة ترجمتى لهذه المعانى إلى اللغة الإنجليزية من جهة أخرى قبل طبع الكتاب ونشره على الناس .



بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مجمع البحوث الاسلامية
الادارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

الاستاذ على الجوهرى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد :
فبالاشارة الى طلبكم فحص ومراجعة كتاب ترجمه معانى القرآن الكريم — جزء عم — من اعدادكم .
نفيد بأن الادارة قامت بمراجعة الترجمة المذكورة واصبحت صالحة للنشر والتداول .. مع مراعاه الدقة فى طبع الايات القرآنية عند الطبع .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٤١٢/٢/١٦
١٩٩١/٨/٢٦

مدير عام
البحوث والتأليف والترجمة
" فتح الله يس جزر "

أشرف

(صورة ضوئية مصغرة لتصريح مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بطبع ونشر الكتاب المذكور)

* * *

سادساً : أما بخصوص قولك أننى أنكر بعض الأحاديث النبوية الشريفة التى وردت فى صحيح البخارى فى باب نزول عيسى وباب ذكر الدجال ، وهى أحاديث يصل عددها إلى تسعة عشر حديثاً ، أو أننى أقول برأى يخالف ما ورد بها فقولك هذا غير صحيح بالمرة .

إننى أضْعَفُ مِنْ أنْ أُضَعِّفَ أىَّ حديثٍ ولو كان محكوماً عليه بالضعف جداً أو حتى بالوضع . ليست هذه مهمتى ، وليس هذا هدفى ، ولا أستطيعه ولا أملك الوسائل والمقومات اللازمة لذلك . إن علماء علم الحديث ، وعلماء الجرح والتعديل هم الذين حكموا بضعف هذه الأحاديث بشأن نزول عيسى عليه السلام ولست أنا . انظر يا صاحبى سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألبانى ، وستجد بالجزء الرابع ـ تحت رقم ١٩٦٨ ـ حديثاً عن نزول سيدنا عيسى عليه السلام ، يتضمن ذات محتوى أحاديث نزول عيسى من قتل الخنزير وكسر الصليب وغير ذلك ، وهو موصوف فى هذا المرجع بأنه ضعيف جداً .

وقد أشار الإمام محمد أبو زهرة إلى أن هذه الأحاديث فى باب نزول عيسى بالذات إنما هى أحاديث آحاد ، وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها فى أمور ومسائل المعتقدات .

ولقد أشار الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق المرحوم فضيلة الشيخ محمود شلتوت إلى أن علماء الجرح والتعديل قد انتهوا إلى تضعيف هذه الأحاديث فى هذا الباب ، ولست أنا الذى يقول بتضعيفها .

وليس هنالك باب للشك فى أحاديث البخارى يُفتح ويُغلق . إننى أثق إلى حد كبير فى أحاديث الإمام البخارى التى بذل جهوداً خارقة للعادة فى سبيل جمعها وتخليصها من الأحاديث المدسوسة والموضوعة . ولكن الإمام البخارى لم يكن نبياً من الأنبياء ، والعصمة لا تكون إلا لنبى .

ماذا كانت مهمة الإمام البخارى على وجه التحديد يا صاحبى ؟

لقد كانت مهمته هى استبعاد الأحاديث المدسوسة والموضوعة واستخلاص الأحاديث النبوية الصحيحة وإثباتها فى صحيحه . ولقد وُفِّقَ الإمام البخارى فى مهمته إلى حدٍّ كبير ، ولكن الكمال لله وحده ، والعصمة لا تكون إلا لنبى .

هاك يا صاحبى صورة ضوئية مصغرة للصفحة الأولى من كتاب صحيح البخارى فى مستهل ترجمة الإمام البخارى رضى الله عنه ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ومنها يتضح أن الإمام البخارى رضى الله عنه قد قام بجمع وفحص ستمائة ألف حديث ولم يستبق منها فى صحيحه إلا سبعة آلاف ومئتين وخمسة وسبعين حديثاً .

٣

ترجمـــة

الامام البخارى رضى الله تعالى عنه (١)

هو أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن اسماعيل بن ابراهيم بن بردزبه الجعفى بالولاء ، ولد ببخارى عام ١٩٤ هـ ، ونشأ بها يتيما لحفظ القرآن ، وحبب اليه سماع الحديث ، لحفظ عشرات الألوف من الأحاديث قبل أن يناهز البلوغ ، ثم رحل فى طلب الحديث الى أكثر ممالك الشرق من خراسان والجبل والعراق والحجاز ومصر والشام .

ولما نضج علمه شرع فى تمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها بعد أن عرف عللها ووجوهها معرفة لم تتم لأحد مثله ، فكان المقدم بذلك على جميع علماء الأرض ، واستخرج كتابه هذا (الجامع الصحيح) فى ست عشرة سنة من ستمائة ألف حديث .

وكان رحمه الله يقول « كتبت عن ألف وثمانين رجلا ليس فيهم الا صاحب حديث كلهم يقول الإيمان قول وعمل و يزيد وينقص ، وما وضعت فيه - أى فى كتابه الصحيح - حديثا الا اغتسلت وصليت ركعتين »

وروى عنه - رحمه الله - رجال كثيرون ، وعظمه العلماء غاية التعظيم ، حتى أن الإمام مسلما - صاحب الصحيح - كان كلما دخل عليه يقول له : « دعنى أقبل رجليك ياطبيب الحديث فى علله ، ويا سيد المحدثين » .

وكان يقوم بعد التراويح فى رمضان بثلث القرآن ، وكان مجاب الدعوة ، وصحيحه رضى الله عنه أصح كتب السنة ، وعدد أحاديثه سبعة آلاف ومئتان وخمسة وسبعون ، وبإسقاط المكرر أربعة آلاف ، وقيل غير ذلك . . وقد تنازع البخارى المذاهب الأربعة ، والصحيح أنه مجتهد .

وظل طول حياته يتردد بين الأمصار ، ويقيم ببغداد ونيسابور حتى اشتاق الى بلاده فرجع اليها وابتلى فيها بفتنة خلق القرآن ، فأخرجه أهل بخارى ومات فى طريقه بقرية يقال لها خرتنك على ثلاثة فراسخ من سمرقند عام ٢٥٦ هـ .

ومؤلفاته - رحمه الله - كثيرة معظمها فى الحديث ، ورجال الحديث ، أهمها الجامع الصحيح . ومنها الأدب المفرد فى الحديث ، والتاريخ الصغير فى رجال الحديث ، وثلاثيات البخارى « والمراد به هو مااتصل الى رسول الله ﷺ بثلاثة رواة ، وكتابه الحديث النبوى » وخلق أفعال العباد ، وكتاب الضعفاء الصغير فى رواة الحديث اهـ .

(١) من شرح الشبرخيتى على الاربعين النووية ، وابن خلكان ، ومفتاح السعادة ، وطبقات السبكى .

٦٠٠,٠٠٠ صحيح وغيره
٧,٢٧٥ صحيح البخارى
٥٩٢,٧٢٥ استبعدت

∴ استبعد الإمام البخارى رضى الله عنه خمسمائة ألف واثنان وتسعون ألفا وسبعمائة وخمس وعشرون حديثا مدسوسا !!!

ومنه يتضح أن مهمة علماء الحديث المسلمين كانت مهمة بالغة الصعوبة ، ويعتبر إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الأحاديث الصحيحة مكسباً حقيقياً للإسلام والمسلمين دون ريب . ولست أعتقد أنه يمكن لإنسان يعيش فى الحلقة الأخيرة من القرن العشرين أن يحيط بالأسباب التى تمكنه من ولوج باب الدخول فى ميدان هذا العلم . ولذلك نكتفى فى العادة بما وفَّره لنا أسلافنا فى مباحث علم الحديث .

ومن المعروف الثابت المتفق عليه يا صاحبى أن المصدر الأول للعقيدة والشريعة فى الإسلام هو القرآن الكريم . والمصدر الثانى هو السنة النبوية الشريفة الصحيحة . والمصدر الثالث هو الرأى والقياس . ويرى بعض علماء الإسلام أن العقيدة الإسلامية مصدرها القرآن الكريم وحده ، أما الشريعة الإسلامية فمصدرها القرآن والسنة الصحيحة والرأى والقياس .

وترتيب هذه المصادر إنما هو على نحو ما أوردناه ، فما وُجد فى القرآن أُخذ منه ولا يطلب من مصدر سواه . وما لم يوجد فى القرآن بحث عنه فيما صحت روايته وثبت وروده عن الرسول ﷺ ، فإذا وجد فيه أُخذ منه ولم يطلب من مصدر سواه . وإذا لم يوجد له مصدر من كتاب ولا سنة صريحين كان مصدره البحث والنظر من أهل العلم بالقرآن والسنة ، وبروح التشريع وقواعده العامة ، وهم المعروفون باسم « المجتهدين » والمعروف عنهم بحثهم ونظرهم باسم « الاجتهاد » . وقد تقررت فى الإسلام مصدرية المصادر الثلاثة للشريعة على هذا الترتيب من عهد النبى ﷺ إلى يوم الدين » [١] .

ونخلص من ذلك يا صاحبى إلى أن مسألة نهاية شأن المسيح عيسى ابن مريم مع قومه وما يتصل بها من الزعم بصعوده حياً بجسمه وروحه إلى السماء ونزول سيدنا عيسى آخر الزمان إنما هى مسألة تتصل بالعقيدة ولا تتصل بالشريعة ، ويحسمها القرآن الكريم دون سواه مع بالغ الاحترام لما ورد بشأنها فى السنة ، لو كان قد ورد بشأنها صحيح سنةٍ .

هذا بديهى يا صاحبى . وعندما تكون بصدد أن تختار بين أن يعتبر الناس القرآن ـ لا قدر الله ـ كاذباً فيما أخبر به عن عدم قتل سيدنا عيسى صلباً وعن وفاته وفاة طبيعية بعد استيفاء أجله وبين تطبيق محتوى بعض الأحاديث المنسوبة للنبى ﷺ أثبت علماء الجرح والتعديل ضعفها الشديد وأنها أحاديث آحاد ، فأى الضررين نختار ؟ هل نقبل

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ، لفضيلة الإمام الأكبر الأسبق المرحوم الشيخ محمود شلتوت: ص ٤٦٨ ، ٤٦٩ ـ طـ ١ ـ دار الشروق بالقاهرة .

بإمكانية تكذيب القرآن الكريم فى خبر صريح أخبرنا به الله فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع أم نقبل باحتمالية دس ووضع هذه الأحاديث التى أجمع علماء الجرح والتعديل على ضعفها وكونها أحاديث آحاد ؟

ولو كانت هذه الأحاديث موضوعة مدسوسة - ولست أنا الذى أقول بوضعها ودسها ، ولكن يقول بذلك علماء الحديث - أفلا يكون هذا هدفاً كبيراً للوضاعين والدساسين من خصوم الإسلام ؟ لقد جعلوا المسلمين يختارون بين تكذيب القرآن الكريم فيما أخبر به عن نهاية شأن سيدنا عيسى مع قومه أو تكذيب بعض الأحاديث النبوية التى لا يعلم إلا الله مدى صحتها ونسبتها إلى النبى ﷺ . وإذا كان علينا أن نطبق القاعدة الشرعية التى تقضى بتحمل أهون الضررين ، فماذا نختار ؟ وأى الضررين أخف ؟ تستطيع يا صاحبى أن تختار دون ريب .

قال صاحبى : وماذا عساه أن يكون السبب فى أن يورد إمام من أئمة الحديث النبوى الشريف ، محقق ومدقق مثل الإمام البخارى رضى الله عنه وأرضاه هذه الأحاديث المعروفة عن نزول عيسى وقتل المسيح الدجال فى سِفْره الجليل المسمى بصحيح البخارى ؟

قلت : كان الإمام البخارى عبقرياً حصيفاً ملهماً عندما صنف صحيح البخارى على شكل أبواب ليست مثل أبواب الكتب المعروفة ، ولكنها أبواب من نمط فريد ، ذلك أن الإمام البخارى كان يخشى - والله أعلم - أن يخونه التوفيق فى مهمته بصدد أى حديث أو مجموعة أحاديث ، وأراد - والله أعلم - ألا يمتد الخطأ أو تأثير الخطأ إلى الثقة فى كل ما جمع من صحيح الأحاديث قَدْر اجتهاده ، من جهة ، ومن جهة أخرى نستطيع يا صاحبى أن نلاحظ بوضوح أن الأحاديث التى أوردها الإمام البخارى رضى الله عنه وأرضاه فى هذين البابين ، باب نزول عيسى ، وباب المسيح الدجال ، هذه الأحاديث إنما تستند إلى التفسير الوحيد المجمع عليه لدى جمهور المفسرين الأوائل ، ولو استبعد الإمام البخارى هذه المجموعة من الأحاديث ينهار التفسير الوحيد المجمع عليه لدى جمهور المفسرين لبعض آيات القرآن الكريم المتصلة بنهاية شأن المسيح مع قومه ، مثل الآية ١٥٧ من سورة النساء .

ومن المعروف - يا صاحبى - أن تفسير القرآن الكريم سابق زمنياً على ظهور علم الحديث ، ومعنى ذلك بوضوح هو وجود ما يسمى بالدور بين سلسلة من الأفكار والآراء يعتمد كل منها على الآخر كدليل على صحة كل منها ، التفسير غير الموفق

للآية ١٥٧ من سورة النساء يسند الأحاديث والأحاديث تسانده . ونظرية إلقاء شبه عيسى على شخص آخر غيره تمهد للقول برفعه حياً بجسمه وروحه إلى السماء . ويتم تبرير القول برفع سيدنا عيسى إلى السماء حياً بجسمه وروحه بأنه السبيل الوحيد لتبرير اختفاء سيدنا عيسى من بين قومه وأعدائه بعد أن ألقى الله شبه عيسى على غيره ، بينما هنالك احتمال آخر أبسط وأوضح وأقرب إلى الصواب والمعقولية هو مجرد ابتعاده عن أنظارهم بالسير فى أرض الله الواسعة مشمولاً بعناية الله ورعايته . ولقد كان تحرك أنبياء الله ورسله يتم على نطاق واسع فى أنحاء المعمورة آنذاك . كان سيدنا إبراهيم يتحرك بين أرض الرافدين والمكان الذى عرف فيما بعد باعتبار أنه مكة ، وفى أماكن أخرى . وكان سيدنا موسى عليه السلام يتحرك من مصر إلى سيناء إلى تخوم فلسطين . وكان إخوة سيدنا يوسف عليه السلام يمتارون القمح من مصر . وهكذا .

وأفضى القول بصعود سيدنا عيسى حياً بجسمه وروحه إلى السماء إلى القول بنزوله آخر الزمان لتتم وفاته لأن كل نفس ذائقة الموت .

ويساند هذه الآراء أحاديث يصل عددها إلى تسعة عشر حديثاً هى السند الوحيد لهذه الآراء ، فلا يكاد يوجد مثل هذا العدد من الأحاديث المساندة لرأى من الآراء على الإطلاق .

ومحتوى هذه الأحاديث نفسها غريب فى بابه غير مألوف . وكل من يريد أن يصدق بها ويقيم لنفسه رأياً مؤداه أن المسيح حى فى السماء وأنه سينزل آخر الزمان فليفعل .

صحيح أن النبى ﷺ قد تنبأ بالغيب مثل فتح المسلمين لبلاد فارس وارتداء سراقة بن مالك لتاج كسرى ، وكل ما تنبأ به النبى ﷺ قد تحقق كله . وصحيح أن القرآن الكريم قد أخبرنا عن كثير من المعجزات ، ولكن ذكرها الله فى القرآن الكريم على نحو صريح . وصحيح أن القرآن الكريم يحدثنا عن خوارق ستحدث كعلامات على قرب قيام الساعة مثل الدابة التى ستكلم الناس ، ولكن القرآن الكريم نصّ على ذلك صراحة . ونقول كمسلمين بشأن ما نصّ الله عليه صريحاً : « صدّقنا وآمنّا » ، ونحن ملزمون فحسب بالسنة النبوية الصحيحة وليس بما لم تصح نسبته إلى النبى ﷺ .

ولقد كان صحابة رسول الله ﷺ ، وكان المسلمون الأوائل ، يتحرزون فى قبول الحديث عن النبى ﷺ .

قال الذهبى فى ترجمة أبى بكر رضى الله عنه : إن (أبو بكر) كان أول من احتاط فى قبول الأخبار . وروى ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت إلى أبى بكر رضى الله

عنه تلتمس أن تُورَّث ، فقال لها أبو بكر رضى الله عنه : ما أجد لك فى كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً ، ثم سأل الناس ، فقام المغيرة فقال : كان رسول الله ﷺ يعطيها السدس . فقال له سيدنا أبو بكر رضى الله عنه : هل معك أحد [١] ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك ، فأنفذه لها أبو بكر [٢] .

هذا فى مسألة تتعلق بحطام الدنيا ، فما بالنا بمسائل تتعلق بشأن الدين والعقيدة ؟

ولقد أوصى الإمام على بن أبى طالب بشأن الحديث والاحتجاج به وصية بالغة الحكمة وكأنه يشهد ما نحن بصدده اليوم يا صاحبى ، إذ قال الإمام على كرم الله وجهه : « حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذَّب الله ورسوله ؟ » ولو وضع الوضاعون حديثاً مدسوساً نسبوه إلى النبى ﷺ زوراً ، وكان بذلك الحديث ما يعارض ويناقض خبراً فى القرآن الكريم ، فلا يكون هنالك إلا احتمالان : أن يكون القرآن ـ لا قدر الله ـ كاذباً ، أو يكون الرسول ﷺ ـ لا قدر الله ـ كاذباً ، ولا يوجد احتمال ثالث إلا افتراض أن يكون الحديث موضوعاً مدسوساً .

وعلى كل حال يا صاحبى ، أكرر لأؤكد أننى أضعفُ من أن أُضعِّف حديثاً ، ولو كان حديثاً ضعيفاً ، ليس هذا من شأنى ، ولا أقول به أبداً . إن للأحاديث النبوية الشريفة علماءها الذين امتلكوا الوسائل والإمكانات التى تجعلهم يعرفون صحيح الأحاديث من مدسوسها . وكل ما أوصى به ـ إن قبل أحد منى وصية ـ هو ضرورة التدقيق فى قبول الأخذ بحديث نبوى شريف يتعارض مع صريح القرآن الكريم . ولو حدث ذلك يؤخذ بما يقرره القرآن الكريم بهذا الشأن ، إعمالاً لقاعدة شرعية متفق عليها وهى أن « ما وُجد فى القرآن الكريم يؤخذ به ولا يلتفت إلى سواه » .

يقول فضيلة الإمام الأكبر المرحوم الشيخ محمود شلتوت رحمه الله : « أما آية النساء فإنها تقول ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيهِ ﴾ وقد فسرها بعض المفسرين بل جمهورهم بالرفع إلى السماء ، ويقولون : إن الله ألقى شبهه على غيره ورفعه بجسده إلى السماء فهو حى فيها وسينزل منها آخر الزمان ، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ، ويعتمدون فى ذلك :

أولاً : على روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال ، وهى روايات مضطربة مختلفة فى ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها . وقد نصَّ على ذلك علماء

---

(١) يعنى : هل شهد وعاين وسمع شخص آخر معك ما تقول به عن رسول الله ﷺ .

(٢) انظر : علم الحديث ـ تأليف الإمام أحمد بن تيمية ـ ص ١٧ ، ط. دار الكتب الإسلامية بالقاهرة .

الحديث . وهى فوق ذلك من رواية وهْب بن مُنبّه وكعْب الأحبار ، وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام ، وقد عرفت درجتهما فى الحديث عند علماء الجرح والتعديل[(١)] » .

من الذى يضعف الأحاديث الواردة فى هذا الشأن يا صاحبى ؟ وأضيف إلى ذلك يا صاحبى أن حديث النبى إلى وفد نصارى نجران فى العام العاشر الهجرى قد نص صراحة على وفاة سيدنا عيسى عليه السلام قبل مجىء نبى الإسلام ، إذ قال ﷺ لأعضاء الوفد : « ألستم تعلمون أن ربنا حىٌّ لا يموت وأن عيسى أتى عليه الفناء ؟ » قالوا : بلى .

أيهما نصدق يا صاحبى : حديث النبى هذا إلى وفد نصارى نجران الذى تجمع كتب السيرة الشريفة ، وكتب التفسير ، وكتب أسباب النزول ، على صحته فى العام العاشر الهجرى ، أم نصدق أحاديث عجيبة منسوبة إلى النبى لم تظهر إلا بعد عشرات السنين ، بل مئات السنين من انتقال نبى الإسلام ﷺ إلى الرفيق الأعلى ؟

اتق الله يا صاحبى ، ولا تتهم الناس بأنهم ينكرون الأحاديث « الصحاح » لمجرد أنهم يأخذون بصريح القرآن وبما هو أصح من « الصحاح » .

يا صاحبى إن من المتعصبين تعصباً أعمى من يتهم الناس بالمروق من اتباع سنّة رسول الله لمجرد أنهم يقولون « سيدنا محمد » وكأن وصف رسول الله ﷺ بأنه « سيدنا » خروج عن سنة رسول الله ومروق من اتباعها . فى حين روِى البخارى فى صحيحه أن سيدنا عمر رضى الله عنه قال : « أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا » . يقصد أن سيدنا أبا بكر أعتق سيدنا « بلالاً » الحبشى رضى الله عنه . فى حين أن سيدنا محمداً ﷺ هو سيد الخلق جميعاً فى الدنيا والآخرة . ولقد وصف الله سبحانه وتعالى سيدنا يحيى عليه السلام بأنه كان سيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين . ويجوز بطبيعة الحال وصف النبى بأنه سيدنا . ويتهم بعض من يسمون أنفسهم بالسلفيين من يقول « سيدنا محمد » بالمروق من السنة ، ويظنون أنهم يدافعون عن السنة وهم يسيئون إليها فى حقيقة الأمر ، ولا يرضيك يا صاحبى أن يكون الحال على هذا المنوال .

(١) انظر : فتوى الإمام الأكبر الأسبق المرحوم الشيخ محمود شلتوت فى : مجلة الرسالة : السنة العاشرة ، العدد (٤٦٢) .

أقـــول لمـن يعترضـــون :

على قول « سيدنا رسول الله » :

حـــرام عليكـــم

إنه سـيد الأولـين والآخرين

(صورة ضوئية لما نشرته الصفحة الدينية من جريدة المساء الصادرة يوم الجمعة ٢ فبـراير سنة ١٩٩٦م ، وقـد ردَّ فضيـلة الشيخ شعبـان الغـرباوى على مَـنْ يعتـرضـون على أن يقـول المسلمون « سيـدنا رسول الله » ، وأوردنا بعضـه)

قال صاحبى : مـاذا يمكن أن نخلُص إليـه فى مـسألة نـهاية شأن المسيح مع قـومه عموماً ، وفى مسألة موت المسيح على الصليب أو عدم موته خصوصاً ، وهل توفاه الله بعد نجاته من الموت صلباً ، أم رفعه الله إليه حياً بجسمه وروحه ، وهل سينزل آخر الزمان أم لا ؟ وما هو حكم من اعتقد هذا الاعتقاد أو ذاك من المسلمين ؟

قلت : يقـال إن هنالك رأيين فى هـذا الصـدد ، وأقـول : بل ثـلاثة آراء . وتستطيع يا صاحبى أن تعتقد صحة أى منها كما تشاء .

الرأى الأول : يرى أصحابه أن الله قد أنقذ المسيح عليه السلام مما أراده به أعداؤه من القتل صلباً ، وكانت كيفية إنقاذ الله رسوله المسيح فى نظرهم هى إلقاء شبه المسيح على شخص آخر ، أخذوه وصلبوه وقتلوه ونجا المسيح . فلما ظهرت لهم مشكلة ما حدث للمسيح بعد نجاته على هذا النحو الذى ذكروه اعتبروا أن الرفع ليس رفع منزلة ومكانة بل هو رفع بالمعنى الحسى المتعارف عليه للأجسام من مكان إلى مكان . قالوا : رفعه الله بجسمه وروحه إلى السماء حياً ، فهو موجود حىٌّ فى السماء فى نظرهم . وقالوا : إنه سينزل آخر الزمـان ليكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقتل المسيح الدجال بباب لدّ . ثم ظهرت أحاديث نبوية منسوبة إلى النبى ﷺ تعنى نزول سيدنا عيسى آخر الزمان وتنسب إليه ما سيصدر منه فى رأيهم . ولما ظهرت هذه الأحاديث اتخذها القائلون بهذا الرأى فى أيامنا هذه سنداً لصحة رأيهم . ولا يخالجنا شك أن رأيهم الذى كان موجوداً قبل ظهور هذه الأحـاديث عن نزول عيسى وظهور الدجال كان سند علماء الحديث فى قبولهم لهذه الأحاديث ، أى أنه يوجد بالنسبة لهذا الرأى ما يسمى بالدَّوْر .

تفسير كلام الله فيما يتعلق بنهاية شأن المسيح مع قومه أفضى إلى إفساح الطريق لقبول علماء الحديث بهذه الأحاديث ، ثم أصبحت الأحاديث سنداً لصحة رأيهم فى التفسير . وترتب على هذا الرأى نتائج خطيرة تجعل عقائد المسلمين بالنسبة لهذا الموضوع عموماً ، وبالنسبة للسيد المسيح عليه السلام خصوصاً مشابهة تشابهاً خطيراً لآراء النصارى فى المسيح مثل أنه حى وأنه سيجىء آخر الزمان . كما أن هذا الرأى يسلب من المسلمين أقوى الأدلة على عدم ألوهية المسيح وهو الدليل المتمثل فى أن المسيح عليه السلام كان يأكل طعام البشر ، وكان يشرب شراب البشر ، وكان يخرج فضلات الطعام والشراب بطبيعة الحال كما يفعل كل البشر ، ومات المسيح كما يموت كل البشر . هذا الرأى يسلب المسلمين هذا الدليل ، وهو دليل قوى أشار إليه الله سبحانه وتعالى فى قوله :

﴿ ما المسيحُ عيسى ابن مريمَ إلاَّ رَسُولٌ قد خلَتْ مِن قَبلِه الرُّسُلُ وأُمُّه صِدِّيقةٌ كانا يأكُلانِ الطَّعامَ انظُرْ كيف نُبيِّنُ لهُم الآياتِ ثُمَّ انظُرْ أنَّى يُؤفكُونَ ﴾ . (المائدة : ٧٥)

ولقد أشار نبى الإسلام ﷺ إلى هذا الدليل القوى وإلى أدلة أخرى تدل على عدم ألوهية عيسى عليه السلام فى حديثه إلى وفد نصارى نجران فى العام العاشر الهجرى ، ولم تكن أحاديث نزول عيسى ليقتل الدجال ويقتل الخنزير ويكسر الصليب قد ظهرت إلى حيز الوجود والذيوع بين الناس بعد ، إذ قال رسول الله ﷺ لوفد نصارى نجران : « ألستم تعلمون أن ربنا حى لا يموت وأن عيسى أتى عليه الفناء ؟ » قالوا : بلى .

ويصطدم هذا الرأى بما يسميه خصوم الإسلام « التواتر » و « شهادة شهود العيان » كما يتيح هذا الرأى لخصوم الإسلام أن يتهموا القرآن الكريم بالكذب لا قدر الله ـ فهو اتهام زائف عار تماماً من الصحة ، والكذب ثابت عندهم وعليهم وليس فى القرآن الكريم .

يتهمون القرآن الكريم بالكذب فيما أخبرنا به الله من نفى قتل المسيح صلباً ، ويعزز اتهامهم ما يزعمونه من شهادة شهود العيان والتواتر ، وهو ما أتاحه لهم وجود زيادات وتجاوزات لدى القائلين بهذا الرأى على كلام الله فى هذا الصدد سبق أن أشرنا إليها ، وهذه التجاوزات والزيادات هى التى يركز عليها خصوم الإسلام اتهامهم الزائف للقرآن الكريم بالكذب فيما أخبر به الله من نفى قتل المسيح صلباً فى مثل قوله تعالى : **﴿ وما قَتلُوه وما صَلَبُوه ولَكن شُبِّهَ لهُم ﴾** . (النساء : ١٥٧)

والرأى الثانى : يتفق مع الرأى الأول فى أن المسيح عليه السلام لم يقتله أعداؤه

صلباً ، ويتفق مع الرأى الأول فى أن الله قد أنقذ المسيح من كيد ومكر أعدائه الذى بلغ ذروته فى محاولتهم قتل المسيح صلباً .

ويختلف أصحاب الرأى الثانى عن أصحاب الرأى الأول فى بيان كيفية إنقاذ الله للمسيح . إن نظرية إلقاء شبه المسيح على غيره تفسيراً لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولكنْ شُبِّهَ لهم ﴾ تبدو لأصحاب الرأى الثانى غير مقنعة من حيث الاشتقاق اللغوى من فعل « تشابه » الذى يعنى الاختلاط مع انتفاء المماثلة والمطابقة ، ومن حيث اللزوم إذ أن الله قادر على إنقاذ المسيح دون الاضطرار إلى إلقاء شبه المسيح على غيره ، ويتنافى ذلك مع المعروف الثابت من عدل الله سبحانه وتعالى ، إذ لا تزر وازرة وزر أخرى .

ولقد منَّ الله على كاتب هذه السطور باكتشاف وجه آخر لنفى الصلب والقتل عندما لا يكون الشخص المراد قتله صلباً قد مات على الصليب ، وعندئذ يجوز ويصح ولا توجد استحالة ولا يوجد كذب عندما يقول قائل عن شخص تم وضعه فعلاً على الصليب بقصد قتله صلباً ، وعندما لا يموت هذا الشخص على الصليب يصح أن يقال عنه إنهم ما قتلوه وما صلبوه ، وإن ظنوا ذلك وتوهموه .

وبهذا تكون كيفية ومكان وزمان إنقاذ الله لرسوله المسيح عليه السلام قد وضُحت دون حاجة إلى نظرية إلقاء شبه المسيح على غيره ، ونجد لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولكن شُبِّهَ لهم ﴾ معنى آخر أقرب إلى الصواب منَّ الله على كاتب هذه السطور بالاهتداء إليه وهو أن المعنى هو : « تشابه أمر موت أو عدم موت سيدنا عيسى على أعدائه » ذلك هو ما ظنوه واختلفوا فيه ، ظن بعضهم وقالوا : مات على الصليب ، وظن بعضهم الآخر وقالوا : لم يمت على الصليب . وانتصر بينهم الرأى القائل بموته على الصليب عند من ظنوه قد مات ، فأنزلوه حياً عن الصليب ، ووضعوه فى مدفن منحوت فى الصخر ، أى أنهم لم يضعوا فوق جثمانه تراباً ولا رمالاً ، كما أنهم بفضل الله لم يكونوا قد قطعوا رِجلَيه . ومن الطبيعى أن يقيِّض الله الأسباب ليخرج سيدنا عيسى عليه السلام من مدفنه . كل ذلك يمكن تصوُّره ببساطة ووضوح ودون كسرٍ لمألوف الأعراف فى مثل هذه الحالات .

ويرى أصحاب هذا الرأى الثانى أن سيدنا عيسى انتهى شأنه مع قومه عند هذا الحد ، أى عند اجترائهم على محاولة قتله صلباً . والقرآن الكريم يهتم بتفاصيل شئون أنبياء الله مع أقوامهم حال قيام أنبياء الله بالدعوة إلى الله . وبعد انقضاء قيام أنبياء الله بالدعوة إلى الله لا يذكر القرآن الكريم من تفاصيل حياة أنبياء الله شيئاً . انتهت تفاصيل شئون سيدنا

نوح مع قومه بالطوفان ، وانتهت تفاصيل شئون حياة سيدنا إبراهيم مع قومه بمحاولة قوم سيدنا إبراهيم قتله حرقاً . وانتهت تفاصيل شئون سيدنا عيسى مع قومه بمحاولتهم قتله صباً . لماذا لا يسأل أحد عن مصير سيدنا نوح وكيفية وفاته بعد الطوفان ؟ ولماذا لا يسأل أحد عن مصير وكيفية وفاة سيدنا إبراهيم بعد محاولة قومه قتله حرقاً بالنار ؟ لماذا طنين هذه الأسئلة المزعج عن كيفية وفاة سيدنا عيسى ؟ هل كل هذا الطنين المزعج والرنين المفزع الصادر عن أجراس خصوم الإسلام بحثاً عن كيفية موت سيدنا عيسى ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا فى القرآن الكريم أن أعداء المسيح من اليهود ظنوا وادعوا بناءً على ظنهم أنهم قتلوا وصلبوا المسيح ، فأنزل الله فى القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ ما يفيد نفى هذا القول الذى قال به اليهود بناءً على ظنهم ، إذ قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وقولِهم إنَّا قَتَلْنا المسيحَ عيسى ابنَ مريمَ رسولَ اللهِ وما قَتَلُوه وما صَلَبُوه** ﴾ . (النساء : ١٥٧)

وقالوا : يوجد عندنا شهود عيان على أنه قد تم القبض على المسيح فى بستان وذكروا اسم هذا البستان وهو « جيثمن » ويحددون مكانه بأنه على بعد خمسة أميال من مدينة « أورشليم » . وقالوا : عندنا شهود عيان على أن أعداء المسيح قد وضعوه على الصليب. وعندنا شهود عيان على أنه مات على الصليب . وهذه الأخبار تواترت إلينا . هل ننكر ما تواتر إلينا من شهادات شهود العيان لنصدق القرآن ؟

ويحاولون هكذا أن يكذبوا القرآن بكل وقاحة وصراحة ، ويحسبون أنهم بحساب المنطق والمعقولية يستطيعون ذلك الذى يحاولون . ولكن يخيب فألهم بالمنطق والمعقولية التى يتظاهرون بأنهم لا يرضخون لأى شيء سواها ، وهو ادعاء كاذب من جانبهم دون ريب . إنهم إزاء هذا الخبر من أخبار القرآن الكريم يتمسكون بالمنطق والمعقولية والموضوعية وغير ذلك .

حسناً يا صاحبى . لو أخذنا بصحة هذا الرأى الثانى لا يستقيم للمكذبين بالقرآن الكريم بشأن هذا الخبر منطق أو معقولية ولا يصبح لما يزعمونه من تواتر وشهود عيان أى قيمة بأصول المنطق والمعقولية عندما نسلّم لشهود العيان بصحة ما شهدوا به ، ونرفض شهادتهم بشأن ما يستحيل أن يشهد بشأنه أى شاهد بأى شهادة ، وهو بيت القصيد ، وهو مسألة موت أو عدم موت سيدنا عيسى على الصليب .

يستحيل أن يوجد على وجه الأرض « شاهد عيان واحد » بشأنها يستطيع أن يشهد على سبيل القطع أن روح إنسان قد فارقت جسمه فى ساعة معينة من الزمان ، أو أن

روحه لم تفارق جسمه . ويستحيل أن يوجد ثمة « تواتر » بهذا الصدد . ويستحيل بالتالى أن يدعى خصوم الإسلام أن القرآن كاذب فيما أخبر به من عدم قتل وصلب سيدنا عيسى . نفى القرآن ـ بحق وصدق ـ القتل عن سيدنا عيسى ﴿ وما قتلوه ﴾ ، ونفى القرآن الكريم ـ بحق وصدق ـ الصلب عن سيدنا عيسى ، فما الصلب إلا بيان لكيفية القتل ، وإذ لم يمت المسيح على الصليب يصح قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وما صلبوه ﴾ ، ولا يجدى فى محاولة تكذيب المكذبين للقرآن الكريم شهادة شهود العيان أو وجود تواتر .

ولذلك عمد خصوم الإسلام إلى تقديم معلومات خاطئة لبعض المفسرين المسلمين عن نهاية شأن المسيح مع قومه مثل نظرية إلقاء الشبه التى يسخرون منها ، ويهاجمونها أول ما يهاجمون .ونظرية إلقاء الشبه هذه ليست من كلام الله . لم يقل الله أنا ألقيت شبه عيسى على هذا الشخص أو ذاك .

إنها نظرية تصح إذا قامت عليها براهين وتوافرت لها أدلة . إنها رأى رآه بعض المفسرين أو أمدهم به أهل الكتاب الذين كانوا معاصرين لهم . ويصح الرأى لو قامت عليه أدلة ، وتوافرت له براهين ، وتنهار النظرية وينهار الرأى لو لم تقم عليه براهين أو لم تتوافر له أدلة .

ويعتبر أصحاب الرأى الثانى أن رفع سيدنا عيسى الذى أقره على نحو مادى محسوس بالجسم والروح أصحاب الرأى الأول لا ينبغى فهمه على هذا النحو المادى الحسى إذ أنه رفع منزلة ومكانة بدليل أنه مقرون بالتطهير من اتهامات أعدائه والغلاة من أتباعه فى مواضع أخرى من القرآن الكريم مثل قوله سبحانه تعالى :

﴿ يا عيسى إنّى متوفّيكَ ورافعُكَ إليّ ومُطهّرُكَ منَ الّذين كفرُوا وجاعلُ الّذين اتّبعُوكَ فوق الّذين كفرُوا إلى يومِ القيامةِ ﴾ . (آل عمران : ٥٥)

وترجيح أن الرفع رفع منزلة ومكانة واضح الأولوية دون ريب . إذ أن وجود سيدنا عيسى حياً بجسمه وروحه فى السماء يحتاج مكاناً معيناً محدداً والله موجود فى كل مكان ، لهذا الرأى المادى الحسى مشاكل هى مشاكل الإنسان الحى المعروفة ، وتفسير الرفع على النحو المادى الحسى يجلب إلى المسلمين مشاكل لا وجود لها .

عندما نأخذ بهذا الرأى الثانى الذى يعتبر أن الرفع رفع منزلة ومكانة وليس رفعاً بالجسم حياً وبالروح أيضاً ، والتطهير يوضح كيفية الرفع ، إذ أنه تطهير من اتهامات

أعدائه ومبالغات من يسمون أنفسهم باسم أتباعه . وهو رفع حقيقى لمنزلة ومكانة سيدنا عيسى ولا يصح أن يفهم أحد كلمة « فوق » الموجودة فى قوله : ﴿ **فوق الَّذين كَفرُوا** ﴾ على نحو حسى مادى مكانى بأى حال من الأحوال ،كما أنه لا يصح أن يفهم أحد من قولنا : « إن شخصاً قد انتقل إلى جوار ربه » أن هذا الشخص قد أصبح مجاوراً لله مجاورة الجار للجار فى بيوت الناس .

وإذ انتفى القتل صلباً ، وانتفى موت المسيح على الصليب ، دون الحاجة إلى نظرية إلقاء شبه المسيح على غيره ، وإذ انتفى صعود سيدنا عيسى إلى السماء ، واتفق أصحاب الرأى الثانى على أن الرفع رفع منزلة ومكانة ، فلا معقولية لما ينادى به أصحاب الرأى الأول فى نزول سيدنا عيسى آخر الزمان ليقتل الدجال، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، حيث إنه لا ينزل من لا يصعد . وإذا لم يكن قد صعد فلن ينزل ، اللهم إلا إذا نزل عن المستوى الذى هو موجود فيه مما يجعل النزول انحداراً ، وليس كنزول من صعد عن مكانه لينزل إلى ذات مكانه أو إلى ذات المستوى الذى كان موجوداً فيه قبل صعوده .

ولا أخفى عليك يا صاحبى أن أصحاب الرأى الثانى يصطدمون بطبيعة الحال بما ذكرته من وجود أحاديث وردت فى صحيح البخارى فى باب نزول عيسى ، وفى باب الدجال ، تفيد نزول سيدنا عيسى آخر الزمان ، وتنسب له حين نزوله ما تنسبه .

وأصحاب هذا الرأى لا يلتفتون بطبيعة الحال إلى الأخذ بهذه الأحاديث إذ أن بعضها « فى نظرهم » ضعيف ، وبعضها الآخر « أحاديث آحاد » ، ولا يؤخذ بحديث ضعيف أو حديث آحاد فى شأن يتصل بعقيدة المسلم .

ولقد سبق أن أشرنا إلى وجود قاعدة شرعية متفق عليها بين فقهاء الإسلام هى أن وجود نص من القرآن فى شأن من شئون العقيدة الإسلامية يوجب الأخذ بنص القرآن فى هذا الشأن دون التفات إلى ما سواه إن وجد . وأصحاب الرأى الثانى يعملون هذه القاعدة الشرعية ويطبقونها فيما يتعلق بنهاية شأن المسيح مع قومه دون التفات أو نظر من جانبهم إلى شيء سوى كلام الله فى هذا الشأن بالقرآن الكريم .

كما أن حديث النبى إلى وفد نصارى نجران من أن « عيسى قد أتى عليه الفناء » حديث أسبق وأصح من أى حديث آخر منسوب إلى النبى ﷺ فى هذا الصدد .

ولا أخفى عليك يا صاحبى أن أصحاب الرأى الأول يصطدمون بمشاكل كثيرة تنجم عن رأيهم الذى ذكرناه عنهم ، ومنها : وجود نصوص قرآنية تفيد أن رفع سيدنا عيسى عليه السلام هو رفع منزلة ومكانة وتطهير من اتهامات معروفة شنيعة ضد المسيح .

كان قومه أعداءً وأتباعاً يوجهونها إليه ، ولا ريب أن إبراء الله ساحة المسيح من هذه الاتهامات هو رفع الله للمسيح رفع منزلة ومكانة .

كما أن الرأى الأول يسلب المسلمين أهم الأدلة التى ذكرها الله وذكرها رسول الله لدحض ادعاء ألوهية المسيح ، ويجعل الرأى الأول عقائد المسلمين مشابهة لعقائد النصارى فى مواضع خطيرة لا يجوز التشابه فيها .

وتستطيع أنت يا صاحبى ، كما يستطيع كل مسلم ، أن يختار الرأى الأول أو الرأى الثانى ، ولا يملك كاتب مسلم مثلى بطبيعة الحال أن يفرض عليك يا صاحبى أو على غيرك أى رأى منْ الرأيين السابقين . إن مهمتى هى جمع المعلومات عن كل رأىٍ منهما ، لتكون مهمة الاختيار سهلة ميسورة لمن يريد أن يختار لو شاء الاختيار .

الرأى الثالث : يعتمد الرأى الثالث الذى أود أن أضيفه هنا يا صاحبى على أن مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه ليست ـ ويا للعجب ـ من أساسيات العقيدة الإسلامية ولا من أركانها ، وهى ليست مما بنى عليه الإسلام : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً »[1] .

وكل ما اتفق فقهاء الإسلام وأجمعوا عليه من مسائل العقيدة الإسلامية ليس من بينه اعتقاد معيَّن فى مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه[2] . قد يقال : إن هذه المسألة تندرج تحت ضرورة إيمان المسلم بأنبياء الله ورسله ، ويتحقق هذا الغرض تماماً عندما يؤمن الإنسان المسلم أن سيدنا عيسى عليه السلام كان فى حقيقة أمره نبياً رسولاً أرسله الله إلى قومه فأدى الأمانة وبلغ رسالة الله إلى قومه » ودعاهم إلى عبادة الله ، وصحح لهم ما حرفوه وبدلوه من شريعة سيدنا موسى إذ أن سيدنا عيسى لم يأت إليهم بشريعة جديدة ، كان يتبع ويدعو قومه إلى اتباع شريعة سيدنا موسى .

وبشَّر سيدنا عيسى بمجىء سيدنا محمد ﷺ خاتماً للأنبياء والمرسلين يوحى الله إليه العقيدة التامة والشريعة الكاملة .

---

(١) متفق عليه ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أورده الإمام النووى فى « رياض الصالحين » ص ٢٩٧ ، ٣١٨ ، ٣٣٢ .

(٢) وعلى النقيض من ذلك تُعتبر نهاية شأن المسيح مع قومه ومسألة الصلب والموت على الصليب هى نقطة ارتكاز الديانة المسيحية كلها ، إذ يرتبون على ذلك قيامة المسيح من بين الأموات بعد أن قهر الموت لأنه إله شاء أن يكون إنساناً ... إلخ .

ولقد آمن برسالة سيدنا عيسى قليل من بنى قومه وكفر بنبوته ورسالته معظم بنى قومه ، وشرعوا فى قتله صلباً وأنجاه الله من كيدهم وشروعهم فى قتله صلباً .

هذا هو كل ما يتصل بعقيدة المسلم بشأن سيدنا عيسى . وليست نهاية شأن سيدنا عيسى مع قومه من أساسيات العقيدة الإسلامية بأى حال من الأحوال .

وبناء على ذلك يغدو تصوُّر ورأى المسلم لكيفية نهاية شأن المسيح مع قومه غير ملزم لغيره . وبناء على ذلك لا يعد كافراً أو مرتداً من ينكر أو يقبل هذه الطريقة أو تلك من طرق إنقاذ الله لنبيه ورسوله عيسى ابن مريم من القتل على الصليب .

المهم هو أن يؤمن بنبوة ورسالة سيدنا عيسى وبأن قومه لم يقتلوه ولم يصلبوه . أما كيفية نجاته من القتل والصلب فمن الممكن وفقاً لهذا الرأى الثالث أن نفوّض أمره إلى الله ، أنقذه الله من القتل صلباً كيفما شاء وأراد ، فالله فعال لما يريد ، ولتكن طريقة إنقاذ المسيح من القتل والصلب فى علم الله وفقاً للرأى الثالث الذى نقترحه ونضيفه كما أسلفنا .

قال صاحبى : ألا يُعَدُّ المسلم كافراً أو مرتداً لو اختار أى رأى من هذه الآراء الثلاثة ؟

قلت : نعم يا صاحبى .. لا يُعَدُّ المسلم كافراً أو مرتداً عن الإسلام لو اختار الاعتقاد بأى رأى من الآراء الثلاثة ، فلكل منها دواعيه . ولو كان أحدها يرجّح عن الآخر ، فهذا شأن متروك لرأى وترجيح كل إنسان بشرط ألا يكون من حقه إلزام غيره بما استقر عليه اختياره ، فله حرية الرأى ولغيره حرية الرأى ، وليس هذا الرأى الذى أقول به من جواز اختيار المسلم لأى رأى من الآراء الثلاثة السابق بيانها هو رأيى ، بل هو الرأى الذى انتهى إليه فضيلة الإمام الأكبر الأسبق المرحوم الشيخ محمود شلتوت . وإليك يا صاحبى نص فتوى فضيلته بهذا الصدد .

رَفْعُ عيسى

ورد إلى مشيخة الأزهر الجليلة من حضرة : عبد الكريم خان ، بالقيادة العامة لجيوش الشرق الأوسط سؤال جاء فيه :

هل (عيسى) حى أو ميت فى نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة ؟ وما حكم المسلم الذى ينكر أنه حى ؟ وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا مرة أخرى ؟

وقد حوِّل هذا السؤال إلينا فأجبنا بالفتوى التالية التى نشرتها مجلة الرسالة فى سنتها العاشرة بالعدد ٤٦٢ .

القرآن الكريم ونهاية عيسى :

أما بعد ، فإن القرآن الكريم قد عرض لعيسى عليه السلام فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه في ثلاث سور :

١ ـ في سورة آل عمران قوله تعالى : ﴿ **فلمّا أحسّ عيسى منهُمُ الكُفْرَ قال مَنْ أنصاري إلى اللهِ قال الحواريُّونَ نحنُ أنصارُ اللهِ آمنّا باللهِ واشهَدْ بأنّا مُسْلِمُونَ * ربَّنا آمنّا بما أنزَلْتَ واتَّبعْنا الرَّسُولَ فاكتُبْنا مع الشّاهدِينَ * ومكرُوا ومكَرَ اللهُ واللهُ خيْرُ الماكِرينَ * إذْ قال اللهُ يا عيسى إنِّي مُتوفِّيكَ ورافِعُكَ إليَّ ومُطهِّرُكَ مِنَ الَّذينَ كفَرُوا وجاعِلُ الَّذين اتَّبعُوكَ فوقَ الَّذين كفَرُوا إلى يومِ القيامةِ ثُمَّ إليَّ مَرْجِعُكُم فأحْكُمُ بينكُم فيما كُنتُم فيه تَخْتلِفُونَ** ﴾ . (آل عمران : ٥٢ ـ ٥٥)

٢ ـ وفي سورة النساء قوله تعالى : ﴿ **وقَوْلِهِم إنّا قَتَلْنا المسيحَ عيسى ابنِ مريمَ رسولَ اللهِ وما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ ولكن شُبِّهَ لهُم وإنَّ الَّذين اخْتلَفُوا فيه لَفِي شَكٍّ منه ما لهُم به مِنْ عِلْمٍ إلاّ اتِّباعَ الظنِّ وما قَتَلُوهُ يَقيناً * بل رَفَعَهُ اللهُ إليه وكان اللهُ عزيزاً حكيماً** ﴾ .

(النساء : ١٥٧ ، ١٥٨)

٣ ـ وفي سورة المائدة قوله تعالى : ﴿ **وإذْ قال اللهُ يا عيسَى ابنَ مريمَ أأنتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذُوني وأُمّيَ إلهيْنِ مِن دُونِ اللهِ قال سُبحانَكَ ما يكُونَ لي أنْ أقُولَ ما ليسَ لي بِحَقٍّ إن كُنتُ قُلْتُه فقد عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما في نَفْسي ولا أعْلَمُ ما في نَفْسِكَ إنّكَ أنتَ علاّمُ الغُيُوبِ * ما قُلْتُ لهُم إلاّ ما أمرْتَني به أنِ اعْبُدُوا اللهَ ربِّي وربَّكُم وكُنتُ عليهِم شَهيداً ما دُمْتُ فيهِم فلمّا تَوفَّيْتَني كُنتَ أنتَ الرَّقيبَ عليهِم وأنتَ على كلِّ شيءٍ شَهيدٌ** ﴾ .

(المائدة : ١١٦ ، ١١٧)

هذه هي الآيات التي عرض القرآن فيها لنهاية شأن المسيح مع قومه . والآية الأخيرة (آية المائدة) تذكر لنا شأناً أخروياً يتعلق بعبادة قومه له ولأمه في الدنيا وقد سأله الله عنها . وهي تقرر على لسان عيسى عليه السلام أنه لم يقل لهم إلا ما أمره الله به : ﴿ **اعْبُدوا اللهَ ربِّي وربَّكُم** ﴾ ، وأنه كان شهيداً عليهم مدة إقامته بينهم ، وأنه لا يعلم ما حدث منهم بعد أن (توفاه الله) .

معنى التوفِّى :

وكلمة (توفى) قد وردت في القرآن كثيراً بمعنى الموت ، حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها ، ولم تستعمل فى غير هذا المعنى إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر : ﴿ **قُلْ يتوفَّاكم مَلَكُ الموتِ الَّذى وُكِّلَ بكُم** ﴾ (السجدة: ١١) ، ﴿ **إنَّ الَّذين تَوفَّاهُمُ الملائكةُ ظَالمى أنفُسهم** ﴾ (النساء : ٩٧) ، ﴿ **ولَوْ ترى إذْ يتوفَّى الَّذين كَفرُوا الملائكةُ** ﴾ (الأنفال : ٥٠) ، ﴿ **تَوفَّتْهُ رُسُلُنا** ﴾ (الأنعام : ٦١) ، ﴿ **ومنكُم مَن يُتوفَّى** ﴾ (الحج : ٥) ، ﴿ **حتَّى يَتوفَّاهُنَّ المـوتُ** ﴾ (النساء : ١٥) ، ﴿ **تَوفَّنى مُسْلِماً وألْحِقْنى بالصَّالِحين** ﴾ (يوسف : ١٠١) .

ومن حق كلمة « توفيتنى » فى الآية أن تحمل هذا المعنى المتبادر وهو الإماتة العادية التى يعرفها الناس ويدركها من اللفظ والسياق الناطقون بالضاد . إذن فالآية لو لم يتصل بها غيرها فى تقرير نهاية عيسى مع قومه لما كان هنالك مبرر مقبول بأن عيسى حى لم يمت .

ولا سبيل إلى القول بأن الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء ، بناء على زعم من يرى أنه حى فى السماء ، وأنه سينزل منها آخر الزمان ، لأن الآية ظاهرة فى تحديد علاقته بقومه هو لا بالقوم الذين يكونون آخر الزمان ، وهم قوم محمد باتفاق لا قوم عيسى .

معنى « رفعه الله إليه » ، وهل هو إلى السماء ؟

أما آية النساء فإنها تقول : ﴿ **بل رَفَعه اللهُ إليه** ﴾ وقد فسرها بعض المفسرين بل جمهورهم بالرفع إلى السماء ، ويقولون : إن الله ألقى شبهه على غيره ورفعه بجسده إلى السماء ، فهو حى فيها وسينزل منها آخر الزمان ، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ، ويعتمدون فى ذلك :

أولاً : على روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال ، وهى روايات مضطربة مختلفة فى ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها ، وقد نص على ذلك علماء الحديث ، وهى فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام ، وقد عرفت درجتهما فى الحديث عند علماء الجرح والتعديل .

ثانياً : على حديث مروى عن أبى هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى ، وإذا

صح هذا الحديث فهو حديثٍ آحاد ، وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها فى شأن المغيبات .

ثالثاً : على ما جاء فى حديث المعراج من أن محمداً ﷺ حينما صعد إلى السماء وأخذ يستفتحها واحدة بعد واحدة فتفتح له ويدخل ، رأى عيسى عليه السلام هو وابن خالته يحيى [(١)] فى السماء الثانية . ويكفينا لتوهين هذا المستند ما قرره كثير من شراح الحديث فى شأن المعراج وفى شأن اجتماع محمد ﷺ بالأنبياء ، وأنه كان اجتماعاً روحياً لا جسمانياً (انظر : فتح البارى ، وزاد المعاد ، وغيرهما) .

ومن الطريف أنهم يستدلون على أن معنى الرفع فى الآية هو رفع عيسى بجسده إلى السماء بحديث المعراج ، بينما نرى فريقاً منهم يستدل على أن اجتماع محمد بعيسى فى المعراج كان اجتماعاً جسدياً بقوله تعالى : ﴿ **بل رفعه الله إليه** ﴾ وهكذا يتخذون الآية دليلاً على ما يفهمونه من الحديث حين يكونون فى تفسير الحديث ، ويتخذون الحديث دليلاً على ما يفهمونه من الآية حين يكونون فى تفسير الآية .

الرفع فى آية آل عمران :

ونحن إذا رجعنا إلى قوله تعالى : ﴿ **إنّى مُتوفّيك ورافعُك إلىّ** ﴾ فى آيات آل عمران مع قوله : ﴿ **بل رفعهُ الله إليه** ﴾ فى آيات النساء ، وجدنا الثانية إخباراً عن تحقيق الوعد الذى تضمنته الأولى ، وقد كان هذا الوعد بالتوفية والرفع والتطهير من الذين كفروا ، فإذا كانت الآية الثانية قد جاءت خالية من التوفية والتطهير واقتصرت على ذكر الرفع إلى الله فإنه يجب أن يلاحظ فيها ما ذكره فى الأولى جمعاً بين الآيتين .

والمعنى : أن الله توفى عيسى ورفعه إليه وطهره من الذين كفروا .

وقد فسر الألوسى قوله تعالى : ﴿ **إنّى مُتوفّيك** ﴾ بوجوه منها ، وهو أظهرها : إنى مستوفى أجلك ومميتك حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك ، وهو كناية عن عصمته من الأعداء وما هم بصدده من الفتك به عليه السلام ، لأنه يلزم من استيفاء الله أجله وموته حتف أنفه ذلك .

وظاهر أن الرفع ـ الذى يكون بعد التوفية ـ هو رفع المكانة لا رفع الجسد ، خصوصاً

---

(١) هل رفع الله سيدنا يحيى عليه السلام بجسمه وروحه حيّاً إلى السماء إذ وجده النبى عند عروجه إلى السماء مع المسيح عليه السلام ؟ إن هذا ينفى تماماً أن يكون حديث المعراج دليلاً على رفع المسيح حيّاً إلى السماء . (المترجم) .

وقد جاء بجانبه قوله : ﴿ ومُطهِّرُك من الذين كفرُوا ﴾ مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم .

وقد جاء الرفع في القرآن كثيراً بهذا المعنى : ﴿ فى بُيُوت أذنَ اللهُ أن تُرْفَعَ ﴾ ، ﴿ نَرْفعُ دَرجاتٍ مَن نشاءُ ﴾ ، ﴿ ورَفَعْنا لكَ ذِكْرَكَ ﴾ ، ﴿ ورفَعْناهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾ ، ﴿ يَرْفع اللهُ الّذين آمنُوا ﴾ ... إلخ .

وإذن فالتعبير بقوله ﴿ ورافِعُك إلىّ ﴾ وقوله ﴿ بل رفعهُ اللهُ إليه ﴾ كالتعبير فى قولهم : « لحق فلان بالرفيق الأعلى » وفى « إن الله معنا » وفى « عند مليك مقتدر » وكلها لا يفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول فى الكنف المقدس . فمن أين تؤخذ كلمة السماء من كلمة « إليه » ؟ اللهم إن هذا لظلم للتعبير القرآنى الواضح خضوعاً لقصص وروايات لم يقم على الظن بها ـ فضلاً عن اليقين ـ برهان ولا شبه برهان !!

الفهم المتبادر من الآيات :

وبعد .. فما عيسى إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، ناصبه قومه العداء ، وظهرت على وجوههم بوادر الشر بالنسبة إليه ، فالتجأ إلى الله ـ شأن الأنبياء والمرسلين ـ فأنقذه الله بعزته وحكمته وخيّب مكر أعدائه . وهذا ما تضمنته الآيات : ﴿ فلمّا أحسَّ عيسى منهم الكُفرَ قال مَنْ أنصارى إلى اللهِ ﴾ إلى آخرها ، بيّن الله فيها قوة مكره بالنسبة إلى مكرهم ، وأن مكرهم فى اغتيال عيسى قد ضاع أمام مكر الله فى حفظه وعصمته إذ قال : ﴿ يا عيسى إنّى مُتوفّيكَ ورافعُك إلىّ ومُطهّرك من الّذين كفرُوا ﴾ فهو يبشره بإنجائه من مكرهم ورد كيدهم فى نحورهم ، وأنه سيستوفى أجله حتى يموت حتف أنفه من غير قتل ولا صلب ، ثم يرفعه الله إليه .

وهذا هو ما يفهمه القارئ للآيات الواردة فى شأن نهاية عيسى مع قومه متى وقف على سنة الله مع أنبيائه حين يتألب عليهم خصومهم ، ومتى خلا ذهنه من تلك الروايات التى لا ينبغى أن تحكّم فى القرآن ، ولست أدرى كيف يمكن إنقاذ عيسى بطريق انتزاعه من بينهم ، ورفعه بجسده إلى السماء مكراً ؟ وكيف يوصف بأنه خير من مكرهم مع أنه شيء ليس فى استطاعتهم أن يقاوموه ، شيء ليس فى قدرة البشر ؟

ألا إنه لا يتحقق مكر فى مقابلة مكر إلا إذا كان جارياً على أسلوبه ، غير خارج عن مقتضى العادة فيه . وقد جاء مثل هذا فى شأن محمد ﷺ : ﴿ وإذْ يَمْكُرُ بِكَ الّذين كَفرُوا لِيُثْبِتُوكَ أو يَقْتلُوكَ أو يُخرِجُوكَ ويَمكُرونَ ويَمْكُرُ اللهُ واللهُ خيْرُ الماكِرينَ ﴾ .

(الأنفال : ٣٠)

رفع عيسى ليس عقيدة يكفر منكرها :

والخلاصة من هذا البحث :

١ ـ أنه ليس فى القرآن الكريم ، ولا فى السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء وأنه حى إلى الآن فيها وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض .

٢ ـ أن كل ما تفيده الآيات الواردة فى هذا الشأن هو وعد الله رسوله عيسى بأنه متوفيه ورافعه إليه وعاصمه من الذين كفروا ، وأن هذا الوعد قد تحقق فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه ، ولكن وفّاه الله أجله ورفعه إليه .

٣ ـ أن من أنكر أن عيسى قد رُفع بجسمه إلى السماء ، وأنه فيها حى إلى الآن ، وأنه سينزل منها آخر الزمان ، فإنه لا يكون بذلك منكراً لما ثبت بدليل قطعى ، فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه ، ولا ينبغى أن يُحْكَم عليه بالردّة ، بل هو مسلم مؤمن ، إذا مات فهو من المؤمنين ، يُصلّى عليه كما يُصلّى على المؤمنين ، ويدفن فى مقابر المؤمنين ، ولا شبهة فى إيمانه ، إن الله بعباده خبير بصير .

* * *

قال صاحبى : إن الرأى الثانى الذى ذكرته متأثر بآراء الشيخ أحمد ديدات ، أليس كذلك ؟

قلت : لا يعيب الرأىَ أىّ رأىِ الشخص الذى يصدر عنه الرأى يا صاحبى . نعرف هذا الرأى يا صاحبى قبل أى معرفة لنا بالشيخ أحمد ديدات . لم يكن الشيخ أحمد ديدات معروفاً فى مصر قبل عشر سنوات . وهذا الرأى معروف فى مصر منذ عشرات السنين كما أوضحنا . والخلاف بين أصحاب الرأى الأول وأصحاب الرأى الثانى معروف بالفعل فى مصر منذ أيام الإمام محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا ، والشيخ محمود شلتوت ، ومن نهج نهجهم من جهة ، وبين الشيخ السبكى ، والشيخ الفقى ، والشيخ محمود خليل الهراس ، ومن نهج نهجهم من جهة أخرى .

ومن المعروف أن للدكتور محمود خليل الهراس رحمه الله كتاباً بعنوان « رفعُ المسيح عليه السلام حياً بجسمه وروحه إلى السماء » ، وهو كتاب لا تصل عدد صفحاته إلى الثمانين ، نصفها شتائم وسباب فى أصحاب الرأى الثانى ، ونصفها الآخر كَتَبَ فيه الأحاديث المنسوبة إلى النبى ﷺ وتفيد نزول سيدنا عيسى عليه السلام وقتّل الدجال وقتلَ الخنزير وكسرَ الصليب .. إلى آخر ما تتضمنه .

ويقول الشيخ أحمد ديدات فى كتابه « الصلْب أم توهُّم الصلب » ، وهو الكتاب الذى نقلناه إلى العربية بعنوان « مسألة صلب المسيح » ، يقول : « وأصبح موضوع صلب المسيح الذى تعتمد عليه المسيحية كل الاعتماد موضوعاً هاماً لبحثى ودراستى . كنت أريد حقاً أن أعرف علامَ كل هذه الضجة الكبرى . وبدأت أدرس ما بحوزتهم فى الموضوع ألا وهو العهد الجديد . ولا أتوقع أن يسألنى أى شخص عن عقيدتى كمسلم فيما يتعلق بموضوع الصلب . عقيدتى هى القرآن كما وردت بدقة فى الآية ١٥٧ من سورة النساء » .

وهكذا ببراعة منقطعة النظير هرب الشيخ أحمد ديدات من « الخوض » فى كيفية نهاية شأن المسيح مع قومه ، أو بالأصح هرب من الخوض فيما يختلف فيه المسلمون فى هذا الصدد ، واكتفى بإعلان أن عقيدته فى هذه المسألة تعبر عنها الآية ١٥٧ من سورة النساء دون ذكر أى تفاصيل . وخيراً فعل . لقد كان ـ أطال الله بقاءه ـ يكافح ويفند عقائد المسيحيين ودعاواهم فى هذا الشأن ، ولم يكن من الحكمة إطلاقاً أن يفتح جبهة ثانية بين المسلمين ، وهى جبهة أشد وطيساً .

وليس من المعقول يا صاحبى أن ينال أحدٌ الشيخَ أحمد ديدات بأى سوء ، والرجل من جنوب أفريقيا ، حيث اللغة السائدة هى اللغة الإنجليزية ، والديانة السائدة هى الديانة المسيحية ، وبالرغم من ذلك يعلو صوت الشيخ أحمد ديدات ويعلو ، وتعلو عبقريته وتعلو ، لتفنيد دعاوى وأباطيل خصوم الإسلام فى عقر دارهم وباللغة الإنجليزية التى ينطق بها لسانهم ، وباستخدام نصوص الكتاب المقدس عندهم .

إنه يناقش ويناظر خصوم الإسلام فى معتقداتهم ، وينجح فى المناقشة ، ويفوز فوزاً ساحقاً واضح المعالم فى المناظرة ، وهو ما حاوله وفد نصارى نجران ضد النبى ﷺ فى العام العاشر الهجرى وفشلوا . ونجح الشيخ أحمد ديدات حيث انهزم وفد نصارى نجران. كانت هزيمة وفد نصارى نجران فى مناظرتهم أمام نبى الإسلام هزيمة كاملة حاسمة واضحة المعالم ، وانتصارات الشيخ أحمد ديدات على مناظريه فى الحلقتين الأخيرتين من القرن العشرين انتصارات كاملة حاسمة واضحة المعالم . إنه يكسب . إنه لم يخسر .

لقد أنشأ الشيخ أحمد ديدات بجهوده الذاتية مسجداً فى مدينة ديربان بجنوب إفريقيا ، وأقام مركزاً إسلامياً عالمى النشاط يدعو إلى الإسلام ويعمل من أجل الإسلام .

إن من يشاهد شريط الفيديو الذى سُجلت عليه وقائع لقاء الشيخ أحمد ديدات وعضو مجلس الشيوخ الأمريكى (بول فندلى) بالمركز الإسلامى الذى شيده الشيخ

أحمد ديدات سيعرف كم يخدم الشيخ أحمد ديدات قضايا الإسلام والمسلمين .

السناتور الأمريكي بول فندلي ، وأنت تعرف يا صاحبي ما يعنيه لقب السناتور الأمريكي عندما يذهب إلى أى دولة في العالم ، يخف للقائه رئيس هذه الدولة أو تلك . السناتور الأمريكي بول فندلي بشعره الأبيض المهيب ، يقف أمام مكبر الصوت مناصراً حقوق العرب فى فلسطين منذ أكثر من عشر سنين ، والشيخ أحمد ديدات بشعره الأبيض المهيب يشرح حقوق العرب في فلسطين ، وحقوق المسلمين في فلسطين ، ويفند دعاوى اليهود في فلسطين . إن من يشاهد محتويات مثل هذا الشريط ليَعرف كم يخدم الشيخ أحمد ديدات قضايا العرب وقضايا الإسلام .

إن من يشهد الشيخ أحمد ديدات ويسمعه وهو يتدفق باللغة الإنجليزية في هدوء وسلاسة ويسر ومعقولية ، مفنّداً دعاوى خصوم الإسلام مثبتاً صحة وصواب وجهات نظر الإسلام ليعرف كم يخدم قضايا العرب وقضايا الإسلام .

وفي إحدى المناظرات بمدينة (استوكهولم) في شمال أوربا يقول (باستر ستانلى شوبيرج) كبير أساقفة السويد : « لقد قتلني أحمد ديدات بثغر مبتسم » !!

والرجل ، بعد كل شيء ، يا صاحبي ـ أطال الله بقاءه ـ قد نيّف على السبعين . ناقش خصوم الإسلام فيما عندهم ، ودعوه هم بأنفسهم لكي يناقشهم فيما عندهم ، وأوضح لهم خطأ ما عندهم . ومن الواضح أنه لم يناقش أحداً ، أو بالأصح لم يناقشه أحد فيما عندنا . وإن يكن قد ربح فقد حقق لنا أرباحاً ، وإن يكن قد خسر فهو لم يتاجر بأموالنا ، ولم يجادل الآخرين بشأن قضية من قضايانا في مجال العقيدة أو الشريعة .

ولا يليق يا صاحبي ، والحال هذه ، أن يتطاول على الشيخ أحمد ديدات أى متطاول ممن يحسبون أنفسهم أعظم وأبرع دعاة الإسلام وهم لم يحققوا واحداً من المليون مما حققه الشيخ أحمد ديدات .

والشيخ أحمد ديدات في « حاله » يا صاحبي ، لم يسئ إلى أحد ، وليس من اللائق بأى حال أن يسيء إليه أحد .

ومن الواضح يا صاحبي أن الرأى الثاني ـ كما عرضنا ـ كان موجوداً لدى كثير من علماء الإسلام وأصحاب الرأى فيه وذوى الحل والعقد من رجال الإسلام ، ولكنه كان موجوداً بشكل عام باعتبار أنه الرأى المفضل المرجح عندهم الذى تستريح ضمائرهم إليه ، وليس من المبالغة في شيء يا صاحبي أن أقول : إنني توفرت على دراسة هذه

المسألة طيلة سنوات ، واستقر الرأى عندى على دراسة المصدر الأول للعقيدة الإسلامية ألا وهو القرآن الكريم ، ووفقنى الله إلى اكتشاف معنى آخر لم يكن مألوفاً لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وما صلبوه ﴾ كان هو المفتاح الذى فتح الطريق لإسقاط نظرية إلقاء شبه المسيح على غيره ، وما فكرة إلقاء شبه المسيح على غيره إلا نظرية قال بها أحد المفسرين استعارها من أهل الكتاب ، وتناقلها عنه باقى المفسرين ، ويجوز أن يخطئ المفسر أو يصيب ، ولكن يستحيل أن يوجد أى خطأ فى كلام الله العزيز الحكيم .

وظهر معنى آخر لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ ولكن شُبِّه لهم ﴾ نراه أقرب إلى الصواب ، ويمكن إرجاع ضمائر الغائب المفرد فى الآية ١٥٧ من سورة النساء إلى ما ترجع إليه بمعقولية دون ريب فى ذلك . لا يمكن أن يقال عن قوم سيدنا عيسى إنهم ما لهم به من علم ، يا صاحبى ، والمعقول هو أن يقال إنهم لم يكن لهم علم بشأن الموت والحياة حيث إنه بأمر الله سبحانه وتعالى . وهكذا أضفنا أدلة كثيرة وأسانيد عديدة إلى هذا الرأى يا صاحبى .

وأود أن أشير يا صاحبى إلى أننى لا أريد على اجتهادى هذا جزاء ولا شكوراً من أحد ، إننى أريد وجه الله الكريم . لا أريد مالاً ، وصاحب الرأى لا ينقده أحد مالاً فى الغالب الأعم ، ولكن يناله من النقد ما يلذع ويلدغ فى الأغلب الأعم . ولا أريد شهرة وقد ناهزت من العمر الستين ، والشهرة قيد على حرية المشهورين ، ولكن النتائج المترتبة على السكوت عن الحق فى هذا الشأن يا صاحبى خطيرة خطيرة ، وكبيرة كبيرة .

لقد اتضح لى أن خصوم الإسلام قد دسوا وبذروا أفكاراً معينة بخصوص نهاية شأن المسيح مع قومه فى أرض المسلمين . وبعد بضعة قرون وحتى اليوم أثمرت بذور هذه الأفكار ثمارها .

لعلك لا تعرف يا صاحبى أن الصهاينة ـ والصهاينة ليسوا هم كل اليهود بطبيعة الحال ، ولكنهم فئة من اليهود ـ الصهاينة يا صاحبى قد استغلوا هذه الأفكار التى كانوا قد زرعوها منذ قرون عديدة ، استغلوها فى عصرنا هذا وفى أيامنا هذه أكبر استغلال يمكن تصوره .

خدع الصهاينة بعض قادة الغرب فى أوربا وأمريكا ليتعاطفوا مع قيام دولة إسرائيل فى أرض فلسطين ، قال خبثاء الصهاينة لهم : ألا تعرفون أن المسيح سيجىء مرة ثانية ؟ قالوا : نعم . سألوهم : أين سينزل عندما يعود ؟ قالوا : فى فلسطين . سألوهم : أليس من المفروض أن تساعدونا أيها المسيحيون الطيبون على أن نقيم دولة لليهود فى فلسطين

يعود إليها اليهود بنو إسرائيل من الشتات ، لكى يجد المسيح قومه الإسرائيليين فى فلسطين ، لأنه إذا لم يجدهم فلن ينزل . ساعدوا فى إقامة ومساندة دولة إسرائيل وحافظوا على بقائها لتحظوا بالمجىء الثانى للمسيح ، ولتستمتعوا بالعصر الألفى السعيد .

وعندما يتم مثل هذا الكلام فى حفل جميل ، على أنغام الموسيقى ، وأشهى المأكولات ، وأرقى الخمور ، مع ابتسام الجميلات وتبادل الرقصات ، يتم الوصول إلى أخطر القرارات لجمع يهود من الشتات وإعادتهم إلى فلسطين ليتحقق للمسيحيين المجىء الثانى للمسيح Happy Millinium !!

هذه هى وسائل وأساليب اليهود . ولله أساليب أخرى غير أساليب اليهود .

وحصلت إسرائيل على وَعْد بلفور عام ١٩١٧م ، وحصلت إسرائيل على اعتراف أمريكا وروسيا وبقية دول الغرب المسيحى منذ اليوم الأول لإعلان قيامها عام ١٩٤٨م ، وحصلت إسرائيل على كل ما يلزمها من الغرب المسيحى من الأموال ، ومن رغيف الخبز ، إلى الفانتوم ، كما يقول الرئيس الأسبق جمال عبد الناصر ، وإلى القنابل الذرية ، كما يقول الرئيس السابق محمد أنور السادات .

وتقول الكاتبة الأمريكية (جريس هالسل) فى كتابها (النبوءة والسياسة) : « إن الرئيس الأمريكى ريجان كان يؤمن بهذه الأفكار ، وكان يؤمن بها غيره من زعماء أمريكا » .

هذه لمحة بسيطة يا صاحبى عن بعض ثمار ما زرعه اليهود ودسوه من أفكار فى الأرض الإسلامية منذ القرن الأول لظهور الإسلام ، وهاهم أولاء يجنون فى النصف الثانى من القرن العشرين ثمارها ، ثمار المجىء الثانى للمسيح ، ويا لها من ثمار !!

ويهاجم خصوم الإسلام أول ما يهاجمون يا صاحبى نفس الأفكار التى زرعوها هم بأنفسهم فى أرض المسلمين . يقولون : ليس القرآن كلام الله . لقد كتبه محمد ، والقرآن كاذب ، ومحمد كاذب ، ودون أن يسألهم أحد : فيم كذب القرآن ؟ وفيم كذب محمد ؟ يقولون : القرآن يدّعى ، ومحمد يدّعى ، أن المسيح لم يمت على الصليب ، ويقول : وما قتلوه وما صلبوه ، ويوجد عشرات بل مئات شهود العيان . مَنْ نصدّق ؟ نصدّق شهود العيان الذين شاهدوا جنود الرومان يقبضون على المسيح ويقتادونه إلى مكان الصلب ، ويضعونه على الصليب ... الخ ، أم نصدق القرآن ونصدّق محمداً ، وبين ظهور القرآن وظهور محمد وبين نهاية شأن المسيح مع قومه أكثر من ستمائة سنة ؟!

وعندما يقول المسلم : ألقى الله شبـه سيدنا عيسى على شخص آخـر ، يقولون له : ما هذا التخريف ؟ هل يجوز أن تقول لى زوجتى عندما أرجع إلى البيت وأجد معها رجلاً آخر : إن الله قد ألقى شبهى على هذا الرجل ؟ ولقد قال لى صديق أستاذ فى كلية أصول الدين : « ماذا نفعل يا أستاذ على ؟ كلما أرسلنا بعض طلبة الدراسات العليا إلى الخارج يعودون إلينا بوجه غير الوجه الذى ذهبوا به ، ولا نجد عندهم إلا الكبر والتعالى ، إنهم يصطادونهم فى هذه المسألة بالذات ، نهاية شأن المسيح مع قومه ، ويبدو أنهم ينجحون فى تغيير معتقداتهم بشأن القرآن الكريم وبشأن نبى الإسلام ﷺ . إنهم يعودون إلينا ولقد لفّهم الصمت والشرود ، ويطل الشك من عيونهم ، ويظهر الارتياب فى عقائد الإسلام فى كلامهم رغم حرصهم وميلهم إلى الإقلال من الكلام !! » .

هذه يا صاحبى هى بعض دوافعى لإعلان ما وصلت إليه من آراء بشأن نهاية المسيح مع قومه لا أفرضها على أحد ، ولا سلطان لى فى فرضها على أحد ، وهى ليست من أساسيات الدين الإسلامى ، وليست مما هو معروف من الدين بالضرورة . إنها تتصل بحدثٍ وقع قبل ظهور الإسلام بمئات السنين ، وقد أفتى بحق فضيلة الإمام الأكبر الأسبق المرحوم الشيخ محمود شلتوت أن من يعتقد أن المسيح قد مات فلا جناح عليه ، ومن اعتقد أنه حى فلا جناح عليه ، استناداً إلى أن مسألة نهاية المسيح مع قومه ليست من أساسيات الإسلام ، وإن كان غير المسلمين يرتبون عقائدهم كلها على صلب المسيح وموته على الصليب ، وقيامته من بين الأموات إذ قهر الموت لأنه إله أراد أن يكون إنساناً ، وهو حىٌّ بنظر غير المسلمين بطبيعة الحال .

ومن الممكن يا صاحبى ـ كما سبق أن اقترحت وأشرت ـ أن نُفوِّض العلم بمصير المسيح بعد انتهاء شأنه مع قومه إلى الله سبحانه وتعالى . والله أعلم بمراده .

قال صاحبى : يبقى سؤال أخير هو : ألا تسيء هذه الآراء فيما يتعلق بنهاية شأن المسيح مع قومه إلى مشاعر وعقائد إخوتنا المسيحيين ؟

قلت : لا يا صاحبى .. لا تسيء هذه الآراء الإسلامية بصدد نهاية شأن المسيح مع قومه إلى عقائد ومشاعر إخوتنا المسيحيين . والقرآن الكريم نفسه يعرض ويفند عقائد غير المسلمين . ولغير المسلمين آراء معلنة فى الإسلام . لهم دينهم ولنا دين . وهم يعلنون عن عقائدهم بوسائل الإعلام المختلفة من كتب وأفلام وغيرها . وهذه مسألة إسلامية بحتة ومن حقنا كمسلمين أن ندرسها ونناقشها . وهم يدرسون ويناقشون ويعلنون عما انتهت إليه مناقشاتهم وما استقر عليه رأيهم فى أفلامهم وكتبهم . وإليك يا صاحبى

صـورة ضـوئيـة للغـلاف الأيمن وللغـلاف الأيسـر لواحـد من كـتبـهم التى يطبـعونهـا وينشرونها ، وتقوم مؤسسة من مؤسسات النشر الكبرى بنشرها وتوزيعها لهم بالمكتبات وعلى أرصفة الشوارع .



صورة ضوئية مصغرة لغلاف كتاب يعلن ألوهية المسيح عليه السلام

كتب المؤلف

١ ـ سلسلة عقيدتنا فى المسيح:
+ المسيح هو الإله القدير. (نفذ)
+ إذا كان المسيح إلهاً فكيف حبل به وولد؟ (نفذ)
+ إذا كان المسيح إلهاً فكيف تألم ومات؟ (طبعة ثانية)
+ هل المسيح هو الله (يهوه)؟ (نفذ)
+ هل المسيح هو الله؟
أم أبن الله؟ أم هو بشر؟

٢ ـ الكتاب المقدس والنقد الحديث:
+ التوراة كيف كتبت وكيف وصلت إلينا؟ (نفذ)
+ الكتاب المقدس هل هو كلمة الله؟
+ الإنجيل كيف كتب وكيف وصل إلينا؟

٣ ـ فى اللاهوت المقارن:
+ التجسد الإلهى ودوام بتولية العذراء (طبعة ثانية)
+ إنجيل برنابا هل هو الإنجيل الصحيح؟ (طبعة ثانية)
+ هل صلب المسيح حقاً وقام؟ (نفذ)

مطبعة المصريين — ت : ٢٤٣٦١٠٩
السعر — ٢٥٠ قرشاً

صورة ضوئية مصغرة للغلاف الأيسر للكتاب وعليه
أسماء اثنى عشر كتاباً لمؤلف مسيحى واحد

*　*　*

فهل يكون من حق غير المسلمين أن ينشروا معتقداتهم ويعلنوا عنها ولا يكون من حق المسلمين أن ينشروا معتقداتهم ويعلنوا عنها ؟

ليس هذا عدلاً يا صاحبى . إن من حق المسلمين أن يدرسوا وأن يناقشوا مسألة دينية إسلامية بحتة مثل نهاية شأن المسيح مع قومه .

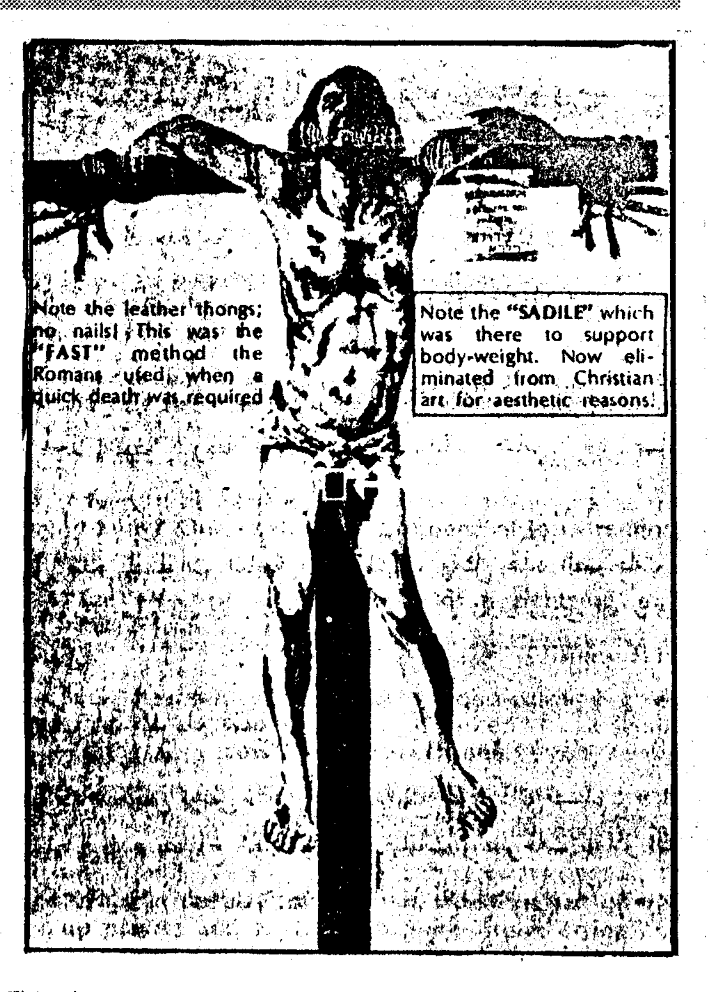
﴿ ولو شاءَ اللهُ لَجعَلَكُمْ أمَّةً واحـدةً ولكن يُضلُّ مَن يَشاءُ ويَهْدِى مَن يشاءُ ولَتُسْألُنَّ عمَّا كُنتُم تَعْمَلُونَ ﴾ . (النحل : ٩٣)

والله ولى التوفيق .

(تم بحمد الله)

ملحق للوثائق

هكـذا تخيّـل الرسـام (تشـارلس بيكار) كيفية صلب المسيح : « الساقان لم تقطعا ، والصليب غير مكتمل (بدون مسند رأس) وسيور من الجلد هى وسيلة التثبيت وليس المسامير » !



This drawing is an attempt at a more accurate representation of the "execution" of Jesus. To check his ideas the artist Charles Pickard, actually manoeuvred himself into this position.



THE WATCHTOWER — OCTOBER 15, 1983 5

The Watchtower

Announcing Jehovah's Kingdom

In an article covering four full pages on the subject **"Does the Bible Promise an Earthly Paradise?"** *where this picture appears, there is not one word about this -* **STAKI-FICTION!**

The fastest growing Christian cult — the **"Jehovah's Witnesses"** [1] (excepting the **"born-agains"**) — have innovated a novel concept of the **cruci-FICTION.** They choke on the word, cross **(cruci)**, which they claim is the symbol of phallic worship.

On **page 110** of their book — **"What Has Religion Done for Mankind?"** They say about the cross **(crux ansata)** — "THIS LOOKED LIKE THE LETTER T WITH AN OVAL HANDLE ON TOP. ACTUALLY THIS REPRESENTED THE MALE AND FEMALE ORGANS OF REPRODUCTION COMBINED, AND SO WAS THE 'SIGN OF LIFE!'" Hence they will never countenance their **"lord"** and **"saviour"** Jesus Christ being associated in anyway with a cross — a pagan totem.

Therefore they claim that Jesus was instead killed on a **STAKE** (a pole) and not on a **"cruci"** (a cross). If we accept their hypothesis then Jesus would have been **STAKIFIED** instead of crucified. Hence it would be **STAKIFICTION** instead of **CRUCI-FICTION!**

Watch, how their cleverness shunts them from the "fraying pan into the fire". The **stake** is the symbol of the totem-pole, another form of the phallus of the phallic worshipping cults. I wonder, how long they will hold on to this?

1. **Jehovah:** Obtain your **FREE** copy of the book — **"WHAT IS HIS NAME?"** which explains how this word originated.

ممارسة جماعية للعبة الصلب !! عن جريدة (وتشتور) بتاريخ ١٥ أكتوبر ١٩٨٣ .



THIS picture is an undertaker's nightmare. It shows the first seven members of the most exclusive club in the world — motto. "It's Good to be Alive" — at a luncheon at London's Savoy Hotel.

Qualification for membership: To have died and lived again.

From the left are: Mr. Perry Hopcroft, Mrs. Dorothy Dickins, Timothy Poole, Mrs. Barbara Poole, Mr. Desmond White, Mrs. Kathleen Holder and Mrs. Molly Barnes.

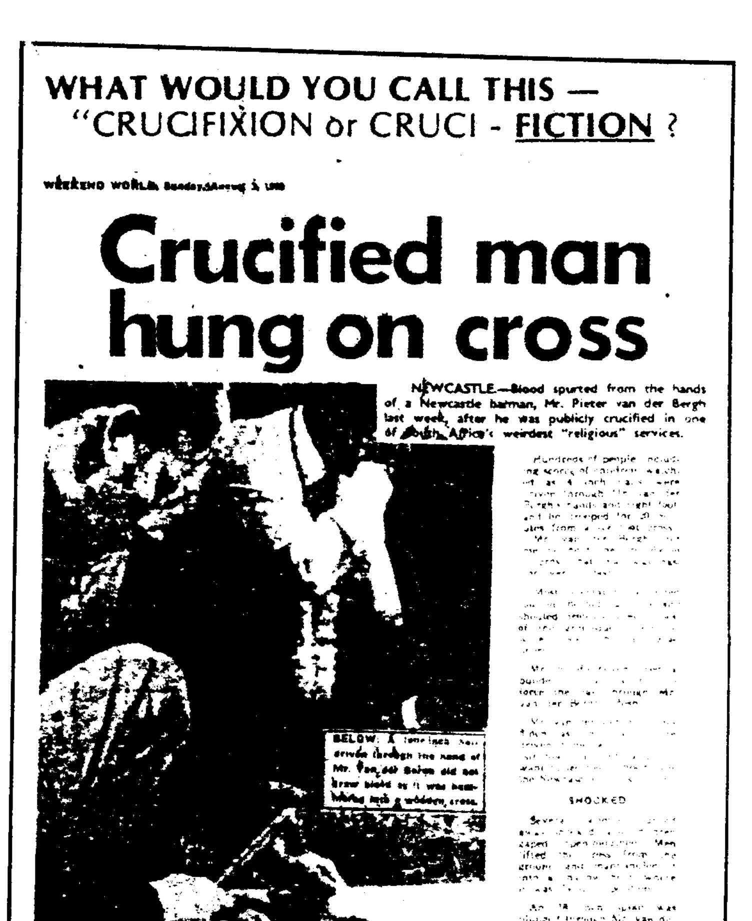
Mr. Hopcroft died 40 years ago in hospital, was brought back again by artificial respiration.

Mrs. Dickins, mother of seven, died twice on the same day Friday the 13th—during an operation. The first death lasted two-and-a-half minutes. The surgeon made an incision above her heart, revived her by massage. Just when he had sewed her up her heart stopped again for four minutes.

Timothy Poole is the nine-year-old son of Mrs. Barbara Poole, whose heart stopped for two minutes when Timothy was born. And it took a doctor 30 minutes to bring Timothy to life.

Desmond White, 22-year-old conscript serving in Germany, died for four minutes last December. Mrs. Kathleen Holder (39) died for six minutes 15 years ago. Mrs. Molly Barnes (41), died two years ago during a mastoid operation.

سبعة أشخاص تم الإعلان عن موتهم ، ثم عادوا إلى الحياة ، عقدوا اجتماعاً للاحتفال بعودتهم إلى الحياة في فندق سافوى في لندن .



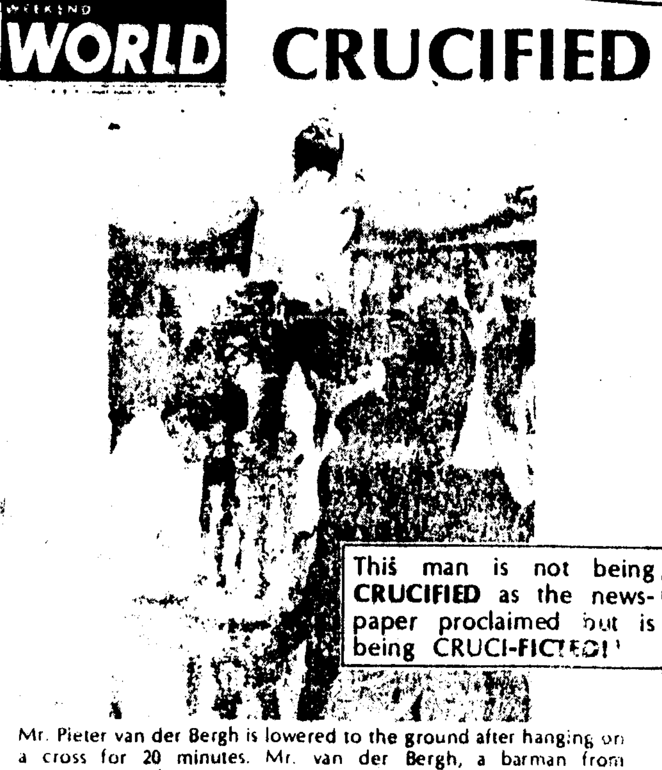
WHAT WOULD YOU CALL THIS —
"CRUCIFIXION or CRUCI - FICTION ?

Crucified man hung on cross

NEWCASTLE.—Blood spurted from the hands of a Newcastle barman, Mr. Pieter van der Bergh last week, after he was publicly crucified in one of South Africa's weirdest "religious" services.

SHOCKED

رَجُلٌ يدقُّ مسماراً فى كف شخص يلعب لعبة الصلب . وتتساءل صحيفة (ويك إند صنداى) بتاريخ ٣ أغسطس سنة ١٩٦٩ عمَّا إذا كان ذلك صلْبٌ أم أنه مجرد ممارسة للعبة الصلب .. صلب أم إيهام بالصلب !!


WEEKEND WORLD

CRUCIFIED

This man is not being CRUCIFIED as the newspaper proclaimed but is being CRUCI-FICTED![1]

Mr. Pieter van der Bergh is lowered to the ground after hanging on a cross for 20 minutes. Mr. van der Bergh, a barman from Newcastle, Natal, allowed himself to be nailed to the cross last week to prove "that man is master over his body."

1. See page 83 for explanation.

تقـول جريدة (ويك إند ورلد) : إن هذا الرجل (بيتر فان ديربرج) لم يُصلَب بمعنـى أنـه لـم يفارق الحياة على الرغم من وضعه على الصليب لمدة عشرين دقيـقـة مع تسـمـيـر كـفّيـه على الصليب بالمسامير » . إن بعض السادة الرفـاعـيـة يدخلون سـيـخـاً من الحديد فى أحد جانبى الوجـه ليـخـرج من الجانب الآخر !!


THIS SOUTH AFRICAN DID ONE BETTER THAN THE PHILIPPINOS.[2]

BELOW: A four-inch nail driven through the hand of Mr. van der Berg did not draw blood as it was hammered into a wooden cross.

An 18 inch spike piercing his thigh. Mr van der Berg hangs from the cross. Many people thought the ceremony was disgusting.

تقـول إحـدى صـحف جنوب إفريقيا : إن هذا الرجـل يتفوق فى لعبة « تمثيل الصلب » عن الفلبـينيين : المسـمـار الذى يُدَقُّ فى يده طوله أربع بوصات (١٥ سم) صـورة للسـيـد (فـان ديربرج) والصـــورة الأخرى للمسمار الذى يُدقُّ فى كفّه !!

SUNDAY

EXPRESS

23rd JULY 1961



Man's heart stops but he lives on

SUNDAY EXPRESS REPORTER

THE heart of a 52-year-old man stopped after a minor operation at Johannesburg's South Rand Hospital last week, but within the four-minute deadline in such cases his chest had been opened and hand-massage restored him to life.

He was 'dead'

One of the staff noticed something wrong. When the surgeon arrived Mr Jeffery's heart had stopped. He was dead.

An eight-inch incision was made in his chest and for 30 minutes only the skill of the team kept him alive. Oxygen was pumped down his throat, injections were made directly into his heart. The heart itself was hand-massaged throughout the emergency. A defibrillation machine was [illegible] several times.

The Natal Mercury,
DURBAN, WEDNESDAY,
DECEMBER 15, 1982

'Clinically dead' toddler alive after hour-long revival battle

Miss Gillanderes said the child was clinically dead when the team arrived. There was neither heartbeat, blood pressure nor breath and his pupils were dilated.

'A neighbour had already started resuscitation before we arrived. We put through an air way to help him start breathing, we used drugs and we tried to shock his heart into working with the paddles.'

Brain damage

He was moved to hospital where doctors aided the resuscitation bid and about 10 minutes later the monitor indicated his heart had begun to pump.

صورة لما نشرته جريدة (صنداى إكسبريس) بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٦١ بعنوان : « توقف قلب الرجل واستمر يعيش حياً » .

SUNDAY TRIBUNE, JULY 17 1983

WAS HE DEAD OR ALIVE?

THE DILEMMA FACING TRANSPLANT DOCTORS AFTER THE BIZARRE CASE OF DONOR ANTONIE



THE mystery surrounding whether potential kidney donor Antonie Franken was dead or alive when Tygerberg Hospital doctors decided to operate on him may jeopardise transplant operations

By Tony Spencer-Smith

Antonie Franken ... a bizarre dead or alive question

An "urgently needed" transplant has been called off because of the controversy following the death of the 21 year old Goodwood fireman who suffered devastating brain damage in a car crash on Saturday, July 9.

The transplant operation had to be cancelled this week, said the medical superintendent of Tygerberg, Dr J P van der Westhuyzen.

Transplant doctors around the country now fear the supply of organs from donors could dry up because of the incident.

The bizarre case began the Sunday morning following Antonie Franken's fateful accident the Saturday night before.

THE SUNDAY TRIBUNE, MARCH 27, 1960

MAN DIED FOR TWO HOURS: STILL LIVES

'Miracle' amazes doctors

(Sunday Tribune Correspondent)

خبران نشرتهما صحيفة (صنداى تريبون) بتاريخ ١٧ يوليو ١٩٨٣ :

أعلن الأطباء وفاة (دونار أنطونى) إثر حادث فى الليلة الماضية ، وظل حياً فى اليوم التالى .

ويعلن الخبر الثانى عن وفاة شخص لمدة ساعتين .. ثم عاد إلى الحياة .

ماتت الفتاة لمدة أربعة أيام ثم عادت إلى الحياة . خبر نشرته جريدة (ديلي نيوز) بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٩٥٥ .

DAILY NEWS — OCTOBER 17, 1955.

GIRL, AWAITING BURIAL FOR 4 DAYS, WAKES UP

SITEBE, a Native woman of Fairleigh, near Newcastle, sat in mourning beside the coffin of her 14-year-old daughter early yesterday, waiting for a hearse to come and take the child away.

For four days she had mourned her daughter's death, but she had one comfort—there was to be no pauper's burial.

The whole family had helped pay for the shroud, the coffin and a funeral at a distant cemetery.

It was early when Mrs. Sitebe sat for the last time beside the coffin. All was quiet in the house.

Then she heard a rustle and a slight movement. She stood up and looked down into the open coffin.

Her daughter stared back at her.

MOVED AND SPOKE

For a moment the mother stood shocked and stunned, then she screamed and ran from the building.

Relatives hurried in, lifted the girl from the coffin and placed her gently down.

The girl, apparently dead since Thursday, moved on to her side and spoke. Feebly she asked for water and then for a drink of milk. A doctor was called to attend to her.

She had escaped being buried alive by a few hours.

Had there been a conveyance available earlier than yesterday to carry the coffin, she might have gone to her grave. The Sitebe family, however, had had to postpone the funeral and the coffin was never closed.

نشرت جريدة (ديلي نيوز) بتاريخ ٢٥ مارس ١٩٧٥ أن سيدة عجوزاً تدعى (سيكورسكى) قرر الأطباء وفاتها ، وأثناء غسلها لتكفينها أخذت تغمز بعينها للرجل القائم بغسلها ، على الرغم من وجود شهادة طبية بوفاتها ، ووجود تصريح بدفنها !!

Daily News March 25, 1975

'Corpse' winks at undertaker

Daily News Correspondent

MUNICH, Tuesday.

THE UNDERTAKER was about to put the lid on the coffin of 79-year-old Emma Sikorski when the "corpse" winked at him.

Relatives had found Mrs Sikorski apparently dead in bed in her Berlin home. They called a doctor, who pronounced the old lady dead and wrote out a death certificate.

Then they called an undertaker who prepared the body for burial, put it in a coffin and was about to lower the lid when — said the funeral director shakily — "it moved and an eye winked."

The old lady is now recovering in hospital. "She's got some colour back in her cheeks and is doing fine," was the latest report.

تحرك الكفن ونجا الرجل من أن يدفن حياً ..!!

(ديلي نيوز : ٣ يناير ١٩٨٤).

The coffin moved

MOULMEIN (Burma), Saturday

A YOUNG man narrowly escaped being buried alive here.

Maung Tin Win, 17-year-old son of O U Hla Tin and Daw Thein of Pabedan quarter, had small-pox and was pronounced dead.

The sorrowing parents held the funeral for him at the Buddhist cemetery in Myenigone quarter. While the last rites were being performed by Buddhist monks besides the wooden coffin at the edge of the freshly dug grave, it began to move.

When groans were heard inside the coffin, relatives decided to open it. They found Maung Tin Win alive.—Sapa-Reuter.

THE DAILY NEWS

JANUARY 3, 1984

Shaken and stirred

NAIROBI. Mr Barnabas Achachi suddenly stirred while being carried to a mortuary after he was declared clinically dead "from too much Christmas liquor"

Returned to hospital, doctors advised him to go easy on strong drink. —Sapa-AP

Ripley's—Believe It or Not!



6 SUNDAY NEWS, May 3, 1981 DAR-ES-SALAAM

Jesus' foot steps?

CHURCH Leaders are concerned by the increasing number of Filipinos submitting themselves to Penitential whipping, beating and "crucifixion" in a re-enactment of Christ's suffering on the cross.

Flagellants, beating themselves or being whipped till they bleed, are a common sight in Asia's only Roman Catholic country during the holly week. On Good Friday, at least seven cases of "crucifixion" were reported in the local press.

One of these was Luciana Reyes, a 23-year-old factory worker and the first woman known to have performed the ritual.

The publicity generated by this year's events and their increasing attraction to local and foreign tourists have worried churchmen, some of whom have expressed their distaste for the practice.

Jaime Cardinal Sin, Archbishop of Manila and leader of the church here, said he opposed this particular form of mortification and penance because it is conducted publicly and it is possible that the penitents are motivated by pride and vainglory.

The church did not encourage the practice nor could it forbid it, he said, because mortification of the flesh can be good for the soul — if the motivation is good.

Forms of penitential mortification go back through the centuries and are deeply rooted in the culture of the Philippines where 75 per cent of the population are Catholics.

"Flagellation was recorded in the Spanish Era", according to National Museum Assistant Director Alfredo Evangelista. The idea of penance was implanted by them".

Oscar Gruz, Archbishop of Pampanga Diocese, just north of here where most of the crucifixions take place, said some features in the practice were not religious.

There were "a good number of fanatical elements," and "crucifixions" had some touristic flavour, he said.

"Crucifixion" where the penitent's hands are nailed to a wooden cross, is a recent addition to penitential custom in the Philippines. The first cases to receive public notice occurred here in the late 1960s.

One reason for its increase is that the danger of medical complications has been reduced to a minimum, according to Mosignor Teodoro Buhain, Assistant to the Secretary-General of the Catholic Bishop's Conference of thePhilippines.

The "crucifixions", some shown live on television, have now become the climax of Easter week in the Philippines. In some cases, they attract thousands of visitors to provincial towns where the atmosphere is a blend of carnival and deep mourning.

The ceremony at Bacolor in Pampanga was typical. A procession formed outside the town early on Good Friday morning with the flagellants in front followed by three men dragging huge wooden crosses.

When they reached their destination — a small church yard away from the centre of town — the flagellants beat their fellow-penitents on the arms and back.

A little after midday the penitents were nailed to their crosses and raised up for about a minute.

One man fainted. After being removed from the cross he had to be carried to a waiting bus. Another was up and smoking a cigarette as soon as his hands were bandaged.

The group in the procession said they had been members of a criminal gang and wanted "to atone for the bad we did then, and to improve the prosperity of our families."

In the nearby town of San Fernando, some 25,000 people, many of them tourists, watched as four men were nailed to crosses in two separate ceremonies.

One of them Mario Bagtas, a 33-year-old vendor, had gone through the ritual for the fifth time and, like the bacolor penitents, he promised to return next year.

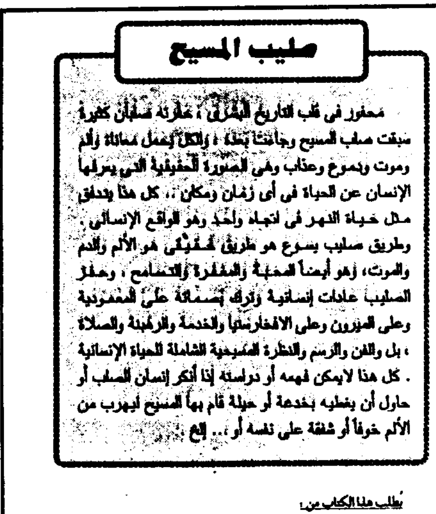
He said he had vowed to perform the "crucifixions" for 10 years after his wife recovered from cancer.

By Reg Gratton

١٧٧

تحقيق صحفي نشرته جريدة (صنداى نيوز) عن انتشار لعبة تقليد المسيح ، الذى يعمد فيها بعض الأشخاص إلى أن يُصلبوا ويُسمَّروا على الصليب ..!!

صورة ضوئية مصغرة للغلاف الأيمن لكتاب : (الصلب والصليب حقيقة أم خرافة) لمؤلفه : دكتور چورچ حبيب بباوى ، استعرض فيه المؤلف بشكل عام الفرق بين الخرافات والأوهام وبن الحقائق التاريخية . وعرض المؤرخ أيضاً بشكل عام تاريخ ومذاهب الشك واستغرق ذلك معظم صفحات الكتاب بدون دخول فى موضوع الصلب والصليب إلا فى صفحتى ٨٦ ، ٨٧ عندما عرض لرفض نظرية إلقاء شبه المسيح على شخص آخر . إنه يعتمد على مقولة أن الصلب إما حقيقة أو خرافة ، ولا يعقل أن يكون خرافة ، فيلزم أن يكون حقيقة ! وليس ثمة ما يمنع فى حقيقة الأمر أن يكون الصلب خرافة ! وكتابه لم يقدم « أىّ دليل » على أن الصلب حقيقة !



صليب المسيح

محفور فى قلب التاريخ البشرى ، عاش لنا أن ... سبقت صلب المسيح وجاءت بعده ، والكل يعمل ... وموت وبموع وعذاب وهى الصورة الحقيقية التى يعرفها الإنسان عن الحياة فى أى زمان ومكان ، كل هذا يحدث مثل حياة الدهر فى اتجاه واحد وهو الواقع الإنسانى . وطريق صليب يسوع هو طريق حقيقى هو الألم والدم والموت ، وهو أيضاً المحبة والمغفرة والتسامح ، وحمل الصليب عادات إنسانية وترك بصماته على المعمودية وعلى الميرون وعلى الافخارستيا والخدمة والرهبنة والصلاة ، بل والفن والرسم والنظرة المسيحية الشاملة للحياة الإنسانية . كل هذا لايمكن فهمه أو دراسته إذا أنكر إنسان الصلب أو حاول أن يغطيه بخدعة أو حيلة قام بها المسيح ليهرب من الألم خوفاً أو شفقة على نفسه أو ... إلخ

يطلب هذا الكتاب من :

المؤلف : ١٩ شارع حسين أحمد رشاد الدقى - جيزة ت : ٣٤٩٢٨٧٨

ومن المكتبات

ثمن النسخة ٣ جنيهات

صورة ضوئية مصغرة للغلاف الأيسر لكتاب (الصلب والصليب حقيقة أم خرافة) لمؤلفه : دكتور چورچ حبيب بباوى ، فيه محاولة من المؤلف للتعريف بكتابه استهلها بقوله : « صليب المسيح محفور فى قلب التاريخ البشرى » . هل هذه حقيقة ؟ أم أن هذا هو ما يتوهمه سيادته ؟!!

الأساطير عن اختطاف أو هرب أو اختفاء مصلوب هو خرافات وقصص تتعارض مع الواقع، لأن من يعلق على خشبة ويدق في جسده مسامير هو أمر حقيقي لايمكن إنكاره وهو الحدث العادي الذي لايوجد فيه أي مجال للخرافات أو الأساطير. فاذا كان الموت حقيقة عادية تاريخية وكان الصلب شائعاً ومعروفاً فان محاولة الانكار هي محاولة لاحلال الأسطورة محل التاريخ.

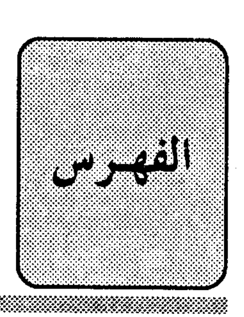
الاحتمال الثاني: أن الصلب نفسه هو الأسطورة والخرافة وأن الأمر مجرد قصة واختراع الخيال البشري. ويبقى على صاحب هذا الرأي أن يقول لنا أن المسيح لم يصلب، حسناً، وماذا حدث له؟ وكيف مات؟.. والجواب إذا تعدى ماهو عادي وشائع ومألوف ومعروف عن الموت تحول الى جانب الخرافة أو الأسطورة، كأن يقول قائل بأن يسوع أسقط شكله على يهوذا تلميذه الخائن ... وهو أمر لاوجود له ولا هو معروف في التاريخ لأنه لايوجد حدث يماثله أو قريب الشبه منه... هنا يهرب صاحب هذا الرأي من التاريخ الى الأسطورة ومن الحقيقة الى الخيال...

لم نسمع من كتب التاريخ عن إنسان أسقط شكله على إنسان آخر لكي يموت عوضاً عنه ... وهكذا يأخذ اليهود والرومان يهوذا ويصلبوه وهم يعتقدون أنه يسوع وكأن يهوذا كان في شكل المسيح ...

ولو عرضنا هذا الرأي على المؤرخين الوثنيين لضحكوا في

٨٧

صورة ضوئية مصغرة للصفحة رقم ٨٧ من كتاب (الصلب والصليب حقيقة أم خرافة) لمؤلفه : دكتور چورچ حبيب بباوي ، يرفض فيها نظرية إلقاء شبه المسيح على شخص آخر . والحقيقة أنها نظرية خاطئة ، وأهل الكتاب هم الذين أمدوا المفسرين المسلمين بها . ولم يكن المفسرون المسلمون يعرفون يهوذا ، ولم يشهدوا إلقاء شبه المسيح عليه، ولكن اليهود والنصارى هم الذين أمدوهم بهذه المعلومة الخاطئة ، وها هم أولاء يهاجمونها في القرن العشرين ، وهي من اختراعهم أصلاً. القرآن الكريم صادق تماماً في نفي صلب المسيح عندما يكون معنى الصلب هو « الموت » على الصليب .



رقم الإيداع : ٨٥٦٨ / ٩٧

الترقيم الدولى : .I. S. B. N
977 - 262 - 078 - 2

دار البشير ـ القاهرة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٤٥ طريق المعادى الزراعى ص . ب ١٦٩ المعادى

هذا الكتاب

- لما كانت مسألة صَلْبِ المسيح هى نقطة ارتكاز موضوع نهاية شأن المسيح مع قومه ، كان من الطبيعى أن نُولىَ هذه المسألة كل الاهتمام : هل قتله أعداؤه ؟ هل كان الصَّلْبُ هو وسيلة القتل ، أم أنهم ما صلبوه وما قتلوه ولكن شُبِّه لهم ؟ أم أن أعداء المسيح عليه السلام حاولوا قتله صلْباً ولم يُوفَّقوا فى ذلك ؟ وما هى طرائق الصَّلْب المستخدمة إبّان الحكم الرومانى فى فلسطين ؟ وما هو معنى الصلب ؟ وهل لنفى الصلب معنى واحد أم أنَّ له أكثر من معنى ؟ وإذا كان لنفى الصلب أكثر من معنى فهل يُؤثّر ذلك فى وجهة النظر إلى هذا الموضوع البالغ الأهمية والحساسية ؟

- وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أنقذ المسيح عليه السلام من كيد أعدائه فما هى وسيلة إنقاذ الله للمسيح عليه السلام ؟ هل تم إنقاذ المسيح عليه السلام بإلقاء شبه المسيح على شخص غيره كما يقول بذلك الرأى الشائع لدى المسلمين ؟ أم تم إنقاذ المسيح عليه السلام بطريقة أخرى أكثر بساطة ومعقولية ؟ وهل أثَّرتْ الإسرائيليات فى الرأى الشائع لدى المسلمين عن نهاية شأن المسيح مع قومه قديماً وحديثاً ؟ هل استفادت إسرائيل وتستفيد حتى الآن من هذه الإسرائيليات المدسوسة على المسلمين فى هذا الصدد ؟

- لعلنا نجد إجابة لهذه الأسئلة الحيوية الهامة فى غضون المناظرة التى جرت بين الشيخ أحمد ديدات والبروفيسور فلويد كلارك ، وفى تعقيب المترجم على هذه المناظرة .

دار البشير

دار البشير - القاهرة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٤٥ طريق المعادى الزراعى ص . ب ١٦٩ المعادى . ت : ٥٢٤٢٦٨٧ - ٥٢٥٢٣٩٠